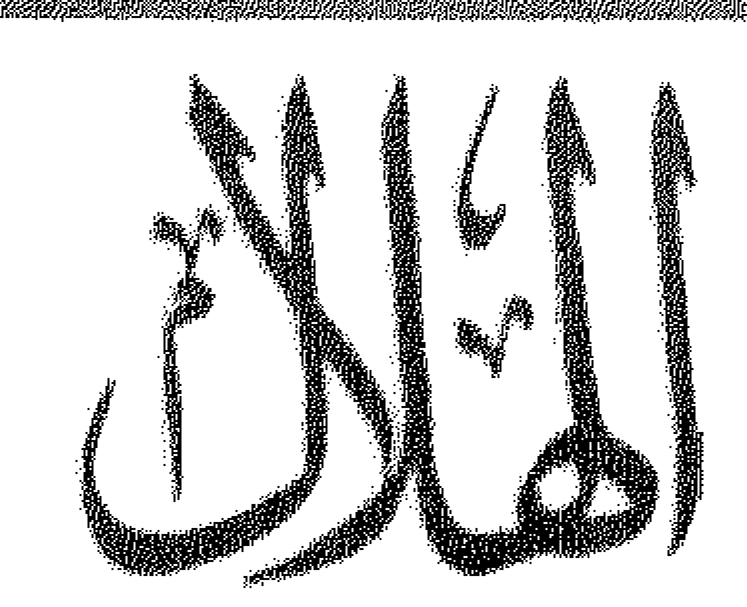
كتاب الهلال

إيقاعات متفردة

دراسات نقدية

منى عارف

السقا وعبدالله والصاوي وفواز.. فنانون وشعراء



- جاهين وحداد.. شعر الثورة.. وثورة الشعر
- شعر المقاومة .. أنغام المدافع .. ورصاص القوافي
- أحمد فؤاد نجم.. ناظر مدرسة الرفض والتجريس

يناير 2014 • الثمن 6 جنيهات

شعراء العامية.. وقود الثورات وصوت الجماهير

سلسلة شـــهــــرية تصـــدر عن مـــؤســـســـة دار الهــــلال

رئيس مجلس الإدارة
غالى محمد

رئيس التحرير
محمد الشافعى

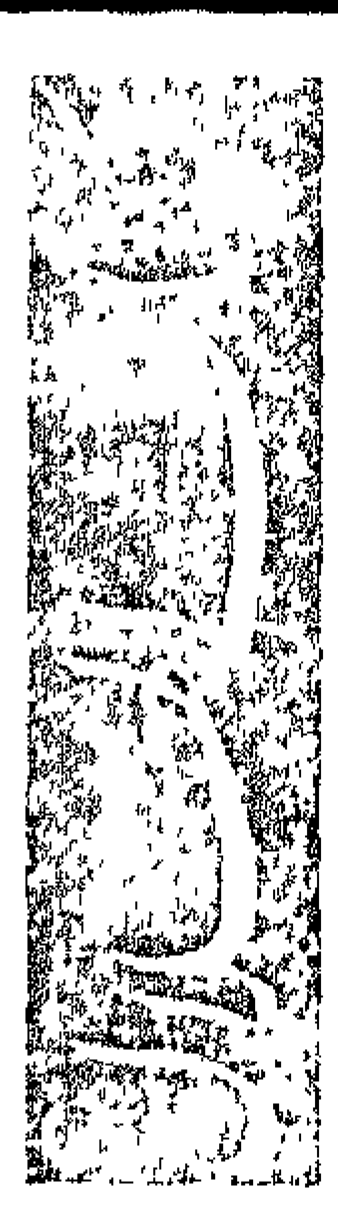
الإدارة

القاهرة ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت: ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات ص ب ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدي ١١٥١١ - تلغرافيا المصور - القاهرة ج.م.ع

تلكس Telex
92703 hilal u n
فاكس FAX:
3625469

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٨٠٠٠ ليرة - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١.٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - اليمن ٤٠٠ ريال - فلسطين ٢ دولار.



مدير التحرير
أحمد شامخ

المستشار الفنى
محمود الشيخ

مستشار التحرير
محمد رضوان

تصميم الغلاف. محمود الشيخ

الاشتراكات

قيمة الإشتراك السنوى ٩٦,٠٠جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدما نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوربا وأسيا وأفريقيا ٤٥ دولارا - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - باقى دول العالم ٧٥ دولاراً

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الإشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الإصدار الأول/ يونيو ١٩٤٩

البريد الإلكترونى: helalmag@yahoo.com

إيقاعات متفردة

قراءات نقدية، ومقالات

منى عارف

دار الهلال

الإهـــداء

إلى كل من ألف كتابا..
اقتناه غريب.. فى مدينة غريبة
قرأه ليلاً، واختلج قلبه
لسطر يشبه حياته..
أزف إليك الخبر: ذلك هو مجد الكتابة

منى عارف

على سبيل التقديم

الشمعة لا تخسر شيئا حين تضيء شمعة أخري

قد يندهش البعض ولكنها الحقيقة، قابلتهم قبل أن أقابلهم، وشعرت برغبة ملحة في أن أتواصل معهم.. أشاور لهم عن بعد.. أحييهم بلغة القلب، ومفردات الحنان، وكتابة العقل..

شاءت الأقدار أن أصافح بعضهم، وأنظر إلي وجوههم بعد أن تأملت وعانقت تلك الأقلام التي كتبت حكاياتها بمداد الروح، وأفاضت بمحبتها علي وأسعدتني في لحظات لا يعرفونها، وخففت وطأة الوقت، ووطأة الفقد، ووطأة الحزن، آنست بصحبتهم وأحببتهم ومازلت..

أصحبكم في رحلة سرد من نوع آخر، لحظات تأمل فيها أتوقف عند محطات أعمال أدبية بعينها، وصور وحكايات أذهلتنى، وأهدي القراء والكتاب إيقاعات متفردة في رحلة السرد.

منى عارف

توطئة

الإبداع: ملحمة فنية متكاملة فيها القصة، والشعر، والرواية، والنحت، والنثر، والمقال، والصورة، والصوت.. يجمع بين الطرافة والمعلومة والدهشة.. يغير بفعل الكلمات ترتيب الأشياء وتعمل على إضاءة الصور وإضافة المزيد من الألوان إلى صورة الواقع وانعكاسه على مرآة الروح.. نتذوق الحكم والعبر، تتغير به نظرتنا إلى الواقع والمعاش..

كثيرة هى الأعمال الإبداعية التى تحثنا على التفكير والمشاركة، بل وفى أحيان كثيرة تحثنا وتستثير مشاعرنا لاكتشاف مواطن الجمال فى الحياة، وتجعلنا نرى النصف الآخر المضيء من العالم، وكانت هذه الرحلة عبر صنوف مختلفة من القصص والروايات عملت على اختيار أجمل ما مر بى فى الأعوام السابقة فى بستان الإبداع، كتَّاب يميلون إلى النزعة الصوفية وآخرون يميلون إلى النزعة الرومانسية الخالصة أو الاتجاه الاجتماعى الواقعى والسياسي، أو حتى إلى النزعة الغرائبية السحرية، فاتحة نافذة على مناهج نقد حديثة فى تناول هذه الموضوعات والنصوص، حتى الأفلام الوثائقية الهادفة اخترت لكم واحداً طرح على الساحة حديثاً،

مسلطةً الضوء على كل مبدع لأن كلاً منهم أفنى نفسه وكتب من مداد قلبه فجاءت هذه الأعمال المبهرة، والتى حرصت فيها على التنوع، وكأن كل واحد على حدة يعزف مقطوعة بعينها تشكل تلك السيمفونية الفنية المتفردة، وأسميتها : إيقاعات متفردة على هامش: نص، قصيدة، رواية.. موضحة فكر كل منهم، كيف استخدم أدوات التوصيل من لغة وبلاغة وتصوير، وكان جاداً وصادقاً فى استرجاع الحالة الشعورية الخاصة بالتجربة التى أراد التعبير عنها بمنتهى اليقظة والبراعة..

وقد كثر الجدل حول النقد الأدبي: هل هو علم؟ أم أدب؟.. والحقيقة أن أكثر الآراء تشى بأنه لا يستطيع أحد أن يقول بأن النقد الأدبى قادر على أن يقدم برهاناً علمياً دقيقاً وواضحاً حول مجالات وطموحات النقد الأدبى، ولكنه يوجد نقد أدبى يعمل على تأويل العمل الأدبى فنياً وتفسيره، ويدرسه محاولاً استخراج مواطن الجمال مع امتلاك القدرة على ذلك والغوص فى نفسيات الكتاب وإدراك مشاعرهم الحياتية التى قامت بدورها بصياغة هذا النمط الخالص من الإبداع الروائى أو القصصى على السواء، أو فى أحيان أخرى فى صياغة عمل فنى طازج يعبر بلغة الشعر ـ أو بلغة السينما ـ عن الواقع ثم رصد ذلك برؤى ونظريات حكمية

وجمالية مستنبطة في الغالب من أعمال كبار الكتاب والرواد في النقد، في الفلسفة.. هي إذاً محاولة جادة لقراءة ما بين السطور وإلقاء الضوء على الكثير من الأعمال التي تكون بمثابة جسر التواصل بيننا وبين الآخر، وبيننا وبين الذات الإنسانية على حد السواء.

في العصر الحديث ظهرت مدارس عديدة لدراسة النتاج الأدبي تعتمد على الأسس الفلسفية الحديثة غير تلك الأسس الفلسفية القديمة (ديكارت، كانت، هيغل، وهايدغر)، وهي على سبيل الذكر: مدرسة النقد التشكيلي والبنيوي/ مدرسة النقد البراغماتي/ مدرسة النقد الظاهراتي أو الوجودي/ مدرسة التحليل والنقد الفني/ مدرسة النقد الاجتماعي والماركسي.. ووظيفتها على مجملها: الاهتمام بالصفات الشكلية الكامنة في العمل، وظهر العالم الفرنسي (وهو عالم نفس) جان بياجيه " gean piaget"الذي وضع تعريفاً للبنيوية، ووضع فيما بعد sociere سوسييه نظريته هو أيضا في بنيوية اللغة، التي اعتبرها الحقل الذي يحمل أولى الإشارات لتوضيح معالم العمل الفني أو الأدبي.. تلاهم الناقد رولان بارت " roland barthes"الذي رأى في النقد الأدبي محاولة لتفسير العلامات للوصول إلى المدلولات من حيث موضوعية

النقد والإشارات السمعية والبصرية، مما يسهل على الناقد اتباع إشارات وإعداد بحثه بشكل منهجي..

ما هو النقد إذاً؟.. يقول رولان بارت roland barthes أنه: "يتحدث الروائى أو الشاعر أو القاص عن أشياء وظواهر سواء خيالية أو حقيقية (موجودة والكاتب يروى أو يتكلم) فى العالم كما يبدو له، ثم يأتى النقد ليتعامل مع الصياغات اللغوية التى قام بها آخرون، إنه خطاب على خطاب la critique est discours sur un discours إنه لغة ثانية تشتغل على اللغة الأولى، هى "الإبداع الأدبى" كان فيها المنهج الانطباعى الأساس الذى بنيت عليه أغلب الدراسات (بدون الابتعاد عن المنهج التكاملى، أو المنهج الاجتماعى أو المنهج النفسي) مبينا تلك القراءة التحليلية على اتجاهات ومناهج النقد العربى الحديث، لتسليط الضوء على كثير من جوانبها الفنية والحكم عليها وإماطة اللثام عن الأيديولوجيات والأفكار التى يحملها بين طياته، والنفاذ إلى أعماق النص الإبداعى لتلمس خفاياه، وهذا ما حاولت جاهدة فى هذه الأطروحة النقدية أن أتبعه فى أحيان كثيرة، بل وأتبع مقولة راسين "أفكر بقلبى.. وأحس بعقلى.. وأدرك بخيالى، وأبتعد عن الغموض والتعقيد".

ولا يمكن أن أنسى فى هذه المناسبة أن أذكر فضل جيل الرواد من النقاد العرب فى العصر الحديث الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، وعملوا على تطوير المنهج النقدي، لأنهم جمعوا بين التراث العربى والمناهج النقدية الحديثة، وتركوا لنا ركيزة مهمة، ألا وهى أن النقد أصول وقواعد، وفى سنوات الدراسة الجامعية أتيح لى مثل كثيرين وكثيرات أن أنهل من دراسات الدكتور/ شكرى عياد، والأستاذ/ محمد مندور، والدكتور/عبدالقادر القط، والعمالقة: د/ طه حسين ـ العقاد ـ ميخائيل نعيمة ـ عبد الرحمن شكرى.. وأ.د/ محمد زكى العشماوي، وأ.د/ محمد مصطفى هدارة..

وخلاصة القول أن هذا العمل بمثابة دعوة إلى الذهاب إلى الأبعد، وربما الأبسط ألا وهو فتح الطريق إلى الاستمتاع بجولة استثنائية فى بستان الكتب وإعادة تصفحها بمنظور مختلف وأتمنى من الله أن أكون قد وفقت.

"الصفح الجميل"

فوزية مهران

فليسمح لى القارئ بأن أبدأ معه فكرة كتابة هذا العمل: من أين جاءت، وكيف، ثم يصل بنفسه إلى تحليل هذا العنوان، ولماذا وضعت اسم فوزية مهران فى أول الأعمال النقدية المقدمة فى هذه الأطروحة: تتلاقى الأرواح فى هذا العالم الفسيح فى ميعاد يحدده لها الله سبحانه وتعالى، تتقابل لكى تتكامل، وتتقابل لكى تسكن وتهدأ، وتتقابل لكى ترتاح.. ما أسعد أن يقابل الخل صديقه، والوليف وليفه، والأم ابنتها.. يتلاقى الحلفاء فى ساحة الوفاء.. ولقد تم استدعائى، لا أعرف كيف، واحترت في بادئ الأمر فى تفسير ذلك ثم تلاحقت علىّ الأجوبة على مر السنوات.. حدثنى الأصدقاء عنها، وقالوا إننا نتشابه كثيراً، بيننا أشياء مشتركة، هل نحن أقارب؟ هل نحن أصدقاء؟.. ثم جاء اللقاء.. ما أعظم أن تصادف روحاً كتلك.. أرن جرس بيتها على استحياء وإذا بى فى هذا البيت أحضر، أقيم، وصار ملاذاً لى وسكناً آمناً وطوق نجاة ومصالحة مع الحياة، عندما تصدمنا أمواج القدر وتحيلنا إلى اليأس..

أهدتنى مع ما أهدتنى، أجندة للعام الجديد، لكى أعاود الكتابة مرة أخرى، تبدأ صفحتها الأولى بالآية القرآنية: "وألقيت عليك محبة منى، ولتصنع على عينى".. إليك منى: عام جديد به الخير والمحبة وليجعل الله لنا ودا..

كتبت فى أعلاها "كراسة الأعمال النقدية cahier de cri- tique"" ومن هنا صار ذلك المشروع أملاً جديداً للتواصل، وهدفاً واضحاً حاولت مخلصةً أن أرقى إليه.. أمسك القلم لأسطر لكم عنها "سيدة المقام".. صديقتى، وأصحبكم فى رحلة لها طابعها الخاص مع الأديبة الكبيرة الأستاذة/ فوزية مهران، و"إيقاعات متفردة على هامش فنار الأخوين".. نرى كيف تكون الكتابة هى فعل محبة، ووسيلة للعيش فى سلام مع النفس، نتعلم منها كل يوم وفى كل صفحة، ندقق فى الكلمات التى تحلق بنا وتفتح أبواباً للمرور، فتصبح بالفعل فناراً وسط ظلمات الموج وتيه الدنيا..

إنها سيدة البحر بلا منازع، يشبهها نجيب محفوظ بالكاتبة الأمريكية "جريس ميتا لويس"، ولكنها كما قيل أيضا شارلوت برونتى الشرق.. إنها فتاة "صباح الخير" الأثيرة للسيدة "روزاليوسف".. صاحبة "بيت الطالبات"، و"نجمة ميناء"، و"أغنية البحر" و"فنار الأخوين"، و"حاجز أمواج"

و"جياد البحر".. تغوص فى أعماق النفس البشرية لتخرج لنا كلمات من لؤلؤ ومرجان أو تكتشف لنا صدفة نادرة، ومواقف شتى تكتب بصدق وإخلاص وتختار ما تكتب بعناية ودقة، صاحبة نزعة صوفية واضحة تنهل دائماً من نور كلمات القرآن وتقتبس نصوصاً، ومعانى الصلاة فيها فعل الأتقياء.. صلاة صامتة تزيح الصدأ عن الأرواح التى بدا علوها، تغدق على قارئها بمخزونها الممتد تكشف عن النور الداخلي.. وأبدأ معكم بأولى صفحات ذلك العمل "فنار الأخوين"، وكان الإهداء هو أيضا عتبة الولوج الأولى إلى هذا العالم التوازنى تستخدم تلك الدفقة الشعرية فى رسم صورة تتمركز على النور فى الذاكرة لتظل راسخة فيه إلى الأبد:

"ضوء الفنار غاب عنا
هوى إلى البحر قلبى
تناثر الرذاذ دموعا قانية
تلقاه تحت الماء فوق راحته
نور خفيض.. شع بين الحروف والذكريات..
أشرقت الشمس من جديد
أحلم بك.. بالربيع والأصدقاء..
بلادى أحملها بين الكلمات..
وأنت إذ تكتب بصدق تتداعى بالصدق
لك سائر الأوطان..

أشـهد سيرة الماء..أحلم بك بالربيع وبالأصدقاء

شـروط الحكى واضـحـة: أنت إذ تكتب بصـدق، تتـداعى بالصـدق لك سـائر الأوطان.. فى رحلة البـحث عن النور تلك بمعنى من نقطة ضوء أولى إلى ساحات من البهجة والسعادة والاحتواء الآمن.. عندما تصبح الكتابة واحة من الحب يصبح للجماد قلب، ويصبح للبشر أجنحة، وتتألق الكلمات فى عزف مـقطوعـة اسـمـها "مـوسـيـقى في قـاع كـوب"، وهـى أولى القصص، تصدح وتئن فى آن واحد الموسيقى فى قاع كوب أحضرته هدية لابنتها من مدينة بورسعيد، تحمل فى داخله صـوراً عن مـدينة سـاحليـة من مـدن القناة البـاسلة تنبض بالشـجن وفعل المقاومة، تجعل الحزن جميلاً ونبـيلاً، تعزف نوبة صـحـيان ووداع تختلط فـيـها الصـور يصـبح للجـماد "الكوب" روح.. "الموسيقي" جسر تعبر عليه إلى الأمل والنور..

"بضـاعتنا ردت إلينا" "هذا كيل يسيـر"، نبذة عن سيدنا يوسف هكذا بين السطور.. تظهر التجليات الصـوفيـة، إيحاء العبارات فـيها واضح يتسلل إلى العقل بخفة ربط للماضى وصورة مع الحاضر المعاش.

تصبح دائرة الخزف الموسيقية التى تصدر صوتاً مضيئاً وحانياً تؤانسها "الست وحيدة" تحمل معها مفتاح مدينة، وأى مدينة تلك تحتضن فيها دفقة من بحر الوطن.

نعبر الضفة الأخرى من البحر إلى بحر آخر عند سيدى الغريق نقرأ عنده الفاتحة.. إنها رأس البر.. ندعو لكل من ذهب غريباً وحيداً. نتعلق بقصة أم الرجال: امرأة فتية وعفية كلمتها تمشى على الجميع.. كلمتها عدل وقانون.. منثورة على ذلك الشط الحكايات: مغامرات حب وغرق.. قيل إن رجلها لم يظهر أبداً ظل يصارع الموج بعد أن أنقذ كل الركاب حتى غيبته موجة أخرى عاتية، قيل عنده كرامات: صار يمشى على الماء، وتتبعه الأسماك ضاحكة.. تلف النساء الباكيات حول الضريح الذى أقامته له أم الرجال، سبع مرات لينجبن.. يتعالى الهمس "ولى صالح وله كرامات ضريح مشهور فى عزبة الصيادين أراد محافظ البلدة أن يهدمه، فوقفت أم الرجال تدافع عنه حتى بعد الموت.. بسطاء يوفون بالعهد، لم يزل قائما حتى اليوم..

فنار الأخوين، قصة أخرى كُتبت المجموعة على اسمها لأن فيها الثقة بين الأصدقاء هى المعيار، هى رمانة الميزان إن اختلفت الاتجاهات. بين قائد المركب ومساعده علاقة متينة وغريبة كل منهما مشدود إلى الآخر بحبل سري؛ ترعرعا معا وتخرجا معا وعملا معا.. واقعة صغيرة على المركب تكاد للنظرة الأولى، تقضى على أواصر صداقة طويلة تنتهى

بحسم من القائد ليعطى حل الإشكال الذى وقع لصديقه وغريمه، وتلمع العيون بالثقة، تدلنا على أن القيم الأخلاقية لاتتبدد، والصداقة الأكيدة تظل أرضاً صلبة صامدة، تحكى عن ميثاق الشرف دون أن تحكي، توضح للقارئ الواعي، أين يقف الزيف ويتجلى شكل الحق.. أين نحن من الآخرين؟..

تفاجئنا دائماً بالنهايات المدهشة، فاتحة الأفكار لمزيد من الأسئلة.. تشير إلى النور المتمثل فى الفنار الذى يضيء ما حوله بشكل غير مباشر أحياناً دون إنارة فجة. تلعب بأدوات الحكي لديها.. لعبة الثنائيات والأضداد: النور مقابل الظلام.. البحر مقابل الأرض.. الشك مقابل الثقة. عالم رحيب واسع وسع الكون.. عالم التصالح مع البشر والتصالح مع النفس فى المقام الأول.. كيف تجعلنا رحلة الحياة والأزمات نكبر.. يصبح القلم هو كشاف الضوء الحقيقي، والرحلة تبدأ عبر سطور القصص.. كيف نستطيع أن نجلّى صدأ السقم والحزن عن هذه النفس، وتظهر أعظم قيمة للمعدن الحقيقى للإنسان: "ألم نخلقه من روحنا"

فى قصة (صدأ)، وقصة (استغاثة).. من ينادى من: البحر أم البطل..الجريح أم الطبيب؟

وتفرد السفينة أشرعتها نجوب معها بحرا آخر غير

البحر تستقبل الرذاذ بحنين واشتياق، لفتح كتاب البحر، أليس هو نفسه كتاباً مسطوراً؟ كان البحر رجلاً على البطلة أن تقرأه، ندخل فى مرحلة جديدة من الوعى تخشى الروح فيها المسرة، وتخشى على القلب من السعادة.. يكتشف الإنسان ذاته المتعبة ويعيد اختبارها مرة بعد المرة، تذكرنا برحلة سيدنا موسى وسيدنا الخضر، عندما يبدأها القائد قائلا: "إنك لن تستطيع معى صبرا!!"، فتجيب: "ستجدنى إن شاء الله من الصابرين"..

كل فرع يقودنا إلى الأصل، أصل الخلق، والرسالة سورة أهل الكهف ألم أشر من قبل؟.. مبدعة تستلهم قصصها من القرآن.. الفقر ترصده، تحفظه، وتجيء المقارنة أو التناص خير دليل على وعى الحدث والتجربة.. إنها لعبة المفردات والمعاني، كيفية تطويع اللغة مثل خيوط حريرية يلتف كل منها حول الآخر لتأتى نسيجاً مغايراً للقص المعتاد.. إنها لغة أهل الجنة.. سلامٌ هى ومحبة، تكون الحياة فيها مدرسة وجامعة.. ولكن أياً منا يعى الدرس!!.. استلهام وبركة كيف يمر المرء على السطور مراً؟ "عندما تعطى الكتابة نفسك، وتعطيك الكتابة نفسها".. هذه هى عباراتها، وتذكرنا بمقولة ابن القيم: "فى المحبة تعطيها نفسك واستقامة قصدك.. حتى لا يتبقى منك شيء"

مسرح الحكى عند الأستاذة فوزية مهران:

أبطالها دائماً يتحركون بواقعهم الدرامي، ليس فقط على خشبة مسرح أو عمل أدبي أو قصص خيالي، ولكنه يحمل الطابع الأسطورى أيضا.. يتحركون على مسرح الحياة يقفون دائماً وأبداً فى قلب العالم، أمام البحر الذى يمتد إلى ما لا نهاية.. ينظرون إلى البحر بعين ويصغون إلى أنفسهم بالعين الأخرى حيث كل شيء يجرى بدقة، والكل على استعداد دائم للتضحية والثورة والتمرد..

وتأتى قصة "يا مدحرج الليمون" لتبين لنا المفارقة لامرأة بسيطة لا تملك سوى بضع ليمونات تجوب بها الشوارع ليلاً ونهاراً لضيق سعة اليد، بحثاً على الأرض عن لقمة عيش راضية..

كاتبة يرسم قلمها ثورة حقيقية على كل ما هو سائد.. فى العمل تعيش حبّاً من نوع خاص، الخاص هو العام.. تسعى دائماً لتحقيق أمل وتقدم بسيط تشفى به الجروح القومية والآلام تلقى بنفسها وبأبطالها فى قلب البحر.. تشكل أنشودة حب وتعود رحلة الاكتشاف الأولى إلى طريقها مثل "كريستوفر كولومبس" نرحل إلى الأرض الموعودة، ولكن قائد

السفينة وربانها هو امرأة حكيمة تأتينا من رحلة الاكتشاف والغوص تلك فى أعماق النفس الإنسانية بكل ما هو نفيس وغالٍ..

تقنية الحكى الموجز:

الجمل فيه قصيرة، متتالية، والقصص تتتابع كموجة أثيرة تحمل كل فنون القص: الاندهاش، والتشويق، والمعرفة- بل تحمل فى نصوصها الأربعة والعشرين، ترنيمة حب متوازية تحملها إطلالة على تاريخ الإنسانية إذا جاز التعبير. أبطال هزموا الاستبداد بالصمود، فصارت أسماؤهم محفورة على جدار الزمن..

قصة "زيارة"، تحمل فى طياتها ثلاث قصص متتالية- المكان هو مدينة النور والمعرفة، باريس بأنوارها المتلألئة، ومتاحفها، ومنازلها العريقة.. قوس الدفاع، وقوس النصر.. يبدأ شارع الشانزليزيه العريق بواحد وينتهى بالآخر.. إنها تلك المعادلة ثانية، الدفاع حتى النصر؛ حيث ينتصر الأبطال على مر التاريخ على النفس (الأمَّارة بالسوء) ويكسبون أعظم معركة، ويفوزون بصفاء الروح.. وتكلل هذه القصص عبارات يحمل الحب عنوانها الصريح؛ بالحب نكسب كل معركة ونخلق عالماً جميلاً .

تفتتح الكاتبة بوتقتها الثقافية العامرة على حيوات كثيرة: مدام بوفارى ـ فيفى ـ سيمون دوبوفوار، ودورا DU-RASوغناؤها الحقيقى ـ تفتح العيون لمشاهدة زيارة ثقافية من نوع آخر فيها الكنيسة المعلقة، تلعب التفاصيل الصغيرة فيها لعبتها الذكية.. رحلة استكشافية من نوع آخر؛ حيث المبانى القديمة والأزقة الشريدة، حيث النوافذ المسدلة، وبرج إيفل.. رحلة من نور تتناثر منه اللآلىء والأضواء، يشع على المسلة المصرية ويصعد تلك السلالم الرخامية هناك عند كنيسة العذراء.. نلمح جان دارك.. وأى فوز هذا يحققه الإنسان حينما ينتصر بإرادته على الظلم والطغيان .

امرأة كاتبة تجلب عباراتها الدفء أينما تكون، تحمل الوطن صورة وصوتاً، وتصبح بطلاتها مصدر وحى وإلهام لفن آخر، وفنان آخر يمارس الفن التشكيلى، فى قصتها "التمثال"، وقلب الأنثى التى يغزوها الشك ونيران الغيرة، تذهب البطلة لرؤية تمثال اعتكف صاحبه عليه بل صار مشغولاً به دون سواه يصهر النحاس ويسبك الجسد من الحرارة والوهج، ويسكب فيه رعشة الخلق الأولى؛ فإذا بهذا التمثال هو تمثال لها، صورة أخرى فيها.. هو هى بكل تفاصيله الدقيقة، وحتى إن أخفى النحات الوجه؛ فتشعر بطلة

القصة بالخيانة ولكن من نوع آخر هذه المرة؛ وتقرر ألا تذهب للمعرض يوم افتتاحه ولا تواجهه.. لقد أفشى أمام العالم أسرارها..

قصة طريفة تدل على الاعتداد بالنفس الإنسانية ورهافتها الشديدة، توضح فيه أنه أحياناً يكون كبرياء المرأة أغلى من الصداقة لأنها لم تكن نظرة صديق تلك التى أطل بها عليها، ولم يكن أميناً معها.. تشريح آخر للنفس الإنسانية فى قمة تألقها وانتصارها.

وفى قصة "وجوه"، تسطر لنا مجموعة أخرى من القصص القصيرة حوالى أربع قصص فى قصة، فكل بطل فيها فى ظرف خاص، فى لحظة استرجاع أو معايشة للحظات بعينها:

١- الراقصة التى أنهكها المرض تتمسك بمجدها الزائل، بولاعة جميلة أهداها لها أحد المعجبين من الذهب الخالص، هى كل ما تبقى، وربما الشيء الوحيد الذى تملكه..

٢- صاحب دكان الأنتيكات يستجوبه ضابط شرطة لوجود ساعة أثرية مسروقة لديه، ويتهمه بأنه شريك فى الجريمة.

٣- المدرس الذى يتهم بشرح الدرس للتلاميذ دون المحاولة لإعطائهم أى اهتمام حقيقى أو تفعيل أية مشاركة إنسانية بينه وبين الطلبة..

٤ ـ السياسى الإسرائيلى الذى يخطب على أحد المنابر السياسية المهمة الذى لا تعبر كلماته حتى عن التعاطف مع خلفية صور القصف لفلسطين والضحايا وآلام شعب بل أمة بأكملها ناهياً حواره هو أيضا بنفس العبارة التى يرد بها كل أبطال القصص السابقة، عبارة الربط المدهشة: "ومن ينظر إلى وجوههم؟"

ترد الراقصة هل تعرفين اسم المعجب: ومن ينظر إلى وجوههم؟

يرد صاحب الدكان فى استجواب الضابط له: ومن ينظر إلى وجوههم؟

ويرد المدرس: أتعرف أياً من هؤلاء تلاميذك: ومن ينظر إلى وجوههم؟

من عاد يهتم حقا؟.. ومن سيظل إلى الأبد غير مبالٍ بالناس والوقت والقدر؟.. من المُغيَّب؟ صرخة أو طلقة تحذير من الغياب، غياب المعاملات الإنسانية فى أبسط صورها.. وتحذير من الموت الحي.. كانت هذه من أندر القصص وأعمقها.

كل عنوان قصة بمثابة رسالة واضحة وزورق حب.. إذاً هى الحياة حافلة بأيام ولحظات رائعة لا يتوقف فيها الحكى

عن المعاش أو ما سوف يكون، ولكن حث دقيق للقارئ أن يذهب إلى ما بعد الكلمات، ما بعد القراءة.. إلى مرافئ السلام .

المفردات المستخدمة سهلة وواضحة، نعم كما تقول بطلة قصة "التعويذة":

"الكلمات هى ذلك الاختراع البشرى الساحر.. تلك الموسيقى العذبة تصدر من أعماق الإنسان.. فى خضم العذاب نتوه"

ولكن التعويذة تشبثت بها، تجوب بها البطلة البحار تستعين بها على الحياة تحتمى بها، وهى عنوان إحدى القصص ولب الفكرة التى نستوحى منها الكتابة الملهمة.

كما سبق أن أشرت، من خلال تلك الجمل القصيرة المتتالية المتتابعة المركزة تبث المبدعة فى قارئها حالة من الشغف والقوة والإصرار على المثابرة، وتمنحه القدرة على التأمل والتدبر..

أليست الكتابة لديها، "سيدة البحر" فوزية مهران، هى فيض من البوح ورحلة بحث لا ينتهي، تصبح فكرة الكتابة هى الكنز، هى ذلك الزمن المفقود بين الوعى واللاوعي.. إسقاط آخر على "مارسيل بروست"، والبحث هنا ليس عن

الزمن المفـقـود، ولكن عن الحـالة والثـورة على الواقع بكل شـجونه وكـآبتـه.. البـحث عن الأمل فى شـكل عبـارات تحـمل نهار فجر جديد، التحام آخر مع البشر.

"تعويذة ترقد داخل حلقي؟" "موسيقى خرساء" دوامة المونولوج الداخلى "أستغنى بها عن الحياة.. أحتمى بها.. أكاد أنفجر.." خلق الإنسان ناطقا وفى البدء كانت الكلمة..

دائماً وأبداً.. نحن أمام معجزة الخلق الأولى، معجزة الإنسان العقل ومفتاح الولوج: "اقرأ"، وآيته الكريمة: "اقرأ باسم ربك الذى خلق.." تصل الكاتبة إلى ما وصل إليه العلم من إعجاز، والقلب من سكينة وإيمان وكأنها ملهمة، من آياته تستشف تعويذتها فى الحياة، وهى بطن القصيد ومحور الكتابة لدى أديبة تعلو جملها وعباراتها عن المألوف والتقليد.. هى فى حالة تماس دائم تتمسك بأحد طرفى المعادلة مثل أرسطو هذا المعلم الذى عاش فى الزمن الماضى، عاصر الإغريق القدماء، استعان على الحياة بالشعر.. أفلاطون و"المدينة الفاضلة".. الطيب صالح، و"موسم الهجرة إلى الشمال"، و"دومة ود حامد"، وآخرين ممن صنعوا لحياتهم تاريخا..

هى تحمل مثلهم مشاعل ثورة فكرية على الواقع.. تتراءى

لهـا أحـلام "جـان دارك"، وترى لوحـة بيكاسـو الشـهـيـرة "الحمـامـة" ..lepigeon نجـد فى عـبـاراتـهـا وجـه العـذراء، وصورة هيروشيما وهى تحترق، رافضة مثلهم الاستسلام للقبح والتدنى والقمع بكل أنواعه، باحثة عن جمال الروح أينما وجد، تدعونا إلى رحلة للإبحار جنوباً، حيث الدفء على زورق حب.. سواء كانت الرحلة بالروح أو بالجسد، فى الواقع أو على متن الخيال.. تجدف بنا نحو النيل على صفحات كتاب آخر "دومة ود حامد" والطيب الصالح يشاور لنا على النخلة المباركة شامخة برأسها ضاربة بعروقها إلى الأرض، ترسل ظلها من هذه الربوة العالية عبر النهر تذكرها فى قصتها، وكأنها ضمناً تشير إلى نفسها..

الكتابة تمنحنا الطاقة لكى نصل عبر الحياة إلى اكتشاف أنفسنا وإلى الخـيـر.. تعلق ابنتـهـا: ألأنه طيب، وصـالح؟!. يدعونا الأديب إلى تفسير رحلته هو الآخر..

تتصاعد ألحان سيد درويش وفيروز، وأشعار صلاح عبد الصبور، وتختلط داخل نصوصها فى هذه المجموعة المتدفقة بالحكايات والأفكار.. كاتبة من نوع خاص، تحمل عدداً من المفاتيح للولوج إلى هذا العالم السحرى/ عالم الكتابة، تضم كما ذكرت فى مجموعتها تلك الأصدقاء والشعراء فى زورق

يشبه زورق إيزيس تبحث عن أشياء غالية وثمينة، أبعد بكثير من التفصيل السطحى للحياة اليومية، كما تكشف عمق فكرها لأن روحها حاضرة فى النص تحكى بشفافية وصدق، واستطاعت أن تجعل من عباراتها سلاحاً يحوِّل مسار الزمن لتظل باقية إلى الأبد.. تحلم دائماً أن تشق طريقها إلى ذلك الفنار تبحث عن مغامرة فى الماء وبين الأجواء الصعبة.. يصبح الزورق سفينة مثل سفينة نوح هى رمز الوصول والحياة..

مبدعة أصيلة تتلمس من كلمتها وسيلتها للتواصل.. تتأمل ذاتها من خلالها وتكتشف عوالم أخرى..

جماليات السرد عند الكاتبة فوزية مهران

١ـ تحمل قصصها رسالة واضحة ، إنها تدعونا دائماً وأبداً إلى الإيمان، كما سبق أن ذكرت، وكما يفعل شكسبير وأقرانه عند اقتحام دراماتهم المأساوية، تترك الباب موارباً للسماح بدخول شعاع من الأمل يشى بفجر جديد، ميلاد جديد، وحياة جديدة.. تحمل عباراتها نظرة فلسفية.

إنها دعوة للحب؛ لأن الحب هو الذى يمنحنا القوة التى تمكننا من تحقيق أمانينا الشخصية والوطنية، وذلك الصفاء والسلام النفسى الرائع؛ لأنه ممزوج بتلك المصالحة مع الآخر، وسمتى البساطة والوضوح، لا مجال للغموض أو المراوغة.

تعتمد نصوصها على تقنية الحكى المتناص، والتحليل النفسى البارع فى شتى أمور الحياة، تطل من ثناياه بعض الأسئلة المعرفية التى تدور حول علاقة الذات المعاصرة بالعالم الذى يرتبط به الوجود وهو فى حالة من التحول والتغيير المستمرين فى محاولة جادة للقبض على المعنى.

كما تواترت فى النص أفعال الحواس مثل: "رأيت/ لمست/ سمعت/ تبينت.."، وتوهجت أفعال اليقين: "وأيقنت/ تأكدت" - يبدأ دائما السرد بضمير المتكلم، ومنه يتحول السرد حسب مقتضى الموقف كأن يقطع خط السرد الآنى (الأفقى)، ويترك الشخصية أو البطل يتحدث إلى نفسه، وقد يتطور من مجرد مخاطبة الذات إلى خلق نوع من أنواع الحوار إلى di-alogue، وقطع السرد بآلية الحوار لكى يوجه الحدث الروائى إلى وجهة معينة، ويتجلى ساعتئذ ذلك الاكتشاف الجميل.. وهكذا يعمق الحوار إحساس القارئ بالمشاركة الإيجابية فى إبداع النص؛ لأنه أصبح بكل بساطة طرفاً مشاركاً..

٢- فكرة الوصف عند الأديبة فوزية مهران

إن وظيفة الكلمات فى المحيط الخارجى لا تعدو أن تكون مجرد إشارات لأشياء بعينها، بيد أن وجودها داخل سياق النص يعطيها بعداً دلالياً أعمق.. تبدأ كل القصص أو أغلبها

بوصف المكان أو حالة الطقس، وتخرج تلك الجمل من كونها إشارات مباشرة إلى مستوى أعلى فى الدلالة فضلاً عن تكرارها داخل العمل القصصي..

وكيف حرصت الأديبة على توظيفها مثل كلمة البحر: البحر كشاهد.. بانوراما خلفية البحر كمشارك.. البحر صار يعادل الحياة؛ فصارت سيدة البحر بلا منازع..

وإذا كانت الشمس ترمز إلى الحياة والقوة والخير، فإن البحر وإضافة اللون الأزرق واللون الأخضر، يؤكد رمزية المياه فى الأصول المرجعية باعتبارها أحد عناصر البداية والحياة والاستمرارية والقوة؛ وجوده فى أغلب القصص أعطى روحاً جديدة مع إضافة التفاصيل الصغيرة عملية لها دلالة رمزية، يُعدُّ رمزاً للسمو الروحي والفضيلة الأخلاقية والطهر الملائكي..

كاتبة تتجه بنا نحو النور دوماً، محلقة فى السماء تارة، وتغوص بنا فى المياه العميقة تارة أخرى..

وأخيرا.. تملك قاموساً خالصاً للحكي ومفردات من بحر زخم بالصور.. أليس العمر هو الحبيب ومسرح الأحداث والكنز، وحتى إن اختلفت مواضيع القصص وأماكنها..

هناك بحر داخلها متلاطمة أمواجه تصل بنا وبها ومعها إلى شاطئ الوصول، وفنار النور، والصفح الجميل.

مهمل تستدلون عليه بظل
للدكتور/ علاء عبد الهادى

لا يسعنى وأنا أبدأ هذه القراءة المتأنية لهذا العمل المتفرد أن أنبه القارئ أنه أمام مغامرة غرضها فى المقام الأول اكتشاف الإنسان لقدراته فى الحياة وصور من مواجهة الطغيان لكل أشكاله وملامحه.. إنه مثل ذلك المفكر نيتشه الذى تحمل هو الآخر نصوصه الحكمة؛ يذكرنا دائماً وأبداً "أن الموت قريب بما فيه الكفاية كى لا ترتاع الحياة.. هو ذلك الظافر الذى يطرح من نفسه بالتجربة المرة - حياته - بعضاً من نبض وريده وبعضاً من آرائه.. شاهد على عصر انعدمت فيه أحياناً الرؤى..

"مهمل تستدلون عليه بظل" للدكتور علاء عبد الهادي، عملٌ ملحميٌ فى المقام الأول، يهدف إلى تحطم السائد والعدو وثباً نحو آفاق جديدة. إنها كتابة شعرية هادفة تبحث عن إجابات لأسئلة الهم الإنسانى، كتابة حرة طليقة تفتح آفاق القارئ إلى تناقضات الواقع والثورة عليه.. يكون فيها الاحتفاء بالموت مثل الاحتفاء بالحياة آخذاً من المأثور الشعبى جسراً جذاباً يعبر عليه القارئ ليلج إلى عوالم نصه الإبداعى: "منين أجيب

ناس لمعناة الكلام يتلوه"، واستهلال محير وغريب يدفع المتلقى الذى يحفظه عن ظهر قلب، إلى طرح أسئلة عن كينونة هذا المتكلم الشيخ، الشاب، الطفل، كيف يمكن أن يتغلب على صعوبات الحياة، وكيف تأتى له الحصول على تلك الحكمة..

إنها حكمة الراوى العليم، وهذا يؤكد على اعتداد المبدع بأبطاله وفخره ليس بالذات الإنسانية فحسب، بل كل الذوات الإنسانية الأخرى التى رفضت قبله كل مقاطع الاستبداد، كل هؤلاء الكتاب الثوريين رسموا ملامحه فى هذا العالم وحاولوا الانتصار عليه وقهره..

شحن نصه بعناوين موحية ترمز إلى أبطال غيَّروا معالم التاريخ، بل وجاءت فاتحة الطريق بمحتواها الفريد وغير المألوف لغيرها من الأعمال على طريقة كتابة ما بعد الحداثة: "مائة عام من العزلة"، "وصف مصر"، "البحث عن الزمن المفقود"، ناهياً نصوصه بقطع من الومضات الشعرية أسماها كتاب الظلال، طقاطيق موسيقية تحمل كثيراً من الشجن.

الأفكار أبداً لا تموت، بل تظل تنتقل من مكان إلى آخر لأنها تملك داخلها قوة خارقة مثل النار تضيء الكون بالنور ولا تحرق إلا كل مقدر له الزوال والانصهار والمحو، فجاءت عناوين النصوص بمثابة مفاتيح بينها ترابط فكرى حقيقى يتكرر دائماً وأبداً..

مشهد ليل القاهرة، ومشهد الصعود إلى حافة الهاوية، الكل فيه مأزوم، بل ويعمل فيه بشكل مستمر كضرورة حث دائمة على التغلب على ما يعوق فعل الخروج من تلك الدوائر التى تكاد تضيق على الأبطال.

تقوم النصوص على بنية المفارقة والتناص، وتتجسد أكثر فى اختلاف الأداء اللغوي، لغة شاعرية فائقة العذوبة ولغة الحكمة وغزارة التجربة. إنه دائماً وأبداً ذلك الصراع بين الموت والحياة، صراع من أجل الحرية، لا يرتبط بزمان أو مكان، وإنما يرتبط بالإنسان أينما حل كائناً أمام قصة شعرية مقطعة ومكتوبة على طريقة السيناريو أمامنا مشهد وخلفيات وأشخاص ولوحات وحيوانات أسطورية وحوريات، محققاً بذلك الإعجاز الذى حاول المتصوفون فى أعمالهم الوصول إليه.. "نور سرمدى وعشق أبدى" جاءت العبارة حرة طليقة واعية.. انظروا كيف ينشر ظل أوصاله في الهواء.. إنه مثله، ذلك المفكر المتوحد نيتشه، هو ذلك الظافر الذى يطرح من نفسه بالتجربة المرة حياته، "بما أن الحياة أن تختار طريقك الخاص إلى الموت"، فإذا كل كلمة فى نصوصه التى بلغت العشرة دواوين وأكثر، تحمل رسالة تستوعب قراءتها على أكثر من محمل وأكثر من تفسير وتأويل.. يستخدم

الإطار الشعرى وصوراً محكمة وكتابة نثرية تشرب روح القديم والحديث.. سلاحه الدهشة والإبهار والتجديد..

إنه كاتب من كتاب حملة التنوير والثقافة فى مصر، حصل على العديد من الجوائز العالمية وآخرها جائزة "أبو القاسم الشابى" عن هذا العمل الذى نحن بصدده.. علّمنى مع ما علمنى إياه، كيف يكون المبدع وفياً ومخلصاً، وأن الكتابة تحتاج إلى بذل وعطاء بلا حدود.. كيف نكتب بصدق بلا زيف أو نفاق، لأن ما سوف يبقى هو تلك الكلمات التى نقشناها على طريق الحياة لتصبح بعدها تلك الحروف نابضة تشير إلى حلاوة الانتقاء.

أفتح معكم صفحة، بل واحة من واحات الإبداع، ود. علاء عبدالهادى، وصهيل الوفاء.. هو العارف الذى تسبق بصيرته بصره، حكيم جداً.. هكذا وجدته، وسط أشياء كثيرة إن عرفتموها تبدلت الرؤى: فى محطة قطار.. مقعد يجلس عليه مرة طفلاً، فتى يافعاً، وشاباً، وكهلاً، وشيخاً.. إنسان واحد فى أزمنة متجاورة.. مع مغيب الليل، ترحل أفكارنا، تحيينا، تلملمنا، تبعثنا من جديد، وحب الوطن حقيقة كامنة فى لقطات الفلاش باك.. تنقلنا من صورة لأخرى.. تحكى كل ما مر بنا، عادات تكبلنا بأثقالها تشكل أحيانا نظرة عيوننا..

فى الحرب تهدم أشياء نجهلها، ويقتل أناس لا نعرفهم، ويلبس فيها الوطن زى داعرة.. يلمح الفتى الذى تمتلكه الدهشة قسمات ألم ليلة تنحى ومساء القاهرة، وأصوات هادرة، وللضوء لون واحد وإن اختلفت مواضع الرؤى.. وبطلة الحكاية شفيقة تلك الساحرة، التى أدمن حبها فصار بدمه مع وجدانها تركيبة متغلغلة وصوت نحيب فى سماء مثقلة، تسقط صريعة الأكاذيب، ويصبح صوت سقوطها مروعاً.. ويكبر طفلنا، ويفهم معنى كلمة "بالروح تحيا أوطاننا"، ويصير وجه الجالس على المقعد فى محطة القطار وجهاً يحمل دموع عينيها..

هو الظل يرقى الهوى.. ويخفيه بين الرئات.. وتنقله بين هذى القلوب العيون التى تهدى بالظلال.. عيون الأحبة التى ستظل فى ظلام الليل تلمع.. والغريب أنه بدأ حياةً جديدة، وركب حافلة تائهة مع كتاب تاريخ الحضارة: "ألف عام من العزلة"، و"فلسفة الجمال"، "فى الليل تصحو أحلامنا"..

هو الظل يعرف كيف ينادى رؤاه..

ما بين الوجود والعدم.. فراغ مثقل.. وانتظار لرحيل..

هو الظل يبحث عن سبب للحياة.. يجمعه للبلاد.. يفخخه مثل كرم العنب، وجعلنى أبحث وأنظر بعيونه: كيف ينشر ظل

أوصاله فى هواه.. منازل وديار تسامر هذا الفضاء الحميم، تبحث عن آثار أقدامنا، وهى تلعب الحجلة، وهى تسرع الخطى، ونحن نرحل أشتاتا كالقطيع.. وتهوى آخر الليل بيوتنا وتصبح منازل فحسب..!!

الجدران الطيبة لا تقيم بيتا.. تنسى الأحبة كيف كانوا.. وكيف أصبحوا.. وما بين هذا وبين الصمت، هو الظل يصعد من شهقات الحضور يطل ويرسو.. يصفو لأن الحنان شاغله.. يشبه صاحب القمرى، ويشبه الضيف، وشجرة برتقال وارفة، ظلاً سيحبو إلى أصله فى الغياب..

على محطة أخرى توقفت، أودع قرص الشمس فى المغيب وأصدقه القول إنها ستأتى يوما.. ربما: "ستأتى وقلبها فى كامل أناقته.. نصف امرأة.. نصف عجوز.. تهرب كل يوم مرتين.. دون تذكرة.. أو دون رغبة فى العودة إلى محطة قطار ملوثة؟

هو الظل داعب أغصان زيتونة.. جذرها فى السماء..

ستمسح بالزيت ضوءك.. فهل لنا إن صعدت لتسقيها ظلك..

سألها: كم مرة فى اليوم تغسلين قلبك بهذا الخشوع..؟

هى امتلأت إلى حد الارتواء؛ فأصبحت فى داخلها إنسانة

صالحة.. ربما تكون قد أكرمتها فى ليلة واحدة فأصبحت أسيرتك الفاضلة.. وشبّت لأطرافها أعين العاشقين... وأصبحت ظلك هى أراه وأراك.. انظروا كيف ينشر ظل أوصاله فى هواه..!!

أسطورة واحدة تتكرر: ألسنا جميعا أعضاء فى امرأة واحدة..

نردد كل ما قيل ونفكر فيه.. ونكرره أحيانا.. ثم نصنف، بعناية.. الكذب لذة.. وكم من امرأة تركت مشاعرها الصادقة، حين تخط تفاصيل عشاقها، ثم تحدق فى هذا المسخ طويلا.. لكنه للأسف لا يرى..

"الوصايا" من أهم اللقطات، وربما هى تحمل فى جوهرها "فائدة الكلام"، وتكملة لنفس الإيقاع: "منين أجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه".. أترك لكم كسرة خبزى.. كلوا منها حتى تصحوا، واشربوا من قربتى.. لا تعروا السحابة.. أوصيكم بالنساء..

اخلعوا أنيابكم قبل أن تدخلوا حلقتى.. أطعموا الطيور، واعتنوا بمن يحمل السماء..

هكذا كان شيخنا.. زعيمنا.. أبونا الذى ذهب ولم يعد.. ولم تعد تدفئنا أنوار قناديله.. كان يمتلك البصيرة.. رحل زعيم الأمة.. وبكت، وتلوت كراقصة مشهورة..

شفيقة تلك المسكينة.. وعلى مقعد صغير جلسوا جميعا.. تتعاقب عليهم الأزمنة.. وتجرى أمام العين طرق وأمكنة: زمن يحتل زماننا.. فأصبحنا فيه غرباء..

أولاد يلتفون بسعادة حول الطعام قانعين بطبق من المش وبصلات متفرقة.. وتجلس بينهم تلك الفاتنة "شفيقة" تلك التى تحولت بفعلنا إلى كاذبة تحنث اليمين، وتخفى نظرها فى السماء، كأنها تشخص ذاهلة لعل وعسى تحل عليها نعمة الله الظاهرة.. وصورة جنازة عبد الناصر لا تفارق عيوننا.. وحين نظرت شفيقة إلى المرأة رأت قاتلها يطل من عينيها..!!

وتعود إلى الذاكرة عبارة موشى ديان فى تصريحه المشهور: إننى فى انتظار رنين الهاتف.. وفى ظروف مغايرة رن الهاتف بالفعل، وجاءت لقطات نهار خارجى.. رقصة تحطيب داخل خيمة جنود من الطرفين يجلسون على طاولة مستديرة.. محادثات الكيلو ١٠١ . خطاب الكنيست المشهور، يوم وفاة جدتى.. صورة بيغين والسادات وهما يصافحان بعضهما بمحبة وابتسام.. مذابح صبرا وشاتيلا، الجرحى والمصابون، الشهداء، الأرامل، اليتامى، الأبرياء.. كل هذا أصبح فى خبر كان.. ألم تهرب مع مغيب الليل الذئاب بصحبة القطيع، المحبة..؟!

نوارس تحلق عالياً فوق شاطئ البحر.. يرتفع صراخها مع رذاذ موجة هائلة تضرب الصخر دون جدوى، ويرحل هو صوبها.. تملأ حنجرته الأغانى، ينشدها فى الموانئ..

ويسخر منا القدر فى موعد رتبته المطارات عند الوداع.. "أرسم مصيرى على راحتيك" من ستبعث بعدى بين يديك.. هذه الوعود ما جدواها: "لقد طاب لى منك ما قد وعدت.. أحن ما لدى.. تحن ما لديك.."

وعندما التفت إليها رأى الدموع على مقلتيها.. تذرف من عينيه.. أذهلتنى الصورة؛ فوقعت أمامها.. أحاول أن أزيحها فأسمع أزيز طائرة وصفير باخرة راحلة..

ولعشق النساء أصول لا يفهمها إلا من يحمل فى طيات قلبه روحا شاعرة..

"افتحى الليلة النافذة.. فهذا الهواء رسولى الذى قد يبوح.: تعودت قبلك أمضي.. أسهر ليلى فى الشعر.. والشك بغير اعتقاد ولا فائدة، ولا موعد بيننا ينتظر.:"

يقفز الشاعر من بين سطوره.. ظله يظلنى، وأنفاسه لها الدافئة.. تحمل صورة تلك المهرة الجامحة فى ليلة من ليالى القمر.. فى عتمة الليل تأتيه راكعة.. العصفور امرأة تمنح عشها الكثير، من دونها يفقد العش نبضه..

يصيح في الغابة محض وحش هارب.. من دونها يفقد هويته وتظل هي هائمة.. كالإنسان والأرض كالأثر والصوت..

وأعود إلى تلك المواقف التى تشكل ردة فعل جذرية فى الحياة الإنسانية: سواء كان فى الملك لير، أو ماكبث، أو عطيل، أو هاملت.. ويكون كاتبى مثلهم لا يرضى بأنصاف الحلول وأنصاف المواقف وأنصاف المشاعر، ويحدثنا فى لغته الراقية: أنا البطل.. أنا الأمير.

"أمن الشجاعة أن تتعرى روحى مثل سجادة سوداء.. ظهرها للأرض.. ووجهها للسماء؟

But the show must be done

"أنا الظل كم أجلنى السكون"

لمَ عند كل ارتفاع جديد.. يخايلنى نص؟.. كما أكون القتيل بين الكلمات والأشياء.. تقوم السطور من ترتبها.. ويتحكم أساس الكون فينا.. وتصبح السطور المدونة مثل الظلال الثقيلة.. تغمر الصورة عيوننا نشاهد الواقع بكل مفرداته.. هو الظل يطالعنا يخرج مندفعاً فى رواه.. يرعاه ضوء إنسان بلا قلب.. أم عقل يرشدنا للواقع بكل سخاء، فى محاولة جادة لمتابعة الـ delirium الذى يشكل العنصر الأساسى الدرامى، رغم كل المدخلات الأخرى، نجد ذلك

الصدق العفوى لكاتب لا يريد أن يكتب شيئاً لا يستحق أن يحصل على توقيعه.. يكتب ما يريده، ما يمليه عليه واقعنا.. وتجد الصورة المسطورة أكثر دقة من تلك التى نشاهدها، ويبدو هنا فى هذا العمل الروائى، مبادرة لمواجهة قوى القمع والتخلف وانعدام دور الثقافة، وهذا التعذيب الإرادى لوعى أمة بأكملها وتحاصر داخل دورة اجتماعية مغلقة.. بل وبصبح المجتمع الإنسانى أسير تاريخ مترد يفرض علينا ويحيطه الوهم، ويجعله أكثر عرضة للنهب والسلب، وسوء الفهم.. يصبح الربط بين الأحداث، والفلاش باك، واللحظة الآتية نوعاً جديداً من أنواع السرد.. ربما يأخذ الظل فيه هوية جديدة.. ترك نصه مفتوحاً، متعدد الزوايا.. تصبح فيها الكتابة لعبة فنية، مكتملة العناصر، فيها الصورة التى تشبع العين، والموسيقى المكملة للمعنى الضمني، وهذه الانتقالات المفاجئة من شكل لآخر.. كتابة متميزة، فريدة الإيقاع.. تأملات فى مراقبة الذات فى أحوالها البسيطة والمألوفة، وأيضا مراقبة العالم ذلك الآخر.. وعلى حد قوله: هذا الجحيم.. وفيه الجهل والعلم يلتقيان فى بداية الطريق ونهايته، والتاريخ يكرر نفسه للأغبياء..

وفى مشهد حميم لغروب محطة قطار، ومقعد يجلس عليه كهل وشيخ.. أماكن المترجلين تحتلها ملابسهم، وشفيقة

تطالعنا بنظرات الدهشة، قبل أن ترحل مع راعى البقر، وتطلق فى كل المواقف كعادتها نكاتها.. صورة وطن يأخذ أشكالاً عدة: امرأة سمراء فاتنة تتنفس فى حجرة المرضى.. آلت إلى جثة ربما.. تحمل ملامحها وجهاً واحداً: الجدة.. والأم.. والابنة.. والزوج.. والأخت، كلهم لهم وجه شفيقة.. وفى كل المواقف والمخاطبات تجده واقفا هناك يسأل وتأتيه الإجابة.. يحلم وتتحقق أحلامه "سعادتك أن تعرف ما تحتاجه لا ما تريده" هو العارف الذى تسبق بصيرته بصره، هو الظل شبت لأطرافه أعين العاشقين.. وهذى البلاد، وهذى الشعوب التى حاصرتها الخرائط والورقة الشائكة فما حاجتى للبلاد.. وما حاجتي.. فى النساء غنى.. للرجال اللوات..؟!

أقف متسائلة، وأفهم سر الكون معه، ولا تصفعنى الإجابة، بل تجعلنى أشد رغبة فى معرفة الحقيقة المتنمرة.. كتاب.. أم رسالة.. نبوءة.. وأصبحت معشوقته.. مثله يستمد من ظلها ظل له..

"هى الظل شبت لأطرافها أعين العاشقين.. يخبيء فى معطفه علبة من دخان شموس ينثرها؛ فنراه فى الليل.. يعود الشيخ.. يسحب وراءه أراضى شاسعة وسماءً صافية..

وعلى محطة قطار مقعد يجلس عليه شيخ فقط، قطار يأتى من الجانب الآخر، وصوت أغنية "غريب الدار" يتسلل من

قهوة مجاورة.. ونبوءة الحلم تظهر وتتجلى.. الأحلام لا تسجن خلف الأبواب واليوتوبيا، حيث توجد أماكن مجهولة لنا.. تجرى المياه حرة لا تغويها الحفر، ولا تمسكها الفروع.. توجد أماكن مجهولة حيث أطفال سعداء.. يرتاحون على أقدام البيوت..

هناك حيث البداية، بداية نور.. نهاية عتمة، وحتى مرض شقيقة لم يمنع نزول النجوم من السماء ترقد بجوارها، حتى قبضا معاً تاركين على حائط الغرفة نقشاً لا يزول ولغة مجهولة.. لغتنا المحملة بأطياف بعيدة لا يزال المذياع ينشدها "هنا القاهرة"

هو الضوء.. يرفرف بأجنحة.. قبل الرحيل أستبقيه ليبقى، ويرى ما لم يره من قبل، ويكشف أن للنساء أيضا عقولاً وأفئدة، قبل أن يتحول بعد الإفاقة إلى محض سرد.. قبل أن يختفى فى جوف حوت صديق ذلك القمر، ستجد صديقى نبضاً في الطريق.. لو كانت لدينا جميعاً رغبة صادقة فى الوصول، لا يكتفى بهذا الفضاء اللعين..

إن توّهتنا الدروب يوماً، سيدلنا الحنين.

أحمد حميدة..
قضبان الروح

إنه واحد من هؤلاء القلائل الذين يملكون موهبةً فذة وحقيقية، وسنظل لسنوات طويلة نتذكره، لأن الفن الأصيل هو الذى يبقى إلى الأبد، مهما تعاقبت عليه السنوات.. يلمع بريقه، وتتضح قيمته بل وتزيد غلاوة..

المبدع لا يموت؛ لأن أعماله تظل باقية ، تشير إليه وتشير إلينا.. تحدد تلك المسافة بين الهواة والمبدعين والمحترفين.. ومن هؤلاء القلة الذين يمتلكون موهبة راسخة لفتت كتابات الأستاذ/ أحمد حميدة إليها الأنظار ابتداءً من "النبش فى الذاكرة"، "التائهون"، "الهجرة إلى الأرض"، "شوارع تنام من العاشرة"، "الليل والأصوات"، "ظل باب"، "عبق الشوارع"، "تراتيل نسج الطواقى"، "مدن وضواحى"، "قضبان الروح"، "الغجر"، "حراس الليل"، "سوق الرجال"، "أشلاء بؤرة العشاق"، "الخبز"، وتحت النشر: "حبس مدينة".

امتلك المبدع قلماً متميزاً، وحازت قصصه ورواياته على قبول واستحسان الكثيرين من المبدعين والنقاد، وذلك لبساطة

لغتها وجرأتها فى تناول القضايا الاجتماعية والسياسية والوطنية، ورغم سعة الإنتاج الروائى والقصصى ، فإنه لم يسع أبدأ إلى النقاد، وحدث معه العكس تماماً؛ سعت الأضواء إليه ولولا ابتعاده عن القاهرة بسبب ظروف عمله ووجوده الدائم بالإسكندرية كان سيصبح له شأن آخر..

وحظيت أعماله بالمتابعة والاهتمام والتقدير على مر سنوات طويلة وتألق اسمه فى كتابات جديدة ، ونادى القصة، وتم نشر الكثير من أعماله فى جريدة الأهرام..

كانت له طبيعة خاصة فى اختيار موضوعاته وفى طريقة توالى الفترة الزمنية المعالجة فى النص الواحد، وتطورات شخوصه الروائية، وتلك الأسلوبية المتغيرة والثابتة على مجمل أعماله من الأسلوب التقريرى المباشر إلى اللغة الروائية، وذلك التوازن المفقود بين السرد والحوار كثيراً ما نراه على الواقع، وأحياناً مستسلماً يتحول من الأمل والشجاعة والإقدام إلى ذلك الاستسلام المؤقت والصبر على الشدائد وعظيم الأمور..

تمتلك قصصه حقائق مؤثرة ترجع إلى مدرسة الواقعية، والتى من آن إلى آخر تسبح فوق الخيال والحب والرومانسية دون أن تحكى عن الإرادة القوية والرأى الحر.. يبدأ دائماً وأبداً فى التفكير فى مكافحة عيوب المجتمع ،وفى تحليل العقد

النفسية التى يعانى منها الناس.. وسجل دراسة صادقة وجريئة فى قصصه وهذه الجرأة كانت تحتاج لكاتب اتجه بكل قوة إلى شحذ فكره وبدأ فى تثقيف ذاته بقراءة الآداب العالمية، وكان لهذا الاطلاع أثره الكبير فى تكنيكه القصصى وأيضاً شكلت الأحداث السياسية نضجاً فكرياً وأخذ أدبه يتجه اتجاهاً جديداً فى ثورة وانقلاب، نتيجة التقاليد البالية والتفسيرات الاجتماعية القديمة..

إن ذلك الإيغال الهادئ والدءوب فى أعماق الذات الإنسانية، عبر تموجاتها الدائمة بين الصخب والاسترخاء، بين التمرد والانصياع ليدل على أن هذا الكاتب مزج بين واقعه وكتاباته التى اتسمت بالدقة والشمول بأدائها بالمقارنة والتحليل، ورصد العلاج والمتغيرات اليومية..

سأفتقد على الصعيد الإنسانى أخا بمعنى الكلمة، شهما، (ابن بلد).. سأفتقد تعليقاته، وأفتقد حضوره و(قفشاته).. ربما عاد إلى حيث سنعود جميعا، مثل رجفة نغم يطل من آن إلى آخر علينا.. يفتح القلب أروقته لذلك المسافر الذى عاش مستغرقاً فى الرؤى، غريباً، يحاول أن يتبين لنا لون الفضاء..

لا يأخذ الإنسان معه إلا ما أراد.. سنظل نراه بين الصفحات تظهر لنا ملامحه.. "صديقى الطيب.. رحمك الله رحمة واسعة"..



قضبان الروح

لا يمكن عـزل فكرة عن أخـرى.. كـمـا قـال فـيـلاريت دى شـال.. لا شـىء يحيا منعزلا، فالانعزال الحقيقى هو الموت"

أولا: جاء العنوان الذى يحمل المضمون العام للمجموعة القصصية "قضبان الروح" عنوانا، مثيراً ومشوقاً لجذب انتباه القارئ، وكان المفتاح المهم للدخول إلى عتبات القص: تعرفنا من خلاله على الجو العـام الذى تدور حوله الأحداث وأيضـاً الأفكار التى دعا إليها الكاتب ولغته المحلية..

وقد جاءت اللغة هنا سلاحاً آخر من أسلحة كاتب عرف عنه البساطة والدقة، والسلاسة فى الحكى، وكانت البداية هى فكرة قصة "العزلة"، وهى فى حقيقة الأمر المؤثر للفكرة العامة لهذه المجموعة القصصية.

امتلك الأستاذ حميدة فى تلك المجموعة، أدواته جيداً: خيالاً واسعاً، وقدرة تصويرية وتخيلية، أضافت ترابطا ما بين قصة وأخرى، فجاءت وحدة المضمون، وأصبح يصور لنا أحداثاً يومية، بما تعج به الحياة من أحداث واقعة فى حياة الإنسان، وهى بحد ذاتها أعمق من تصور الخيال ذاته..

قدم لنا القاص طريقة السرد المباشر ,بحيث جاءت الأحداث فى صيغة ضمير الغائب، وتتيح هذه الطريقة الحرية

للكاتب لكى يحلل شخصياته وأفعالها تحليلاً دقيقاً وعميقاً.. وجاءت مجموعة القصص، كل واحدة تكمل المعنى ,وفى كل مرة تدفعنا براعة الاستهلال إلى المضى قدما فى قراءة قصة وراء الأخرى، وأعطى فرصة لشخصيات أعماله أن تتحدث بلغتها: الأم القلقة ,والزوجة الحائرة، ومن هنا جاءت اللغة قريبة من لغة الشخصية لكى يتحقق شىء من المنطقية الفنية، مما أوصلنا إلى براعة التماسك فى هذا العمل القصصى المدهش، وجاءت شخوصه معبرة عن صورة من صور الحياة البشرية، وكان عنصر الإقناع عنصراً من عناصر الإضافة على العمل ودليلاً على أهميته..

"قضبان الروح" مجموعة قصصية من الحجم المتوسط، من إصدارات "كتابات جديدة"، يبلغ عدد قصصها ١٢ قصة منفصلة ومتصلة فى آن واحد.. كيف حدث ذلك..؟.. يطالعنا فيها المبدع بنماذج إنسانية، تسكنها الهواجس والظنون والمخاوف، تمر من أمامنا، ولكن بريشته المغموسة فى القلب الوجع، يكشفها.. أى قضبان هى؟ أى حواجز تفصلنا؟ نحتمى خلفها، وننفصل نحن أيضاً عنها، عن كل تلك العيون التى تراقبنا فى صمت مقلق وتبعد عنها، لحظات هم آتية لا محالة..

هل هي عزلة الأم بسبب صمم ظل يلازمها؟.. أم وجودها المتداعي في ظل بيت من بيوت أبنائها؟.. أو وقت قعودها المختار فوق الأريكة؟ ص١١، ص١٢ .

وتظل كما هي أغلال الوحدة المتفاقمة التي تثقب القلب لينزف حنانه مقتاً وقنوطاً.. لا تكفيها مكالماتهم المتتالية المتعاقبة ,المتسلسلة في أعقاب نهار أزف هو الآخر على الرحيل، والنفس تتثاقل مع مرور الوقت وتبني خفقات القلب الواهي، جداراً من العزلة.. وأية عزلة؟!! نجده يسحبنا معه.. ننسل وراءه، حيث تلك البنايات العتيقة، حيث الأزقة المعتمة، التي يخترق صمتها، ويداهم سكون ليلها.. قدوم زائر الليل يسبقه دخان كثيف أبيض، طيب الرائحة يظهر كشبح أو ظل، حاملاً الصفارة والمبخرة .

"جمال الدولي" يحمل دلوه كل ليلة، الملآن بالبوية الخضراء.. يملأ جدران المدينة بكتاباته المفعمة بالمرارة, وتعتبر أغرب صيحة ثورة على الأوضاع المزرية التي أصبحنا عليها: "فلسطين تتآكل"، "إسرائيل مرض مزمن بجسد العروبة".. يذكِّر الناس المارين البسطاء، الحكومة بأن هناك من يرى الأشياء بمنظور مختلف، وأن رد فعله سيكون الاستياء والغضب وعدم التواكل عن التعبير عن كل ما يشعر

به أى مار والغريب أن كتاباته فوق الجدران العالية ،وفى فراغات براويز الكبارى، أسفل الشرفات، يتم محوها باللون الأسود تارة، تاركة الحوائط مشوهة سافرة، شاهدة علينا وعليه، تشهد علينا لو يوماً أغفلنا، وتعود الكتابات للظهور مرة أخرى كأنه يتحدى هؤلاء المجهولين الذين يقتفون أثره ونقوشه، ويمحونها متعمدين.. صار شبحاً أو طائراً مزعجاً هوائياً، متسيباً مجهولاً.. يخترق ليل الغافلين المستقر يطوح المبخرة بيده، دائراً، يتكاثف الدخان حوله.. كمن يوارى نفسه بداخله خوفاً من أشكالنا الواقفة التى تنخلر بصمت غريب".. ص ٢٨ .

أى حواجز تفصله عنا؟.. أم نحن الذين انفصلنا، قد يكون العقل زينة والإحساس نعمة، وقد يكون أيضا نقمة، ويفسر ذلك بكل وضوح كاتب له ميزانه الخاص فى تقدير الأمور واستشرافها، يحكى لنا عن هذا المجنون المحاصر الداخل فى كبسولة، والذى تقبع نواة فى القلب والعقل أصعب وأكثر إشكالية، ولنا فى ذلك المثال "جمال الدولى" (الإسكندرانى الجدع) خير دليل على وعى عقل المجنون واستبصاره بالوضع السياسى والحياتى فى واقعه المعاش, جمال الدولى ملأ حوائط وجدران الإسكندرية بشعاراته

الرافعة راية العصيان للبطالة التى يعيشها، وكتب أيضا (جمال الدولى خير من يمثلكم فى البرلمان وفى ملاعب كرة القدم)..

تحول الرجل من مشجع لنادى الاتحاد السكندرى إلى مرشح للبرلمان، وصول "جمال" إلى تلك النقطة الغامضة ما بين العبقرية والجنون كان ١٩٩٩. لتتوالى أزمات نادى الاتحاد والوطن متداخلة فى رأسه ووعيه، وصار اسمه أشهر من النار على العلم بطول مدينة الإسكندرية وعرضها..

ما هذا الكاتب المبدع الذى استطاع أن يلتقط تلك الفكرة ويصوغها ويحولها أمامنا إلى قصة مبنية على شخوص بعينها. استطاع الأستاذ أحمد حميدة ذلك ,وكون فى لحظة نقطة فريدة تحمل فى تساؤلاتها إجابات محذوفة ,وكلها أيضاً تحمل أيضاً كل الدلالات على إصابة المجتمع بهذا الانفصام فى كل سلوكياته؛ فأصبح الكاتب محللاً نفسياً لعصره.

تثير حرب الحوائط أعمق القصص السياسية، التى تذهب إلى عمق المأساة، وحجم القضبان التى تعوق كل مسيرة نحو الحرية، حتى عناوين القصص تشير بما يجيش فى صدر كاتب واعٍ بما حوله.. يستخدم قلمه سلاحاً، وأحياناً مصباحاً، كاشفاً عورات مجتمع بأكمله.. يختفى تحت تآكل

سقف يكاد يحميه من الغزو والاحتلال والاستغلال بكل شواهده..

قصة طريفة بسيطة عن رجل يعيش فى منزل، ودخل عنوة فيه وتسلل إليه فأر؛ فقرر إحضار قطة لمطاردته والتخلص منه: أى منهما المتخفى..؟ المطارد أم الساكن؟ المقيم أم الزائر؟

تتوج رأس المجموعة القصصية، التى تتكون كما سبق أن ذكرنا من ١٢ قصة قصيرة متوالية تتبع خطا دراميا واحدا، قصته بعنوان المجموعة "قضبان الروح"، التى لا يسعنى سوى أن أتوقف أمامها كمشهد حياتى فريد، تم رصده بشكل إنسانى من الطراز الرفيع.. الوصف عند الكاتب أحمد حميدة، ينحت معه ملامح خفية، ورهافة حس الكاتب الذى استخدم تعبيرات فى غاية الدقة، أحسن فيها التحليل الداخلى للنفوس الإنسانية، كأنه طبيب علم نفس من الطراز الرفيع، والوصف عنده يتجه من ملامح الشخصية إلى عوالمها الخارجية، كأنه يمسك فى يده آلة تصوير دقيقة..

اللغة ترتفع من مرتبة الوصف السلبى إلى الوصف الحركى، فى شاعرية ودفء.. يحاول أن يفك طلاسم أبجدية النفس، وذلك الشىء الغامض المسمى باللهاث اللانهائى

اليومى، فى أروقة مكان يصادف دائما أن يكون محطة قطار أو رصيف يعج بالمسافرين أو النازحين، وكأنه بتلك الملاحظات الدقيقة مسرحه الخاص، وتأتى شخوصه لتزين العرض، بل وتبهرنا بتلك المفردات اليومية وعدم البوح والترقب، أم عمياء يصحبها طفلها الصغير، وسط المارة فى قطار من قطارات الضواحى، يكون كشافاً لها ومنارتها، حتى يحدث ما لم يكن فى الحسبان أو الذى كنا نخشاه أن يحدث..

تلك النداّهة الآسرة تحرضنا على السير وراءها.. امتلكت قلم المبدع... هى نداهة الكتابة، التى تحمل كل مفردات الشجن والأسى: "هو العين.. والبصر.." "عكاز النهار" "مؤنس الليل" "معلق بالتلافيف والأصابع وديعة دائما بيده.. مستسلمة باطمئنان جميل.. مبصر هو وصغير.."

يلهو هو هناك بين أبدان البشر يذهب ويجيء ,ولكن فى هذه المرة لا يعود.. تغتاله القضبان.. تمزقه إرباً، والأم لا يفتأ صوتها يعلو بالنداء.. كان يحس بشعاع استشعارها السمعى الرهيف.. يسعى إليه.. يحيط به.. يغمره.. فلا يتباعد..

تنبسط قسمات الوجه المنصت بإصغاء مرهف.. إلى انتباه مصحوب بابتسامة حنو.. مأخوذة بأنه واقف بالجوار فى ظل صمت مغزول لحظة التلاقى الحنون.. "انت جيت يا حسن..؟"

كانت تشعر بريح أنفاسه تتردد بانتشاء المدرك لفراسة أنف يشم رائحته يبتهج ويعدو.. يشدهما لبعضهما.. خيط مجهول يتجاذبان أطرافه.. مهما تباعدت بهما المسافات، تعاقبه إن غاب: "اقعد يا حسن كفاك لعب يا حسن.. النهار طويل قدامك".. "النهار قرب يروح يا أمه.."

جمل من هذا النوع تجعلنا نقف أمامها طويلاً.. لم تكتب سهواً ولا فجأة، كُتبت بعناية فائقة ,بقلم يرتعش ألماً.. يشعر بالحالة، يتقمصها، يحكى نفس اللغة، لا يعيبها اختلاط العامية بالفصحى، بل أفادت النص؛ اللغة ترفع النص، وفى هذه الحالة أبدعت نصاً موازياً خلاقاً..

خيط رقيق شائك يربط تلك القصة بغيرها، وقد يكون معظم أبطال وشخصيات القصص بدون اسم، ولكن إلا هذه, يفرض اسم البطل ذاته يجعلنا نتذكره فى سطر "يا واد اقعد نوّرنى" كل ما تقول: "اتنور..لا تبعد يا حسن".. "ولد يا حسن".. ثم ما لا يقل عن ٢٠ نداءً.. فسطر اسمه للأبد فى قلب القارئ، وترك لنا خيالاً مراوغا، يأتينا كلما اقتربنا من قضبان القطار أو حتى وقفنا على محطة رصيف فى أى مكان فى العالم سيكون حسن موجوداً فى الذاكرة دائماً :

"لعل صوتا يأتى من بعيد يطمئن القلب" ص٦٠

الكاتب لا يستطيع الاختباء بذاته وراء صفحات كتابه، بل تظهر بوضوح ثقافته المتنوعة العميقة، التى كانت دليلاً فى خلال مشواره الأدبى على تفرده، وصار قلمه مدافعاً عن البسطاء أينما كانوا، وهو ما يتفق أيضاً مع مبادئه الشخصية وانتمائه الواضح لمرحلة الاشتراكية التى قادها الزعيم الراحل "جمال عبد الناصر"، وأصبح يؤمن مثل أبطال قصصه بالعدالة الاجتماعية، ويؤمن بحق المواطن الفقير أن يمتلك جزءاً من الأرض التى يعيش عليها.

كم هو رائع ذلك الوصف فى "فجر المتاهة".. يعد الكاتب مسرحه بشكل لم يحدث من قبل:

"لا يزال الليل يتوسد الميدان، يستبيح الأعين الساهرة، حوانيت الفاكهة، ودكاكين الأكل، المقاهى ومقاعدها الفارغة، ترقب، خطو بعض المارة، أجرجر قدمى، نتشيا بالرحيل عبر تمسك الليل بالبقاء وقدوم الفجر.. صالة تذاكر تحتوينى"

غريب يتلمس صحبة فى قطار.. يتلمس دفئا ما.. يقول للبطل ما يشعر به برغم أنه لا يعرفه: "أنا مطمئن معك.. أنت راجل طيب"؛ فيرد عليه: "أم أنك مضطرب جدا.. وخائف"

أنا مقتول ومطارد.. كل الناس تطاردنى.. أمى العجوز.. إخوتى.. أطفالى.. زوجتى.. يعطيهم كل ما يملكه ويقضى بقية الشهر مفلسا.. أليست هذه حالة أغلب الناس..؟

مما لا شك فيه أن اليأس زائد الفقر يدفع الناس إلى الهرب والرحيل من أرض الواقع المعاش ربما إلى واقع آخر يشعرون فيه براحة النفس "على الواحد منا أن يجد نفسه".. يعرض الكاتب علينا ربما حالة تشبه آلاف الحالات لكن فى أى حيز من الصفحات وبأى شكل..

هذا عمل مبدع أراد أن يرسم آهاته، فجعل القارئ دون أن يدرى يذرف الدمع.. "ماء القصب": "فوق رصيف آخر, قطار ضواحى، بعد يوم عمل شاق يحمل فلاح فقير أعواد القصب من محطة إلى أخرى، حتى يصل إلى محطة الخواء، ويتم اعتقاله وسحبه إلى مركز الشرطة فتروى النفوس الجائعة بماء القصب"

انتظار ذلك الذى لا يجيء عبر مشاهدة دقيقة خلف زجاج محل الحلاقة، ديالوج منفصل ومتصل فى آن واحد.. الحلاق يحكى عن شيء والزبون يتابع بعينيه امرأة تتحرك ذهاباً وإياباً فى انتظار شخص ما..

الحوار يطرح علينا قضيةً أخرى من قضايا الحصار وحالة جديدة تصدمنا.. أحياناً تلك اللغة الدارجة، وتلك العبارات المنتقاة بسلاسة تسبب لنا نوعاً من التشويش على الحدث.

"وجع الدماغ"، وهى قصة قصيرة تدق ناقوس الخطر عن الاستسلام ورحلة وحدة موحشة، لا بطل فيها إلا رتابة الساعات والأيام واليأس والقنوط والكسل، وعدم القدرة على الخروج من دائرة الصمت والهذيان..

فى "إطلالة وفية": لا ندرى لأول وهلة هل هى حقاً سيدة تدعى وفية، أم هى صفة لذلك الوجه الذى يطل خلف النوافذ والشبابيك الموصدة، والأيدى التى تعلق ملابس الغسيل البيضاء على الحبال..

كانت حالة أخرى من حالات الارتحال فى النفس الإنسانية وشواهدها فى لحظات فرحها وحزنها.. رصد لحالة جار وجارة يكتشفان فى نهاية الأمر أن ما يربطهما هو حالة نادرة من حالات الوفاء..

"الزلزال"، مجموعة متتالية من القصص القصيرة، أى زلزال هذا الذى يحرك سكون المشاعر، ويغير حقائق الصور يكتشف الأكاذيب وزهو الجيران وتفاخرهم، فى مناظرة وتواصل للحظة انفصال فارقة، وقوة علاقة الأب بابنه، وتماسك فطرى يتضح عند الشدائد..

"ظلال العشق": فى الظلال علاقة واهية بين زوج وزوجة يتجادلان فى الطريق العام، ولا يستطيعان فى نهاية الأمر

الانفصال عن بعضهما البعض، حتى ولو إعلان كل منهما للآخر عن استيائه ورغبته في الخلاص منه، وزهقه من حياتهما، تجدهما في نهاية الأمر معاً:

"حين لمحته قادماً، أشاحت بوجهها بعيداً ولم تجد مناصاً من انتظاره.. ولم تكن تعرف ذلك الأوتوبيس المؤدى للمأذون، تلاقى الظلان.. رغم كل شيء.."

وأخيراً يطالعنا بعبقرية فذة بقصة "قيد الليل والنهار" على لسان حمار عربة لنقل بضائع الفلاحين من جبن ، وفاكهة وخضار إلى السوق من محطة قطار ينتظر كل يوم أمامها هو وصاحب العربة.. يذكرنا وبقوة بـ "مذكرات حمار" للكاتبة الفرنسية الكوبية "دى سيجور"، و"مذكرات حمار" للكاتب الساخر القدير أحمد رجب ,بالرغم من أن البشر لا يقدرونه حق قدره ذلك الحيوان شديد الذكاء، الذى دائماً وأبداً ما يقف بجانب صاحبه، يشاركه شقاءه وسعادته حتى عندما يزجون به في السجن (صاحب العربة) نجده واقفاً في الزقاق الجانبى له.. وكانت شخصيته، ذلك الحيوان، موضوعاً أثيراً لكتابات الفلاسفة والأدباء، مثل حمار بوريدان، وحمار الحكيم، وحمار العزيز لغونتر غراس، وحمار جحا الشهير..

الحمار فى تلك القصة يتحمل ويفهم: "حمار صغير حنون يدرك مسالك الطرق، يتفادى المطبات، وقضبان الترام"

هكذا يصفه صاحبه.. يربت عليه ويأتى له بقشر البطيخ ويتحدث معه "بكره تفرج.. وتاكل فول.. اصبر".. يسمع صاحبه ولا يدرى أى منهما معنى لذلك الفرج المنتظر الذى سيأتى غداً، لسنوات تعاقبت تخللها ليل نهار دونما انتظار لذلك الفرج، أله شكل، لون.. طعم؟

خاتمة

وأخيراً تداخل القصص والأفكار ,لم يشكل انفصالاً فى الحكى، وكان لكل واحدة منها طابعها الذى يميزها عن الأخرى ,والرابط لتلك الهواجس التى شكلت حاجزا نفسيا بينها وبين الآخرين؛ فجاء عنوان المجموعة مكملا للنصوص كلها: هذه المجموعة قدمت فكرة فى المقام الأول، وهى فكرة الاغتراب والانغلاق والعيش خلف حواجز نفسية أحيانا وحواجز اجتماعية أحيانا أخرى.. ووجهة نظر لكاتب صادق لم يمرر شيئًا من أحداث حياة أمامه تدل على غزارة الأحاسيس والمعلومات، والتجارب التى تمكن داخل المبدع وملاحظاته العديدة والتى بلورتها موهبته بأسلوب أدبى مكثف، وأيضا درايته الواسعة بالطبيعة البشرية، التى استطاع أن يسجلها بحس عميق..

كل تلك الأسباب مجتمعة جعلت من هذا العمل الأدبى المتفرد عملا فنيا أدبيا له قيمته، ووضعت كاتب هذه المجموعة فى قائمة أكبر الكتاب المعاصرين فى عالمنا العربى، ولا يقل أبدا فى مجموعاته العديدة عن الكتاب الواقعين، مثل تشيكوف وديستويفسكى وبلزاك، جودة واقتداراً.

ساحر الكتابة
محمد الفخراني

هو "جابرييل ماركيز" الشرق، بلا منازع، يحمل الهوية المصرية ويرسم مثل سلفادور دالى عالماً من البهجة.. كاتب له مشوار إبداعى متفرد، عمل على مزج الواقع والخيال، ومنح قراءه أعمالاً قصصية فذة ومؤثرة، وبها قدر كبير من الإمتاع وإثارة الدهشة، غير تلك الرومانسية الدافئة التى نفتقدها وسط جمل باردة يحملها العالم المحيط بنا.. أتاح لنا عالماً آخر، عالماً سعيداً، فى زمن لا تقدر فيه السعادة بثمن.. هل هو كاتب من كتاب الواقعية السحرية فقط؟ أم كاتب متعدد الهوية الأدبية؟..

كل هذا يحيلنا أن نتعمق فى فهم تلك النظريات والمصطلحات الفنية المتعددة فى عالم السرد والإبداع.. يرى "ستيفان تودوروف" فى كتابه "مدخل للأدب السحري" أن القصة السحرية تصف عالماً شديد الشبه بالعالم الواقع اليومي، الذى نعيش فيه جميعاً، وفجأة نرى مشهداً يتم فيه حذف قواعد المنطق والقوانين الطبيعة، كأننا أمام نوع من أنواع الهذيان يشتبك فيه الواقع والمتخيل، يندمجان فى لوحة

أخرى، أو كأننا أمام حالة علينا أن نقر فيها أن العالم فيه "قوة غامضة"..".

ويقول أيضا القزويني: "الغريب هو كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة".

إذاً نحن بصدد كاتب مبدع شديد الخصوصية يطمح فى تأسيس هوية ثقافية وفنية ورؤية مضادة للمألوف تعيد تشكيل خطاب قصصى بديل تضع الواقعى إلى جانب الغرائبي، يتداخل فى آن واحد التكثيف الشديد والإيحاء العميق.. وكذلك انسجام الرؤية بما تتفق مع جوهر الفن، وهى شروط وضوابط لا تتحقق إلا لكاتب متميز، له عدة أعمال إبداعية حصلت على جوائز. العمل الروائى الأول الذى كان بمثابة صرخة حية على وطن يكاد يموت قهراً وكانت بلا شك: روايتا "فاصل للدهشة".. "بنت ليل" قصص، وعملان من أمتع الأعمال التى سوف أركز على كل منهما على حدة: "قبل أن يعرف البحر اسمه"، "قصص تلعب مع العالم".. حصل على جائزة الدولة وعدة جوائز من جهات مختلفة؛ قلم واعد ننتظر منه المزيد..

دعونى أبدأ أولا بتلك المجموعة القصصية "قبل أن يعرف البحر اسمه"، أحاول جادة أن أرصد إيقاعات متفردة على هامش فن جاد وأصيل..

"البحر المحب للحياة كان يفكر فى أرض بحجم السماء شواطئ وغابات، وبشر يعيشون معه، وقصص حب بعدد أمواجه، أن يرضى بأقل من هذه الحياة.. العالم مكان للعب.. تلعب مع العالم لنفسها لكل من فاتهم اللعب.. ولمن يتمنون اللعب ولا يستطيعون"..

أى لغة بديعة تلك.. أى صور بديعة؟.. يصحبنا قلم المبدع فى رحلة فريدة من نوعها تتحدث فيها الأشياء تكلم السماء القمر.. والبحر يكلم البشر.. والكل يصغي.. الكل ينحنى لعدالة السماء.. فانتازيا بديعة خارج كل التوقعات، خارج الأماكن، خارج الأزمان، كأننا منذ بدء الخلق كأن الأصوات تعود إلى الواقع شيئا فشيئا..

ملحمة إنسانية فى آن واحد.. هل نحن أمام الإلياذة والأوديسا؟ أم أمام أحد أباطرة الإغريق فى مسرح الأولمبيا، نشاهد العجائب، ولأول مرة.. نص يحثنا على متابعة القراءة، يشدنا إلى أبعد مما هو فى الواقع.. يشدنا إلى دواخلنا الشفيفة، وأحلام الطفولة، وطائرة فى الهواء، وساحر، وعجائب تبهر القلب قبل العين.. أليس هذا فى حد ذاته إبداعاً..؟

"لا شىء أجمل من أن تخترع العالم" هكذا كانت البداية،

كان البحر وحيداً وكذلك الإنسان من أول الزمان ويبدو أن في داخل كل منا صوراً لبدايات لم تكتمل ملامحها ومع مرور الوقت والتجارب يتعرف عليها شيئاً فشيئاً..

أعرفه قبل أن يعرفني.. أيسكن في عيوني، أم أنا التي سكنت مقلتيه؟.. إنه هو البحر ثانية، بأغنياته التي لا تنتهي.. ببشره الذين يعيشون معه ومعنا.. بغاباته وشواطئه، وقصص حب بعدد أمواجه، كل ما نراه في أحلامنا وأكثر، حتى قصة اختفاء الشمس ووقوع القمر في الحب وخلفية المشهد سماء سحرية مليئة بالمطر ,تبتسم لأول ثلاثة وترقص مع الرابع.. تلونت بالأزرق، وأهداها قمر يرتدي البنفسج وصار يغني على ترنيمة وأوتار القيثارة في شارع مغامر.. لعبة يتسلى فيها بأن يفكك خيوط طائرات عالقة بالسحاب، تتساقط من بين يديه حبات النور وصوت الضوء.. تطالعنا عيون طفل صغير يحمل بالتة ألوان.. يرسم قارباً وسحابة، وربما رسم أيضا على جدار الفن قصة إبداعه التي لن تتكرر.. لا يشبع من المطر والشوارع والطيران.. يحمل ريشة "سالفادور دالي" يعيد بها رسم البحر في حصان.. وحصان في بحر.. تخرج من بين السطور والكلمات قطعة حلوى بطعم الرمان؛ فندخل معه تلك البحور الأخرى، ونكشف الأسرار المعبأة في

زجاجات.. نجرب السعادة، وننطلق فى أماكن عبقرية المشاعر والجمال.. مقطوعات قصيرة عن ذلك الرجل الذى اشترى العالم، والبرد والغيوم ،والظلام، والشياطين، والبؤساء، وخريف الأشجار والذكريات الحزينة والمنبوذين، والأفكار فاشترى الحزن عقداً بديعاً..

كان النص، بكل ما فيه دفع فيه الأديب محمد الفخرانى بسخاء جزءاً من قلبه؛ فجاء من هنا تفرده وإبداعه.. اسمحوا لقلم الناقد أن يبدأ:

يحوى هذا النص البديع كل خصائص الكتابة الرومانسية بمفهومها الأدبى الواضح؛ فهو ثورة على كل ما هو كلاسيكي ،ونمطى فى الكتابة، يعمل على تقديس حرية التعبير، واختيار شكل مغاير به نزعة تمرد ،يشيد ويمجد العاطفة والخيال، وفيه فرار من رتابة الواقع، وتخلص من صرامة العقل وجموده من خلال تقديس الطبيعة فكان من هنا الفرار إلى أحضان البحر ليكون هو الموتيفة الأساسية ومفتاح الولوج إلى قلب النص..

اللغة:

جنح الكاتب إلى اللغة البسيطة ،الخالية من التكلف، محملة بالصور الشاعرية.. تحمل عباراته سذاجة وبراءة متناهية

وطهراً ونقاء.. ينتمي بعض من نصوصه إلى النصوص الشاعرية الغنائية، والبعض الآخر إلى البوح العاطفى من حيث فكرة تحديد قالب العمل وجوهره.. يشدنا إلى عالم الروح بكل غموضه وأسراره ,يلمس فيه وتراً خاصاً يعزف على الوجيعة، ألم الإنسان العميق، ألا وهو الوحدة، ومحاولته للفكاك عن طريق الوقوع فى أحضان الطبيعة بعيداً عن مشكلات المجتمع وهمومه وحروبه، التى يتم طرحها دون تفسيرها. يصف لنا فيها القمر والأمواج وأوراق الشجر، تصبح الطبيعة صديقة ملازمة تم استئناسها لتشارك الإنسان محنته الحقيقية ووحدته الأكيدة حتى الحب يصبح نوعاً من الهوى، قدرياً، مرتفعاً عن كل النزوات والدوافع الحسية..

انتقى مفردات النص من عوالم الطبيعة والموسيقى والحب.. جنح باللغة إلى الرقة والهمس ,وعمل على تحديث صور من الخيال الجامح.. رصد تلك العلاقة الشفيفة بين الأشياء، وسيطرة العاطفة والميل إلى الرموز والأساطير, والاتجاه الوجدانى لتشكيل عالم مواز لعالم يحمل فى واقعه مفردات الوحشية والقبح واللامبالاة.. جنح بنا إلى عالم الغرائبية السحرية؛ لتصبح العلاقة الأكيدة بين كل النصوص المنبثقة من أول سطر إلى آخره محاولة غير تقليدية لربط

الواقع المعاش والخيال الجامح وفكرة اليوتوبيا وإعادة اختراع العالم، ذلك استدعى بالضرورة دمج مستويين من القراءة النقدية للنص:

١ـ قراءة تعمل على فك شفرات النص ورموزه..

٢ـ قراءة أخرى غير مباشرة تترجم تركيبة الإنسان العاطفية وهو فى حالة توافق تام مع الطبيعة وتقلباتها, وإحباطاتها، والرغبة في التواصل مع الآخر، اختلاف هوية جديدة عبر الخيال بالنسبة لاختيار الرموز والألوان، جاء البحر فى أكثر من موضع ,لأنه هو واهب الأفكار والذكريات الجميلة، ليصبح هو رمز العطاء والاستمرار يحمل معنى الحياة والوفاء والخلود.. السحب البيضاء هى تلك الأفكار الخلاقة التى تسعى للتجديد والتطهر والسمو بآلام الإنسان إلى عالم أفضل تحرره حالة الصفاء.. اللون الأزرق، وهو لون التميز، يرتبط بفكرة الإيمان والخلق، والمثالية، وفكرة التطابق والتماهى.. "أزرق هو اللون المفضل للضوء".. هل يستمد حضوره من البحر ,وتتوحد في إحساس واحد؟.. وتحضرنى عبارة لأحد الشعراء الصوفيين: "دواؤك فيك وما تبصر، وداؤك منك وما تشعر"

اللون البرتقالى والأحمر القانى وعقود الرمان، تلك الألوان

الحارة المشتقة من ألوان الفاكهة وأسمائها، إشارات شديدة الضوء ترمز إلى الحياة والحرية، تحمل أطيافاً حسية تمتزج فيها كل حواس الإنسان: الرؤية والشم والتذوق واللمس، إشباعاً نفسياً وجسدياً أيضاً..

القيثارة، رمز العلاقة العميقة بين الروح والجسد.. "أنا والريح والنور.. والمطر.. صرنا أصدقاء" تدل على سمو المشاعر وفكرة منح السعادة لكل البشر.. يحمل النص العديد من الرموز ومن بينها "القارب"، وهو رمز لفكرة تخليص العالم من الشرور، والوقوف بجانب المظلومين والمنكسرين والبائسين، يحمل لهم فرصة للنجاة.

"قبل أن يعرف البحر اسمه" جعلنا نرى ما ينتفض فى القلب غاية فى الإنسانية، عروقه محملة بأسراب مهاجرة حائرة ,بأصوات تلوح بأشياء كلنا نحبها تريد أن تستمتع بطعم الملح والألم، لأنهما ضمن قوس قزح الحياة، نجرب تلك السعادات البسيطة وتلك المفاجآت الممتعة التى يحملها لنا القدر كل يوم، وربما يشكل فى داخلنا أحاسيس جديدة لم يعيشها الكثيرون منا من قبل فكرة المطر وتلك الخيول التى تجرى بحرية، وأيضا فكرة التجدد المستمر مع كل شعاع من أشعة الشمس..

وأخيرا.. هى مجموعة من أجمل وأمتع المجموعات القصصية التى تتيح لقرائها على المستوى العادى، فكرة اكتشاف العالم واكتشاف نفسه بعيون جديدة.. تهدى عقولنا منحة لفتح أبواب للرؤيا.. وتجعلنا نترفق بقلوبنا كلما عاودنا النظر إلى السماء أو البحر.. نعرف أنه ينظرنا، وربما يعرف هو الآخر أسماءنا..

"قصص تلعب مع العالم"

امتدادا لمشروع محمد الفخرانى "ساحر الكتابة" الذى يمزج بين الواقع والخيال وعالم الفانتازيا المبهر، جاء هذا العمل الذى أطرحه عليكم "قصص تلعب مع العالم" متفردا، وحالة من حالات التجلى لخيال جامع اشتغل فيه على تعدد الأصوات وكرنفالية السرد.. تذكرت وأنا أتصفح هذا العمل، العمل الروائى العالمى "أليس فى بلاد العجائب"، يصحبها الأرنب لكى تكتشف العالم من جديد..

يصحب الكاتب قارئه ويأخذه من يديه، ويدعوه أن يشاهد العالم مشاهدة جديدة هكذا وبكل بساطة.. عالم تختلف فيه المسميات وتعود إلى الأذهان مرادفات أخرى غير المعانى التى عهدناها.. يصير للحزن شكل وللضحك رائحة، وللشر عيون وأيادٍ، وللخير صوت يهدى إلى النور والحقيقة.. يصبح للفرح ملامح وأرجل، يسير على قدمين.. يحتل كل المساحة، الحب، لا يوجد مكان للكره..

إنها نوع جديد من السرد الأسطورى، تتسم بكونها متطورة من حيث الجمل والعبارات واللغة، وكأن الكاتب أراد أن يكشف الستار عن قوانين تخترق الفضاء العجائبى

والغريب، مثلما شرح ذلك تودوروف وآخرون: إنها "شعرية الفانتاستك"

كذلك تنوعت مستويات اللغة في تلك المجموعة القصصية ما بين لغة تكشف عن طاقات شعرية كامنة، ولغة نثرية فصحى وعامية، جاءت على لسان بقية الشخصيات، وجاء هذا العمل إضافة نوعية لمحمد الفخراني الذى يحتل إبداعه مكاناً مرموقاً في الخريطة السردية العربية، والعالمية أيضاً..

استطاع الكاتب أن يجعلنا نؤنسن القيم والكائنات، جعلنا نحس أنها شخصيات لها أجسام ووجوه تعيش في مسكن أو مسرح حياة واحد.. لكل منهم غرفته، وحالته، وصفاته، وأحلامه.. لكل منهم إرادته الخاصة، ومشاعره الخفية..

جاء عنوان العمل بمثابة العتبة الأولى للولوج إلى هذا النص، وجاء موفقاً لأسباب كثيرة؛ لأنها حقاً "قصص تلعب مع العالم"، وتلعب بالمتلقي، وتلعب بالكاتب والناقد على حد سواء.. تجمع في مجملها الشعر والكتابة الفلسفية وحتى قصص الأساطير وقصص الأطفال، تمنحنا عالماً نقياً نحتمي به ونلوذ عندما يصفعنا الحاضر بقبحه ومرارته، يدخل بنا إلى عالم قصصى سردى جديد يحمل لقارئه المتعة والفرح، فيه كل الكائنات تلعب في تناغم وسحر، وصار العنوان بحد

ذاته نصاً آخر، وكذلك الغلاف المصاحب للعمل بريشة "أحمد اللباد"، والتوطئة الأولى: "لا شيء أجمل من أن تلعب مع العالم"

وجاءت العناوين في ١٧ نصا تحمل الفكرة وتركز عليها، إنها فكرة اللعب، اللعب حتى النهاية.. وعلى سبيل الذكر بعض العناوين التي يتصدرها نص صريح اسمه "اللعب"، "اللعب والساحر"، عالم لعوب يشاغب المارة"، حبا في اللعب والزغب والشوارع المسحورة"، الآن يمكنك أن تلعب معي"، "ألعاب ـ موسيقى"، و"يلعب مع العالم"..

أي طفل هذا.. أي ساحر هذا؟.. يذكرنا دائماً أن الحياة هي ملعب كبير، تذكر ألا ينسى أن الحكاية كانت سحراً، والسحر كان حكاية.. نسمع معه دبيب الحياة "أحب طريقتك في النظر إليّ.. أحب طريقتك في فعل الأشياء" .

تحمل أجواء المجموعة كل أنواع الفن: الموسيقى، والرقص، والرسم، والفن التشكيلي بكل أنواعه: اللوحات الزيتية، اللوحات السيريالية، كل ألوان الطيف، كل مباهج الحياة، كل أنواع اللعب، وكل تفاصيل البوح، وكل منمنمات الحب..

جاء هذا النص معبراً عن الفكرة:

"عندما يتقابلان فى ذلك النهار بالقرية، ينسى كل منهما أن يسأل الآخر: ألك بيت؟.. وينشغلان باللعب وتبادل الهدايا.. فنعرف لها موسيقاها الجديدة، وتؤدى له لعبته الجديدة ثم يسموان بالتجوال فى العالم بلا خطة مسبقة وكل منهما يلتقط الأشياء التى يتركها له صاحبه.. ويراه مصادفة، على مدى بصره، داخل بحر فى نهاية شارع أو على الجانب الآخر فى اليوم.. فيطمئن أن صاحبه مازال يذكره، ومازال فى العالم سيرك.. وفى العالم موسيقا"

الشخوص فى هذا العالم شخوص بسيطة لا تحمل هم الدنيا.. أشخاصه هم الصدق، النور، والحب مكان فسيح يجتمع فيه الأضداد.. يتعايشون الليل والنهار.. نص عامر بالمشاعر الفياضة لا تجد فيه الكراهية لا ينتهون من لعبة حتى يخترعوا لعبة جديدة، وفضاءً جديداً للعب، تارة تكون السماء.. تارة يكون البحر.. تارة يلعبون على طرف سحابة، أو على مدخل كوخ خرافى فى غابة بعيدة، تغدو الشمس عندها، عالماً متكاملاً تجد فيه البهجة عنواناً للعب..

تأتى القصص أيضا مكملة لبعضها البعض، كأننا أمام سيمفونية لا تكمل عناصرها إلا باكتمال الطرف تارة على أوتار القلب، وتارة تتبادل الآلات الموسيقية نفسها أماكنها

مثل الكمنجة والقيثارة التى كانت فى نص "قبل أن يعرف البحر اسمه" تأتى لكى تعزف لنا مقطوعتها السحرية غير مبالية هى والكمان بأى شىء.. البحر فى خلفية المشهد دائماً، يختفى تارة ثم يعاود الظهور تارة أخرى..

وتأتى تلك القصص المكملة لما حكيناه فى "قبل أن يعرف البحر اسمه"، تحكيها الجدة مرة أخرى، ونقرؤها لأننا عرفناها، ونستمتع بها وكأنها أول مرة، كأن خيوط عالمه الأسطورى شاملة، متتابعة، بينها وبين بعضها علاقات خفية وقيمة واحدة، حتما "لا شيء أجمل من أن تلعب مع العالم"

يعيدنا إلى فكرة الآلهة الأسطورية كما سبق وأن ذكرت "الإلياذة" وعالم النجوم والكواكب التى اتخذ كل واحد منها اسمى أورانوس، كيوبيد.. يعرف به إلى الأبد.. تتحدد هذه الشخوص مع الطبيعة. تتحول القصص إلى عالم بأكمله تلعب فيها الكرة الأرضية مع بقية المجرات والكواكب حتى المطر والثلوج والزلازل يلعبون كفريق واحد فى عالم اسمه اللعب.. يتحول قلم المبدع إلى ريشة فنان يرسم عالماً جديداً تسكنه الأرواح الطيبة، ويشتعل حياة بتلك الصور المكثفة ـ كل منهم يحكى عن نفسه ـ ويحكى لنا ويأخذنا عن عالم نتمنى لو عشنا فيه بالفعل، يفتح أيضاً نوافذ الروح والرؤية إلى فضاء أوسع خيالاً ومتعة.

عالم غريب ومدهش.. كيف ذلك؟

"الغرائبية" لا يكتمل سحرها إلا عندما ينفذ ذلك السحر وذلك الحكى المصور إلى مخيلة القارىء ويحرك خياله بهذا الكم من الحشد الهائل للصور غير التقليدية، وهذا التدفق الهائل أيضاً للتفاصيل الصغيرة، كثير من المشاهد تلاحظ ذلك الاستغراق فى توصيف المشهد وإمعان النظر فى كل تلك الأشياء البسيطة التي تحيط بنا ومشاهد لحركات جديدة وردود أفعال غير متوقعة، مفارقة هى أيضاً للتصور الواقعى تختلف كلية عن كتابة الواقعية السحرية؛ نحن بصدد اختراع جديد لهذا المفهوم غير مبنى على السحر أو الشعوذة، ولكنه مبنى على المفارقة.. تعبر القصص هذه عن رؤية كونية تنمحى فيها الحدود بين الأحياء والجماد، أو بين الفنون والطبيعة حيث تكتسب الأشياء والظواهر خواص وقدرات متميزة، وجاءت من هنا عدسة المبدع محمد الفخرانى تركز الضوء على تلك المرايا العجائبية التى تعكس الأشياء الحالمة والمناظر الخارقة للعادة والأحداث الخيالية..

هنا يكمن السحر، وحين يقرأ الإنسان نصاً قصيراً جداً من هذه المجموعة يشعر بأنه يعيش فى عالم فسيح عجيب

وغريب يمتلك فيه المبدع ذلك الحس الساخر، والقدرة على التعبير المجازى البديع، وهذا ما يمنح قيمة متميزة، وتضفى على كتابته سمات خاصة:

"أيهما عالم، أيهما لعبة؟"..

"عيناها أجمل مكان يمكن النظر فيه للحزن وأجمل مكان ينظر الحزن منه"..

"يفتح صدره ويسكب قلبه فتخرج منه فرقة موسيقية متجولة تعزف لحنا يحب العالم"..

"ترى العالم كما يحلو لها وتحوله لمكان يمكن التجوال فيه طوال الوقت"..

"ملاك يمشى بجوار طفلة ويلقى بظله المنير أمامها على الأرض ليساعدها فى البحث عن شيء ما"..

كاتب ساحر يخرج من أوراقه ملائكة وشرائط ملونة وحماماً يطير فى سحابة تهز ذيلها فرحة.. يطرح من بين سطوره عالماً ملوناً وأنغاماً تصدح فى خلفية الصورة موسيقى لا تتوقف.. نرى ضحكات أطفال وأقلام مبعثرة ولوحة بيضاء تتمنى لو تظلها وجوه الأحبة.

مثل تلك القصة البديعة: "قصة تسهر طول الليل وتحول العالم فى الصباح بيانو وكمنجة بيضاء وثلاث قيثارات

قرمزية، وتشيللو يلعبون موسيقا تسهر طول الليل فى حجرة بعيدة واسعة ثم تقفز فى الصباح الباكر من النافذة المفتوحة وتجول العالم تصل لمكان يحب الحياة ملون بألوان لم تجف بعد..

هكذا إذاً هو عالم تلك القصص القصيرة "قصص تلعب مع العالم"، لعب فيه المبدع بمفردات العالم وأعاد تشكيل العلاقات بينه وبين الآخرين.. "تصحب طفلة بريئة جدها الكفيف وتصف له العالم كيفما تراه".. هى تحول المسلمات إلى واقع آخر تعيد تشكيله على هواها.. كل الشخوص يحكون ما يرونه وما لا يرونه.. تتسع رقعة اللعب إلى ما لا نهاية، نصبح أنا وأنت وكل القراء فى حالة تأهب ننتظر بلهفة عنواناً لنص جديد نفتح فيه أعيننا فى دهشة، ولا نكف عن الكتابة واللعب..

عدنان فرزات بين "رأس الرجل الكبير"، و"كان الرئيس صديقى"

اسمحوا لى أن أبدأ معكم ببطاقة تعارف لهذا الأديب هو "أديب شاعر يكتب بروحه قصيدة تطرق أبواب الصمت بأغنية على صفحات الدفء، حرف أنيق يزرعه المطر فى سحابة، ويسجل فى المدى حكاية تلك الحكاية ويحلق بنا مخلداً اسمه فى فصل من فصول الإنشاد.

إنه الكاتب السورى "عدنان فرزات".. إعلامى وكاتب مهتم بحوار الحضارات، وله العديد من المقالات السياسية التى تنشر أسبوعياً فى جريدة القبس الكويتية، ونائب رئيس تحرير مجلة البيان الكويتية، له عدة قصائد وأعمال شعرية، وله أعمال روائية: "سيرة مدينة"، "جمر النكايات"، "رأس الرجل الكبير"، و"كان الرئيس صديقي".. واخترت الروايتين الأخيرتين لإضافة قبس من الضوء عليهما:

"رأس الرجل الكبير" تدخلنا عبر سطورها إلى عالم الفساد الرهيب وتربح طبقة من المجتمع على حساب طبقة مسحوقة لن تصل إلى الخلاص إلا من خلال ثورة حقيقية على تلك النظم الاجتماعية الظالمة وتحقيق الحرية المنشودة،

وجاء رسم شخصية البطل المحورية فى الرواية فى غاية الدقة حيث إنه فى محاولة للخلاص والتطهر بعد تورطه هو أيضا فى الفساد إلى أخمص قدميه يحاول التعويض عن شعوره بالذنب فيعمل على مساعدة الفقراء ويخرج لمساعدة المحتاجين فى أيام سمَّاها "أسبوع الفقراء"، وتبدأ معه رحلة سرد روائية شيقة يفرد خيوطها ويعرض فى الوقت ذاته خلفيات فكرية ونفسية وطبقية، وظفت على نحو بارع عمل على خدمة الفضاء الروائى الذى صار يتسع كلما أوغلنا فى القراءة والتنقيب؛ ليشمل واقع حلب سوريا بل الوطن العربى بأكمله..

كأنها نظرة استشرافية على الربيع العربى وثوراته التى أتت لا محالة نتيجة لعدة سنوات من الفساد والظلم وانعدام العدالة الاجتماعية.. ثم يجيء العمل الروائى الجديد، "كان الرئيس صديقي" بمثابة صرخة مدوية على استبداد الحكام وسطوتهم البالغة ومحاربتهم للفن والكتاب والرسامين، وهى تتحدث بشكل مباشر عن الأحداث الجارية فى سوريا، من خلال مذكرات ضابط أمن يبوح بأسرار عمله بعد أن أحيل إلى التقاعد كنوع من التكفير عن ذنبه لاشتراكه بشكل أو بآخر فى الإيذاء، وكان قد كلف من قبل مرؤوسيه بتعقب فنان كاريكاتير، يرسم عن الحريات، وتنشأ بينهما صداقة وطيدة ويتغير الحال من ترقب ومصادرة إلى إعجاب وتأثر، حتى أن

هذا الضابط ينقلب على أفكاره السابقة وينخرط فى الثورة..
وتنتقل الرواية للحديث عن صداقة غير متكافئة بين الرئيس والرسام، وتكون نتيجتها أن يتعرض الرسام لاعتداء يؤدى إلى تكسير أصابعه، ويكاد يودى بحياته..

وتتنقل الرواية بين شخصيات أخرى مثل شخصية عازف الكمان وغيره ممن يتوافدون إلى ساحات الحرية، شاهرا سلاح الكلمة فى وجه نظام مستبد يأبى الانصياع لمطالب شعبه ويصم آذانه عن ثورة حقيقية أدت إلى تلك النتيجة المحزنة التى نتابعها الآن بكل الأسى، مكللاً هذا العمل بعبارة ذهبية: "إلى سورية وهى تعيد ترتيب حروف الأبجدية التى ابتكرتها أول التاريخ.. ح ـ ر ى ـ ة" مشيرا إلى أن الحرية إذا جاءت خبزت لها أمهات الشهداء قرص الشمس لتولد من جديد..

أفتح معكم نوافذ روح جديدة ننفذ فيها إلى فضاء أوسع خيالاً من خلال روايتين تحملان فى مجملهما نوعا من أنواع الإيقاع الموسيقي، معزوفتين على هامش الوجع ما أقربها إلى موسيقى الروح كما يرى ميلان كونديرا، وتحضرنى مقولة الكاتب الأمريكي: (راى ـ ب ـ وست) أن مولد أى عمل فنى لا يختلف عن مولد الإنسان بأمر واحد مهم، إذ أنهما يولدان بكامل النضج والعنفوان وكلاهما يشق طريقه من تلقاء نفسه ليتبوأ المكانة اللائقة التى يستحقها..

بهذه الكلمات أبدأ معكم، إيقاعات متفردة على هامش روايتى "رأس الرجل الكبير"، و"كان الرئيس صديقى"

رأس الرجل الكبير.. منحوتة أدبية على جدار السرد :

"حياتنا كتلة صماء، منا من ينحتها ضاحكة، ومنا من ينحتها كئيبة، ومنا من لا يتدخل فى نحتها يترك للآخرين مهمة تحديد الملامح"..

بهذه العبارة الذهبية التى جاءت فى الثلث الأخير من الرواية، اسمحوا لى أن أبدأ أطروحتى النقدية، لأننا بإزاء عمل فنى خاص يحتاج إلى ميزان من ذهب، وعدة أوراق من البردى نسطر فيها صفحة من تاريخ بأقلام بيضاء، وإطار خشبى من العاج، وضوء شعاع قمر فى ليلة صيفية، لكى نعاود قراءة فصوله وصفحاته من جديد، حريصين كل الحرص، فى وضع هذا العمل الأدبى المتميز "رأس الرجل الكبير"، بمكان يليق به..

فى جو شبه أسطورى وبلغة شاعرية سلسة يأخذنا الأديب المبدع "عدنان فرزات" معه فى رحلة سرد عجيبة داخل نفس إنسانية شاءت القدرة الإلهية أن تغير حالها من حال إلى آخر.. ترى ماذا يفعل الإنسان عندما يمنح الفرصة ,هل يختار الحلال أم الحرام؟ والفقر يدغدغ أقوى الرجال صلابة، وحب المال زهو الناس فى كل زمان ومكان، الثروة قوة تعطى

لصاحبها الكثير من الامتيازات وتصبح "كثيرة تلك الأعباء التى يقوم بها الآخرون نيابة عنا إن أصبحنا أثرياء"

هل يختار حريته الإنسانية وبراءة السريرة ونزاهة اليد؟..أم يختار مالاً غير مشروع وثراءً كاذباً ,وقيداً يشل معصمه إلى الأبد؟.. يمنح البطل نفسه "أسبوع الفقراء"، محاولة منه للتطهر ,ولكن يظل عالقاً ذلك القرار المنعطف: "معروض عليّ يا عادل أن أبيع التاريخ" ص ٧٤

تأتي مسامرة الموتي: "حصون المناطق الأثرية تدعو للألم" ص ٨٠

وتبدو كحبات عنقود عنب تتدلى فى الأفق خيوط الثروة، وتأتى المواجهة مع الرأس الكبير باحثا الراوى فى داخله، هو وصاحبه عادل، عن "هذا المكان ,ذاك الحنين"، وأنفاس الشارع فى "التلويحة الأخيرة" تتجلى لنا الحكاية بكل فصولها وحبكة اختيار أسمائها..

إنها تلك اللعبة ثانية، لعبة الظهور والاختفاء، لعبة النفس الأمارة بالسوء، وظهور الضمير المتعلق بالفضيلة وحب الناس. لعبة ظهور الأغنياء على السطح عن طريق الغش والسرقة وكل أنواع الفساد الذى استشرى فى المجتمعات العربية، واختفاء البسطاء والحق تحت خط الفقر أو العوز أو المرضى ،لتكون الغلبة دائماً وأبداً لكل من يمتلك الثروة والنقود.

استطاع بطل الرواية "صهيب" رغم نزعته الإنسانية الواضحة لمعاونة المعدمين والمهمشين ،أن يركب موجة الثراء عن طريق العثور على رأس تمثال بعينه وتزويره وبيعه. ليصبح من أغنى أغنياء البلد ،لكنه لا ينسى أبداً غرفته الصغيرة الفقيرة من كل ترف الحياة اليومية حتى من الدفء يجاور الحنين إلى أيام التعاسة والشقاء، مكرساً أسبوعاً من كل شهر يتنكر فيه من حياة البذخ، ومن سيجاره الكوبى، والإسبرسو اليومى، ويخلع بذلته الأرمانى، وعطر غوشتى، كأنه يستريح من معركة التخفي، كأن المال والجاه عبء على كاهله يثقل ضميره.. يمارس لعبة أرسين لوبين، أو الكونت دى مونت كريستو، يغدق بمظاريفه الصفراء على المحتاجين حتى صاحبة البيت الواهن يهديها ثوباً بأربعة أضعاف ثمن الإيجار.. لامس الكاتب بنصه ذلك المنحنى القادم لتغيرات اجتماعية وسياسية، إنها لحظات الاستشراف الأولى لثورة قادمة لا محالة:

"هو ذلك الغريب الذى اعترف بقرارة نفسه بأن ثروته فاسدة، تلك التى هبطت عليه فجأة زرعت فى أعماقه شجرة شوك تحز في ضميره، أصبحت أمواله عبئاً عليه"..

لذلك كلما استفاق ضميره أعطاه مسكناً مؤقتاً بعمله الخيرى، مقنعا نفسه بأن ذلك أفضل من أن لا يحصل الفقراء

على أى شىء من ثروته" ، الخلاص يحتاج منا أن نساعد أنفسنا أيضا، لا أن نكتفى بأن يفتح الآخرون لنا النوافذ"..

واصفا الفقر الذى هزمه: "رأيته بعينى وهو يجر خلفه راياته المرقعة وخبزه اليابس"..

يكتب المبدع بقلم يحمل قلب رسام محنك، يمسك بفرشاة ألوان لم يجف طلاؤها بعد..

خصائص جماليات السرد

١ـ الوصف: لعب الوصف فى رواية "رأس الرجل الكبير" وفق منظور نفسى جمالى، صار الأديب لا ينقل إلينا الأشكال، والألوان ،والمواقف وتتابع الأحداث فيها فحسب بل صار يعبر بنا من الفضاء الروائى المحدود إلى فضاءات الفن بكل اتساعه، مثله مثل "جان ريكاردو" و"بلزاك" لم يترك تفصيلاً من تفاصيل أى مشهد إلا وذكره، حتى لعبة الزمان والمكان جاءت تكاملية نكاد نعيش الرواية بكل دقائقها لا نقرؤها فحسب..

٢ـ الزمان: لا يفصح عنه بعبارات محددة، ولكن بوصف موح لمفردات الليل، أو الشتاء، أو الربيع.....ألخ..

"أوقد الليل نجمات قليلة فى السماء.. بينما توارت البقية خلف سحب أيلول، كان الجو حائراً فهو بالكاد خرج من تحت رذاذ مطر خجول ليفاجئ شمساً فاترة تتمطى فى الأفق بكسل"...

"الحـزن الشـفـيف الذى يحـمله أيلول إلى حلب.. يمنح الشعور بالحلم.."

عمل على تأنيس الوقت، الزمن أصبح محسوساً به، يأتى وصف ليل آخر:

"حيادىٌ وصامت حى الشهباء الارستقراطي.. ستارة الغيمة تنزل فى ذلك الحى على مهل؛ فتصبح الأشجار كما لو أنها أذرع جنيات تجوس في فضاء المكان.. منازل فارهة شحيحة الروح.. الشوارع خاوية على زهورها النادرة"..

"السماء قد غسلت سديمها فى النهار بمطر غزير لذلك ظهرت صافية فى الليل.. تستعرض عقد نجماتها على جيد الأفق البعيد"..

خط المكان بنفس الريشة الساحرة، وجاء ذلك المكان كخلفية جمالية ومكملة لمنمنمات جمال الروح الشغوفة بالعطاء:

"حلب تلك المدينة التى أعطت لكل شيء حقه.. هى مزيج من ألوان مختلفة وأنماط مختلفة من الحيوات الإنسانية, وحيث ملامح الوجوه تتغير وفقاً لوضعيتها، وجوه المرضي.. وجوه الفقراء.. وجوه السجناء".

اكتسب المكان أيضاً أهمية كبيرة لأنه أصبح بكل بساطة الممثل لمنظور المؤلف ورؤيته، وإذا كان العمل الروائى الذى

نحن بصدده يمثل لوحة سريالية جديدة تحمل أفكاراً، ورؤية، وتاريخاً، وسمات إنسانية.. لم يعد المكان كقطعة قماش بالنسبة للوحة فحسب بل صار الفضاء الذى تصنعه اللوحة.

تلك اللمحة الرومانتيكية يظهر فيها المكان معبراً عن نفسية الشخصيات، وتنشأ بينه وبين البطل علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر.. يأتى وصف الطبيعة فى معالم الحقول التى تختفى وراء ستارة المساء الذى راح ينساب بتؤدة مثل كف أم حانية ,ملامح دير الزور تظهر مرة أخرى، معبرة عن تعلق المبدع بالمكان سواءً فى بستان الزهرة أو مقهى القصر، أو الأحياء المقابلة لقلعة حلب، أو خان شونه، وجاء وصف المكان فى أكثر من موضع متميزاً بخصوصيته.

جاءت الرواية تجسد مشهداً من العالم الخارجى فى لوحة مصنوعة من الكلمات، وكما سبق أن ذكرت أن الوصف فى هذا العمل الروائى المتميز جاء عنصراً أساسياً فريداً من عناصر تألقه ونجاحه:

"ذات خريف لا اخضرار فيه ,استفاق صهيب على صدى صوت يدوى: حسبك أنا.. لا ملك لك سواى.. أنا خبزك المر.. وأنا ثوب عيد أطفالك.. أنا حزن أيامك وأفراحها.. إن شئت أوقدت لك النار لتنير لك الطريق وإن شئت أطفأتها، فأنت فى ظلام القبور"..

حتى الحجر فى الرواية أصبح له صوت وصورة، لم تخل الرواية من إبراز بطريقه أو بأخرى حكمة الدهماء: "إن السياسة ليس لها أمان"، وإن التاريخ تجارة الأذكياء.. وكثيرون قبل أن يتسيدوا المستقبل عليهم أن يفهموا الماضى..

ويشى ذلك الحوار الذى تبادله صهيب مع رأس الرجل الكبير عن صراع الإنسان الأزلى، وخوفه من ردود أعماله الكبرى، والذى اعتقد بدوره أن قصته لن تنتهى إلا بإنهاء الملك حقيقة، وهذا واحد من أروع الحوارات (ص ١١٠)

رأس الرجل الكبير لماذا؟.. لأن هناك دائماً وأبداً فى داخل كل نفس إنسانية رغبة كامنة فى الاستحواذ على السلطة والقوة، المتمثلة في ذلك الرمز، جاء عنوان الرواية مكملاً لها، وفي محله تماماً.. صار رمز السطوة بإبعاده تبعد كل تلك الظروف السعيدة، والثروة الهائلة، والنفوذ العظيم يصارحنا بعبارات كاشفة، أن هناك لعنة الملوك..

"يا أخى الملوك أذكياء يحمون أنفسهم حتى بعد موتهم، ولذلك ظل إلى النهاية الرمز صامداً..."

جدير بالذكر أن هذه الرواية على روعتها جمعت فى أجوائها كل أنواع الفنون، بداية بالفن التشكيلى والنحت والرسم.. وتم ذكر الفنانين والرسامين الكبار مثل الفنان الحلبى: "لؤى كيالى" والفنان الهولندى "فان جوخ".. وتمتعت

أجواء النص الأدبى بأصداء موسيقية أيضاً: عزف ناى، وأصداء عذوبة صوت "صباح فخرى" وصوت "فيروز" فى أماسى حزيران. وتشبعت أيضا بنفحات من الأدب الحديث، تم ذكر "رواية السرطان" للكاتب "نهاد سريس"، وتمت الإشارة إلى المفكر السياسى "هننغتون"، وصار النحت الروائى الحقيقى بأزميل حديد مدبب الرأس، يحدد مكان العينين والشفتين، وكأن الراوى يجرى عملية جراحية لوجه صارم فيحوله إلى إحساس نابض، وصار قلم الروائى المحنك "عدنان فرزات" ريشة ناعمة يرسم ديكور اللوحة، وشخوصها..

وأخيرا اللغة؛ كان ضمير الراوى هو اللغة الطاغية فى مجمل الأحداث، فاتحا أبوابا للتنوع وتعدد الأصوات، وكان فى الحقيقة مدخلاً من أهم مداخل برنامجه السردى مما منح عالمه ثراءً فنياً، ودلالياً ممتعاً وشائقاً.. جاءت براعته السردية فى استخدام لغة ذات مستويات عدة، لغة السارد الواعى نفسه، الذى أودع فى أرائه الكثير من التحليل المنطقى الواقعى للأحداث، متمثلاً فى حوارات "صهيب" الداخلية، وحواراته مع صديقه الوحيد..

لغة الفنان "أسعد" صاحب المرسم المنعزل، كانت لها صبغة الفن والحكمة، ولغة الرومانسية الشفيفة التى تمثلت فى مدونة الصديق عادل عن حبيبته الأولى رولا :

"ضحكتها بريئة كقطعة نقود سقطت من القمر فوق درج من المرمر"..

ولغة العامة حوارات الفقراء والمهمشين، عبارات سياسية لا تخلو من الصدق أحيانا، ومن التهويم على الوضع العام أحيانا أخرى..

جاءت استخدامات اللغة متناغمة ما بين التجريدى الفلسفي، وما بين الحس الواقعى، وما بين اللغة الشاعرية.. كاسراً ذلك الحاجز بين النمطية والرتابة، دالفاً بنا إلى ذلك المناخ الشاعرى الأسطورى، آخذاً بيدنا نحو فضاء أرحب من الفضاء الروائى المحدود إلى عالم أوسع رحابة ومعرفة، وأكثر.

★★★

"كان الرئيس صديقي"

"حيث يمتزج ضوء الشمعة بزرقة الفجر.. تأتى سحابة قائمة تخيم على سماء المدينة.. من شدة القصف".

تعكس أزلية الماء والناعورة.. يأتي "نورس" الفنان الجامح للحرية مثل نهر العاصى يمشى عكس الاتجاه فى المجرى الذى حدده هو لنفسه لا الذى يحدد له.. مثله مثل نوار يعزف أنشودة الحرية، وراكان يتطهر بحب مرام، لينسج عملاً فنياً متكامل الأركان..

أفتح صفحات رواية "كان الرئيس صديقى".. فى أجواء حذرة وصادمه أحياناً، جاء هذا النص بمثابة صرخة تجعلنا نهب ونفكر فى الأمر.."عندما يعود الصمت يمنح الأشياء رتابتها"، "كان على عاتق الفن أن يعيد إنارة الدروب حتى للذين يحبذون السير فى العتمة"..

ولكى نستطيع أن ندرك قاموس الحكى والنقد، كان علىّ الذهاب إلى مراجعة كتاب المفكر "جان بودان"، الذى عمل فى كتابه على تعريف فكرة الحاكم والسيادة وفكرة السلطة، والسلطوية.. كيف فرق بين السيد "souverain" الحاكم الذى تكون سلطته مؤقتة، ولذا لا يمكن أبداً بالمرة أن نصفه بأنه صاحب سيادة، وإنما هو مجرد أمين عليها، ويبدو أن الحكام بعد أن طال زمن حكمهم تناسوا هذا الشرط الرئيس.

فى زمن لا يحتاج فيه المستبد مبررا لاعتقال أحدهم، اشتعلت جذوة التمرد والرفض لكل ما هو مخالف للإنسانية، بعد أن شاع فى الوطن العربى فى الآونة الأخيرة ما يسمى بأنظمة القهر والاستبداد، والانفراد بالسلطة، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع لدى الشعوب، اشتعلت نيران الثورة وعرفت بثورات الربيع العربى..

فجاءت رواية "كان الرئيس صديقى" تعمل على رصد الواقع الحقيقى بلا زيف أو استخدام رموز وأقنعة، والتمويه

اللغوى، جاءت الرواية تحمل نزعه سياسية واضحة، تشير إلى مدى الاحتقان الذى لا يزال يطغى فى الشارع العربى، دون أن يهمل الكاتب والمبدع الجانب الفنى والجمالى والتخيلي ,الذى كان من شأنه أنه قد رفع أسهم تلك الحكاية وجعلها رواية أدبية سياسية بالدرجة الأولى، وليس تسجيلاً للوقائع السياسية أو صورة منقولة وحسب.

عالج فيها المؤلف موضوعاً حاضراً فى الأذهان، ومعاشاً كل لحظة ,محللاً بشكل كبير حياة كل من: راكان الحسينى، مرام، نورس النبهان، ونوار البوارشى عازف الكمان، حتى أننا عندما نفرغ منها، نجد أنفسنا قد ألمنا بحياة الأبطال بشكل كبير.

ويمكن إدراج النص تحت مسمى تيار الوعى، الذى تعتمد قصته على الحوار الفردى المتوالى، أو القصة التحليلية، والأشخاص المحوريين فيها يرتكز الكاتب عليهم لأنهم هم المتحدثون الذين يشرح من خلال أفكارهم أفكاره الخاصة وعواطفه، ونزعته إلى الكتابة الرومانتيكية الخالصة، وتظهر بوضوح فى استخدامه لعبارات تحمل الألق الرومانسى والشعر، يصبح الحب فيها هو طوق النجاة:

"أجلس الآن وحيدا"..ص ٧

الحب يجعلنا شرائح من زجاج بإمكان أى كلمة مضيئة

أن تعبر نحو الضفة الأخرى من حياتنا.. الذكريات نصنعها ليس لأجل أن نعيشها فى حينها، بل لاستحضارها حين يصبح العمر عاجزاً عن صنع ذكريات جديدة..

جنح أيضا إلى التنوع من ناحية الأساليب والسرد، وعمل على التخلص من الشكل التقليدى إذ جاء النص على شكل مقاطع أحياناً، وتجلى واضحاً مسلك البوح كوسيلة للتطهر والتخلص مما أسماه "جلافة تاريخي العسكرى" يكتب حكايته لكي يتطهر من ماضيه.

اهتم المبدع بالهم القومي والقضايا السياسية المطروحة على الساحة، الحرية والتحرر من عبودية الحكام المستبدين، على غرار: سهيل إدريس، جبرا إبراهيم جبرا، وغسان كنفاني، وحنا مينا، وعبد الرحمن منيف ,وإلياس خوري..

كما سبق أن شرحت أن هذه الرواية رواية تيار الوعى بلا منازع لأننا أمام كشف أسرار العقل الباطن الخفى عن طريق استخدام الكاتب لتقنية:

١ـ المونولوج الداخلى المباشر "راكان الحسيني"

٢ـ المونولوج الداخلى غير المباشر "نورس النبهان"

٣ـ عمل على وصف الوعى الذهنى لدى الشخصيات، مثل نوّار، كانت عنده الموسيقى هى قنديل الروح الذى يخرجنا من نفق العتمة إلى النور، ومثل نورس كان هو الطائر الأبيض

المسالم الذى شكل من حدة رسمه فى لوحاته عن الحرية، فجعلها أنبتت فى أذهان القراء جناحين.

٤- استخدام تقنية الفلاش باك والمونتاج السينمائى والفنى الذى ظهر بوضوح عبر الوصف والتعليق مع كل من نوار ونورس، لأنهما صوت الفن والإبداع فى هذه الرواية؛ فجاءت الموسيقى والصورة واللحن فى حالة التقاء دائم على نهر العاصى ليذوبوا فى أنشودة حب للحرية..

كانت هذه التقنيات الفنية بمثابة مفاتيح الولوج إلى نصه المتفرد كما جاء الإهداء: "إلى سوريا وهى تعيد ترتيب حروف الأبجدية التى ابتكرتها أول التاريخ لتصبح ح - ر - ى - ة".. تبعها استهلال النص فى مفتتح الرواية مفاجئاً، وقوياً، ومؤثراً أيضا كمؤشر دلالى يصحب معه الفضاء المكانى الذى تدور فيه الأحداث مستخدماً قاموساً لغوياً، خاصاً به، كثيرة هى فيه لحظات الشجن قاصداً الاستشفاء يشكل نسيجاً حكائياً شديد الفتنة عبر سرد تفاصيل صغيرة ومتناثرة، حرص فيها الأديب على تقديم وعى متسع الزاوية.. جاء فيها الفن معادلاً حقيقياً للجمال الذى لابد أن يتصدى لكل هذا القبح فى العالم:

"وهل تلك حياة، تلك التى بلا موسيقى"

نص يحمل فى طياته الأسى والأسف على كل ما مر على

الصعيد السياسى والاجتماعي.. تجده أيضا فى تلك اللحظات الإنسانية يحكى عن زمن ناريمان: "أحسست برهبة الأموات الذين أسأنا إليهم فى حياتهم حين يموتون يجعلوننا نشعر بتأنيب ضمير أكثر مما لو كانوا لازالوا أحياء.."

وأخيراً وليس آخراً.. جاءت رواية "كان الرئيس صديقى"، فيضاً لغوياً وثراءً لفظياً يتجاوز العادى والمألوف، وعبرت عن تلك النزعة الأكيدة إلى الإبداع والابتكار، وخروجا عن الأنماط الروائية السائدة.. الرواية تُكتب والقارئ يتابع فقرة وراء الأخرى كأنه هو أيضاً صار مسموحاً له بالمشاركة فى تكوين فصولها.. عندما يكون العمل الفنى صادقا، يصل ليس فقط إلى قلوب الناس.ولكن إلى العالمية..

رواية "المقلب"، وأعمال أخرى
للكاتب والأديب/ سعيد سالم

لقب الأديب الأستاذ "سعيد سالم" بأنه عاصفةٌ إبداعيةٌ متوهجة.. لاقت رواياته استحساناً وإعجاباً كبيراً، منذ أن تم نشرها، وقد تابعها النقاد والقراء فى الصحف والمجلات بشغف كبير، وكان الأديب منذ طلته الأولى على الساحة الإبداعية مهتماً اهتماماً كبيراً بتصوير البيئة، ووضع القضايا الاجتماعية المعاصرة فى دائرة الضوء لكشف ما فيها ومعالجتها من جهة، ولتحفيز المجتمع على تغيير عاداته وسلوكياته السلبية تطلعاً إلى مستقبل أفضل.

جماليات السرد عند الأستاذ/ سعيد سالم

١ـ أحياناً كان الأديب يستخدم الفانتازيا ليعبر عن هذا الواقع بتقنيات الرمز والإيعاز، وأحياناً أخرى كان يلجأ إلى المباشرة والهجوم الشديد على لسان أبطاله متخذاً من أزمتهم الفردية واجهة للأزمة التى يعيشها المجتمع بكل طوائفه..

٢ـ جاءت اللغة هى الحلية التى أودعها مخزون أفكاره، لغة

بسيطة وسلسة لكى تصل الفكرة بشكل تلقائى إلى القارئ مشاركاً إيَّاه فى عملية التفكير والتدبر..

٣ـ هو كاتب ذو منحى فلسفي، واتضح ذلك فى كثير من الروايات والقصص: "هوى الخمسين" و"الحب والزمن".. يحاول أن يكشف عن غموض تلك الحياة وأسرارها..

هو فى حالة بحث وتضارب الأسئلة التى تجيء على لسان أبطاله فى كثير من نواحى السياق تدلنا أننا أمام كاتب يحمل خلفية إنسانية بعينها وإجابات فصيحة وحكمة لكثير من التساؤلات، مثل: لست أدرى؟.. لست أفهم؟.. ولكنه كان يدرى ويعى فى كل سطر من سطور رواياته كيف يطرح الإشكالية، وكيف تواتى أبطاله الحلول..

هناك دائما نظرة أقل للحياة شديدة التراكيب وشديدة الغموض، تجده بحسه الفكاهى ولغته البعيدة كل البعد عن التجريب يقفز بنا إلى نهايات معتدلة وتفتح آفاقاً لرؤية الحياة بشكل أفضل.. يجنح إلى sarcasme، والسخرية.

هو كاتب متمرد على الأشكال النمطية للقصة والرواية، دائماً هو فى حالة تجدد مستمر.. كما سبق يجنح إلى السخرية فى كثير من الأحيان وإن لم تخل كتاباته من الرومانسية والشجن..

جاءت تجربته فى كتابة "أدب الرحلات" مختلفة ومتميزة، وهى إحدى المحطات الروائية التى سوف أقف عندها: "أقاصيص من السويد"، جاء هذا العمل مختلفاً شكلاً ومضموناً بعيداً عن إشكاليات المجتمع المصري.. نقل لنا نظرة شاب فى الغربة وانبهاره بالعالم الغربى وتقنياته وبساطته أيضاً.. خلى إلى وصف الطبيعة المذهلة الشوارع والبيوت والمصنع لفتت أنظاره تلك السكينة والهدوء، الذى يتمتع به المجتمع الغربى حتى حد البرود.. حرص فى هذا العمل على الكتابة التقريرية يجمع اللقطات فى حركة انتقالية سريعة أشبه باللقطات السينمائية.. يظهر لنا البطل شخصيته مرنة قادرة على التغيير، وجاء التباين من أنواع المواقف التى تعرض لها سواء التى جلبت له السعادة أو التى تحمله على التعاسة والإحباط.. ومما جعل قراءة هذه المجموعة القصصية غنية وممتعة أن الأديب سعيد سالم نفسه كان هو البطل، واستقى معلوماته وكثيراً من الحقائق فى تلك البقعة الخلابة من العالم من المشاهدة الحية والتصوير المباشر.

وتندرج هذة المجموعة تحت مسمى "أدب الرحلات"، لأنه صور ما جرى له من أحداث وما صادفه فى أثناء رحلته التى قام بها إلى السويد، أسوة بابن خلدون، وابن بطوطة، وماركو بولو، وتشارلز داروين، وأندريه جيد، وأرنست همنجواى.

أضاف الأستاذ سعيد سالم إلى رحلته الإبداعية نموذجاً آخر من الكتابات تحسب له لأنه كاتب متنوع ومتفرد فى اختيار مواضيع أعماله، ونجد أنه كثيراً ما يتخذ من أبطاله نموذجاً للمجتمع بكل فئاته؛ فنجد الإنسان النبيل المحترم صاحب القيم والمبادئ، والنموذج المتسلق الانتهازي.. أشخاص تدور بينهم العلاقات على النفعية البحتة والاستغلال؛ كلٌ يأخذ ما يستطيعه ويهرب، كلٌ فى حالة سعار لا تهدأ؛ بريق المال والسلطة لعب برؤوس الناس فأصبحوا بين ليلة وضحاها أشبه بضباع مفترسة، لا تترك فريستها إلا بعد أن تنتزع العظم بعد اللحم؛ فكان شيئاً محتَّماً أن ينال المجتمع ما ناله من انهيار، عبرت عنه رواية "المقلب" بشكل رائع، وهى المحطة الثانية التى سوف نقف أمامها فى مجمل الأعمال الأدبية التى تتعدى الثلاثين عملاً روائياً وقصصياً للأديب المبدع سعيد سالم، كان اختيار العنوان..

يعد العنوان من أهم عناصر النص الموازى لهذا العمل لكونه أولا مدخلاً أساسياً فى قراءة الرواية، وهو أيضاً عنصر محيط لأنه لب الحكاية ومحور ارتكاز الأبطال وهو المكان، وجاء هذا الاختيار ملائماً للغاية لأنه كان بمثابة إضاءة بارعة للرواية بأكملها..

جاء أيضاً اختيار عناصر البيئة الروائية مذهلاً فى مواضع كثيرة أولها المكان، ولعب الوصف لعبة ثنائية لأنه ليس فكرة الوصف فى حد ذاتها التى نحن بصددها عن واقع مترد بعينه، لكن وصف المكان مع الخلفية البانورامية لبحر إسكندرية فى كثير من الفصول، وجاءت اللقطة الأخيرة تعبر عن رغبة البطل فى التطهر والنفاذ من تلك المفاسد والأوزار التى لحقت به منذ اللقطة الأولى..

نسج الأديب فى جدلية محكمة بين الوقائع المتصلة بالمصائر الفردية، فى مستواها اليومى، وبين نظائرها فى الحياة الاجتماعية فى عملية ترميز تتراوح ما بين المباشر وغير المباشر فى أحيان كثيرة، مما كان له أكبر الأثر على إضافة الصبغة الجمالية للنص لدى المتلقي.

حقق بذلك نوعا من الاتساق الدرامى العميق والمكثف لغاية تأسيس وعى جاد، وعميق، وكان بمثابة إدانة صريحة لكثير من السلبيات التى مر بها، ولا يزال، المجتمع المصري، فجاءنا المقلب وأى مقلب؟

وجاءنا "المقلب"؛ فجاءنا بكل شخوصه ونماذجه: "بكر السرياقوسي"، خليل السرياقوسي" ، فردوس شعبان"، أكرم الدقاق"، ناموسة"، يبدأ: "فى ثمالة لحظات العشق المترعة

بالشجن"، وينتهى: "بعاصفة ذهبية حارقة تجتاح العقل"؛ فيعود إلى نسمات الفجر المترعة بالشجن، أيضا إلى الطبيعة وثورتها، ورذاذ موج البحر الذى تمنى "بكر السرياقوسى" أن يغسله من همومه وأحزانه.. هل كان فقد "يوسف" هو نهاية المقلب برمته، أم هذا هو المقلب بعينه؟

هل كان المقلب، مقلب الزبالة حقاً على الصعيد الواقعى للأحداث؟.. أم كان مقلب الدنيا وما فيها من ترديات أخلاقية، وإنسانية، واجتماعية؟.. منذ الصفحات الأولى وكل شخصية تدور معها وحولها الأحداث تعانى من مقلب حقيقى فاجأتها الأشخاص الأخرى به.

يفاجأ "بكر" برفض والد "فردوس" له.. تفاجئ "فردوس" برفض العائلة لأفكارها، وتأخذ مقلب عمرها عندما يتزوج "بكر" من أخرى.. يفاجأ الكل بمقلب "أنيتا" وهروبها بـ"يوسف" الذى تسميه "جوزيف" إلى ألمانيا. اختفاء "فردوس" من على الساحة.. هل كان أيضا هروباً آخر؟.. مبقلب من المقالب التى لم يكتف المبدع الأستاذ/ سعيد سالم باتحافنا بها واحداً وراء الآخر.

اختيار المشهد الروائى جاء جديداً طازجاً يعبر عن واقعنا المرير بكل متغيراته، حتى الأفكار والعادات نالها ما نالها من القمع اللا إرادى.

وجاءت الصفحات الأخيرة للعمل لتلخص فكرة الكاتب، والخيط الذى ربط به الأشخاص بعضهم ببعض، وجاءت مناجاة "بكر السرياقوسى" وهو يحكم صنارة صيد من أروع المشاهد الإنسانية على الإطلاق التى يتلاحم فيها الشعور بالكره مع قمة الشعور بالحب والرضى، والتسامح.. كل الضغائن تذوب، وربما تتبدد وتتحول مع الشروق إلى نسمات هادئة طاهرة ومطهرة.

هل أراد الأستاذ/ سعيد سالم بالمقلب أن يدق ناقوس الخطر على ما هو آت؟.. هل أراد أن يزيح الغشاوة عن أعين القراء ويجعلهم مشاركين هم أيضا فى المقلب..؟ أم مباركين لكل هذا الكم من المقالب التى لحقت بنا وبمجتمعنا فأصبحنا جميعنا نعيش فى المقلب، وأى مقلب..!!

المجموعة القصصية: "وجهات براقة"
للأديب المبدع/ فرج ياسين
"المكاشفة الذاتية..والبوح الفياض فى رحلة سرد"

سعدت كما لم أسعد من قبل أن تتاح لى تلك الفرصة الرائعة أن أمر بقلمى المتواضع على هذه المجموعة القصصية المبهرة، وأن أحاول أن أضيف شيئاً من الضوء، بصيصاً منه بعد إطلالة كل من الأديبة "سوسن البياتى" والناقد "مالك المطلبى" والأستاذ "محمد صابر عبيد"، وغيرهم من أفاضل النقاد الذين تناولوا هذا العمل الأخاذ..

أبدأ معكم أطروحتى النقدية بعبارة للفيلسوف الألمانى "نيتشه": "إن مرماى أن أقول فى عشرة جمل ما يقوله غيرى فى كتاب".. ويبدو أن قلم المبدع كان كذلك، أشار فى بضع أقاصيص إلى عالم أرحب لا تحده القصص والحكايات..

هل أنا فى "جامع السيفانى"؟ أم أمام "دار الوالى" فى بغداد فى رحلة بحث عن ماضى الأسلاف ووجوه وأناس ووجه فتاة معينة قد تغير؟ أمامى طفل يمسك طبشورة، ويخط حروفه الأولى.. أم يحكى حكاية عمر.. يفك حروف الكلام..

يرسم زمناً.. يسترجع ذاكرته ليعيد تركيب كل ذلك مرة أخرى فى عبارات وصور وأسلوب حاضر واعٍ. يمسك بنا ليرينا هذه الأشياء كلها.. يجعلنا نضع مثله الأشياء التى لا نريد أن نفقدها فى الحقائب: دمية، قنينة عطر، رزمة ورق، صور الأحبة، سيف، ساعة، بندقية.. نلهث فى تلك الرحلة إثر حكاية.. تلك الحكاية عن ثوب بنفسجي قصير الأكمام، وعندما نصل إلى السوق الكبير يهتف بنا الجد كما همس لحفيده:

"لا تقل لنفسك ابدأ ..إننا تجولنا فى مدينة معينة، ولكننا لم نعثر عليها.."

تختفى أقاصيصه داخلنا خلف تلك الستائر المسدلة يتسنى للنور وللحرية الخروج للقمة.. نجد دروباً وحوارى وأمكنة أزيلت عناوينها وغامت ملامحها، لم تعد الشمس تسطع فى السماء بل صارت تسطع فى الغبار.. نجد كل شيء صار ناطقاً صورةً وصوتاً.. فى هذه الأقاصيص الشغوفة بروح المكان والتاريخ، تبحث عن الهوية الزائلة، تزامناً مع ما تعيشه القصة العراقية من حراك على مستوى الشكل والرؤية سعياً إلى تأثيث ذاكرة المستحدث بشيء من الدهشة والمغايرة، كان شغل المبدع "فرج ياسين" الشاغل، طرح تجديد فى القصة عن طريق التجريب والسعى إلى

ابتكار وقفة خاصة أمام الواقع من أجل الإمعان فى قراءته بشكل موضوعي وفني.. أفرد مساحة للنبض الحقيقى لقضايا باتت تشكل نسيجاً ساطعاً لواقع تاريخى يحاصر حياتنا ويعيد صياغتها، أشد تأثيراً من الواقعية السحرية والخيالية أيضاً..

امتلك الأديب القدرة على التقاط المشهد الإنسانى بأدق تفاصيله بكل ذكاء وحساسية إنسانية وإبداعية رائعة.. يستحضر لتلك اللقطات شكلاً مغايراً للغة.. يجعل من أدواته ريشة دقيقة ليرسم الحالة الفكرية والذهنية والنفسية التى تمر بها شخوصه المختلفة.. والغريب أننا بصدد قراءة قصص معينة مبنية أول الأمر على فكرة الثنائيات فى الحكي: المحكى عنه، واللسان السارد الواعي..

هو البطل فى كل المحطات، فى كل القصص تقريباً، هو الابن الذى يرافق والده.. الابنة التى تنتظر على عتبات البيت.. الأم.. المدرسة.. الخال.. الجد.. الحفيد.. وامتلك أيضاً تلك البساطة فى توظيف الأشياء، والأماكن المعتادة والرمز الأسطورى أحياناً، لإخضاع قلمه بفكرة المكاشفة الذاتية، والبوح الفياض فى رحلة مضنية، أثر الوقت والزمن الراحل فى عجالة متناهية يمسك بحبل الوقت المشاكس الذى يلفنا

معه ويغتال سنواتنا البعيدة.. يعمل على استحضاره بشكل عجيب، ومفارقة مدهشة مثل طفل مشاغب لا يمل من اللعب والشقاوة، فى دهاليز الصمت والمسكوت عنه.. يسجل تاريخاً، وهوية لمكان كل حدوده نائية على صفحة خريطة زائلة.. يعبر بجد لا ينضب ومحبة لا تشيخ عن ما كان قائما: الأمان.. العائلة.. الأفراح البسيطة والأزمنة الناعسة.. القباب العالية.. الوطن الذى يظل قابعاً وماثلاً فى كل صفحة من أقاصيصه الصغيرة وحكاياته المدهشة وعالمه السردى الفريد، بداية من أول حكاية "تمرين" حتى آخر حكاية "الآن" محافظاً على سحره الخاص، فى اقتناء مفرداته المعجزة وتأويلاته البلاغية الملموسة.

جاء من هنا اختيارى لعبارة "نيتشه" لأنه اعتمد فى كتابيه للقصة القصيرة على: الوحدة، الجرأة، التكثيف، المفارقة، استخدام الإيحاء، التلميح والإيهام أيضاً، واختيار العناوين المحيرة التى تأتى لحظة التنوير فى نهاية كل قصة كسطر مكمل أو كخاتمة ونهاية محيرة.

دعائم البناء والنسيج في المجموعة:

١ـ كما سبق أن ذكرت أن الكاتب قد اعتمد على "لعبة الثنائيات"، وتتمثل فى وجود عالمين، أو حالتين متقابلتين فى

النص القصصى (حلم/ يقظة) (صور حقيقية/ صور معكوسة) مثل: البطلة فى قصة "الخال" كمثال على هذا التحليل النقدي.

٢ـ القصة عند المبدع "فرج ياسين" مثلها عند الكاتب الفرنسى الراحل "جي دي موباسان" تتكون من لحظات منفصلة أى أنها تصور حدثاً معيناً لا يهتم الكاتب بما قبله أو بعده، وإن كان لكل حدث دلالته التاريخية المعبرة عن زماننا المغاير والمتحول بشكل كبير.. وتحمل المواقف من المعانى قدراً كبيراً.. كل هم الأديب أن يصور تلك اللحظات وأن يستشف القارئ ما تعنيه هذه اللحظات الفاصلة فى حياة شخوصه.. هذه هى دعائم البناء والنسيج فى تلك المجموعة التى نحن بصددها اليوم: "وجهات براقة".

٣ـ تعتمد على الحبكة المفككة، أى يضعنا القاص أمام أحداث متعددة غير مترابطة برابط السببية، وإنما هى مواقف وحوادث وشخصيات لا يجمع بينها سوى أنها تجرى فى زمان أو مكان واحد: السندرة، البيت، الحديقة، ودائماً نحن فى حالة بحث.. البحث عن الأشياء القديمة فى السطح، فى دولاب (الخزين)، فوق الأرفف، تحت الكوم فى أعشاش القطط، نحن نبحث ونلج معه فى دهاليز صندوق الذاكرة.

٤ـ ينطلق الفعل الدرامى أى الحدث، تارة بلسان الحكّاء المشاهد والمشارك فى المشهد فى آن واحد.. ودائماً وأبداً يكون الابن، كما ذكرت يصف ما يفعله والده فى لحظه خاصة مثل قصة "وجهات براقة المحرقة" ص ١٦

٥ ـ لا توجد شخصية رئيسية تستطيع أن تشير إليها، ولكنها تلك المفارقة التى تجمع الابن، الأب، الجد، الحفيد، الفتاة، الخال، الضرير والمكشوف عنه الرؤية الدرويش، والعين الناظرة التى لا تجد ما تبحث عنه فى حكاية: "سديم"

خصائص السرد عند د/ فرج ياسين:

اعتمد المبدع بشكل كبير على "المونولوج الداخلى"، تأتى مؤشراته عبر تلك الجمل الخبرية.. أفعال الحركة.. الفعل الماضى لسرد الأحداث، ويأتى بالمضارع ليضعنا فى خضم الأحداث، مستخدماً أيضاً أدوات الربط، وإن كان يغلب على أغلب القصص القصيرة الزمن الماضى.. والسرد المركب تكون فيه وظيفة الكلام أو الحوار إخبارية..

النمط الوصفى:

أيضاً اهتم الكاتب بشكل كبير بتصوير الرؤية الداخلية التى بها الكثير من المجاز، وهو يعبر عن وجهة نظره الذاتية أيضاً، وعامة استخدام الأفعال الماضية أو المضارعة

والوصف الإنسانى كلها مؤشرات للدلالة على حيوية النص وحرارته.. كاتب يهدى لقارئه قصة تشجيه ولا تنتهى حيث تنتهى الحروف، ص ٦٠

نحن بصدد فن قصصى ملتزم، سهل وممتع؛ الكاتب يصنع نصه متناولاً النفس البشرية وسلوكها وأهواءها، اعتمد على تداعى المعانى النفسية، ومعتمداً أيضاً على تلك اللقطات الفريدة لآلام البشر ص ٥٥، ويسلط الضوء على ثغرات تؤثر فينا أو فى كل قارئ بدرجة ما.. أشياء نفصح عنها.. وأحياناً لا نستطيع مهما امتلكنا حجة البيان، وبلاغة البوح..

تفرد السرد عند د/ فرج ياسين، يكمن فى تلك البساطة فى تناول المواضيع، واختيار القصة.. أى الفن القصصى، ذلك الفن المراوغ الجميل، يحمل تكنيكاً جديداً فى كل مرة، وهو مهتم دون إبراز ذلك بشكل كبير فى صياغة نظرية فنية للقصة القصيرة، محورها الأساسى:

١ـ وحدة الانطباع . ٢ـ عدم تعدى الشخصيات والأمكنة.

غزل لنا أقاصيصه التى تؤكد على تلك الوحدة والعزلة لأنه فنان شديد التفرد، الشخصية الرئيسية عنده تقوم بفعل الأحداث وهو الابن.. الحفيد.. المشاهد طوال الوقت.. منحه

القاص حرية الحركة والتعبير.. ثم تأتى الشخصية المعارضة، وهى الشخصية التى تأتى إما لعرقلة مسعى، أو فرض صوتها على الحدث وتشكيله أيضاً..

الشخصية الأولى لا تتغير ولا تتطور، تولد مكتملة على الورق وتتطور تدريجياً من الناحية النفسية حسب مجرى الأحداث فى القصة من حالة نعسان إلى حالة يقظة، من حالة ألم أو شجن إلى حالة انفتاح وانشراح.. غاية اهتمام القاص تصوير هذه الشخصية من حيث البعد النفسى ويأتى عن طريق رسم الشخصية من الداخل فى لمسات خفيفة وسريعة أثناء السرد.. يشرع القاص فى عرض قصته من حيث لحظة التأزم، ومن ثم يعود إلى الماضى ليروى بداية حدث لقصته أى يستخدم ما يسمى بتقنية الارتجاع الفنى، بأسلوب السرد المباشر ص ٦٧ (يمشى فى الغبار)

وأخيرا فيما يختص بالبناء السردى كان لابد من التوقف أيضاً أمام براعة الاستهلال التى تشد القارئ إلى متابعة الأحداث.. أحيانا يقوم عنوان القصة بدور المقدمة التى تثير التساؤل والدهشة، كأنها أضواء خافتة تنير الطريق إلى مجهول يكتشفه القارئ كلما تقدم فى القراءة.. مفاتيح النص كانت عتباته..

والجدير بالذكر أن القاص قد قسم المجموعة إلى ثلاثة أقسام: المجموعة الأولى: تصدرت عتباتها مقولة شاعرة رومانية: "نتمنى أن نولد.. فى ساعة ميلاد أطفالنا لكى نقول لهم أنهم علمونا.. وهزوا مهدنا..". بداية لكل تلك الحكايات الحزينة، لكل هذا السرد الموجع، حكايات الأطفال، كم هى رائعة وشفيفة.. ثم تأتى حكايات الحكمة والخيال المجنح فى المجموعة الثانية، يبدأها بأبيات شعر كتبها سنة ١٩٧٥: "أتسمى ما كان يولول فى الأسمار غناءً.. أتناجى مجمرة تحت عريش ميت.. تحسب أنك تلقى قمراً.."..

ثم يفاجئنا بتلك الأقاصيص الصغيرة جداً فى المجموعة الثالثة، وتبدأ عتبات الحكى بهذه العبارة: "هيا نرتب الزهور.. فى ذلك الإناء الجميل.. ما دام ليس عندنا أرز..".. "باشو"

العتبات النصية تجعلنا نرصد بعض الملامح الخاصة مثل انتماء بعض النصوص إلى الغرائبية، والاعتماد على الخيال بشكل كبير، وتخلص الكاتب من قيود القصة التقليدية وكتابة غير المألوف.. وتنتهى كل قصصه بلحظة تنوير، ختام طريف، مفاجئ فى غاية الروعة والإحكام.

الإطار الدرامى المكانى:

١ـ وفق الكاتب فى إبراز المشاهد المأساوية عن طريق

وصف مـلامح مكـان أو أكثـر، لأنه فـى ذاكـرة الأبطـال لم تعـد هناك تلك الأمـاكن التى عـرفـوها: "مـا عـادت الأشـيـاء تسكن أسـمـاءهـا" تعـدى ذلك الإطار حـدود البـيت، أصـبح الـوطن بحـاراته ودروبه ودكاكينه، والسـوق، والمدرسة، وأجـمل وصـف لمكان أفرد فيه الكاتب براعته، كان فى قصـة "خـروج"، والتى تدور فى جـامع السـيفـانى، الذى لم يعـد كـمـا كـان.. صـار الوصف هنا إحيـاءً مجازياً، وصـفاً ألقاً مزيداً زاخـراً، نموذجاً مـزيداً إذا مـا أردنا يومـاً العـثـور والتـعـرف علـى العـراق فى ذاكـرة التـاريخ، فيكون فى أوراق المبـدع "سـدوم" ص ٤١ ص ٦٠ "خـروج"

٢ـ المكان يعكس على شـخـوصـه حـالاتهم المزاجـيـة أيضـاً، نجـده فى قـصـة "سـتـائر مـسدلة" ص ٥٥: اهـتـم بوصـف البطلة والمكان، وشكله الآن، وشكله الذى كـان، ومـا أصـبح عليـه، وهمـا فى حلبـة رقـص يرتشـفـان مـن كـأس الذكـريـات المر.. عجـزهمـا عن الرقص.. فى مشـهـد تشـخيصـى حى بالمشـاعـر الفيـاضـة بعد زمن الحرب، حـوار البـطل مع نفسه، واختيـاره للجمل الموحية ببشاعة المأساة وهول وقعها.. ص ٥٥

"حـزبه أن مـا فى حلقه من المرارة لا تغنيـه رشـفـة عـابرة.. فكيف بهـا.. وود لو يعـرب لهـا عن رغـبـتـه فى الـنزول إلى

الحلبة.. يأخذ بيدها.. ثم يقوم بمحاصرتها أمام الجميع ولكنه قال لنفسه: عجبا ومن أين ستأتى بساقك الأخرى التى تناثرت عظامها هناك على أرض المعركة؟"

الإطار الدرامى الزمانى:

من الممكن أن يكون ساعة زمن، أو نهاراً بأكمله، ولكنه يعود بنا دائماً إلى زمن مضى، ولت أيامه وشخوصه يطول فيه الوصف ويعجز عن رصده الوقت الآن، وكأننا فى ساعة ورد يسجل فيها الكاتب مشاعره ومواقف البشر التى كانت، ويسجل بعدسة دقيقة تغير الزمن وتغير آليات المجتمع وأحواله.. ص ٤١ "سدوم"

النهاية

نجاح الفن القصصي عند د/ فرج ياسين، اعتمد بشكل كبير على براعة الكاتب فى إدارة الحوار بين الشخصيات، وجاءت العبارات قصيرة وسريعة، وكذلك أسلوبه الرائق فى استخدام الألفاظ والجمل الشاعرية، واللحظات الخاصة المليئة بالدفء؛ لا مجال للاستطراد أو التكرار، يضع دلالاته فى أقل قدر ممكن من الكلمات ويكشف عن معاناة الإنسان الحقيقية وخوفه من الفقد، والتوهة، والنسيان.. ص ٣٧ "ثوب بنفسجي قصير الأكمام"

مما لا شك فيه أن أسلوب القصة هو الرداء الحقيقى المبهر لأى عمل فنى جاء بعيداً عن الإسهاب العصري، ووضع الألفاظ واختيارها فى عبارات قصيرة نابضة، منسقة النغم، كأنها قطعة موسيقية، عذبة الرنين..

كاتب له رؤية جديدة، يحمل نبضاً سريعاً وشاعرية متدفقة، تحمل كل قصصه صياغة فنية مبتكرة، تنبع من أسلوبه الأخاذ، وحرفيته تتضح فى السرد والوصف يضعهما كما لو كانا فاعلين فى الحدث، وليس زينة له، والحوار بين الشخوص هو تلك النافذة التى نطل منها على ثنايا القصة..

استخدم العديد من الأساليب التقنية لتقديم شخوصه والتعريف بها.. يكتب كأنه يرسم ثم يعاود الإمساك بالقلم ليسطر نهاية كل لوحة..

"النيل والبحر"
(الرواية ما بين التاريخ والتاريخ)
للفنان "عصمت داوستاشي"

رواية "النيل والبحر"، للفنان "عصمت داوستاشي" هى رواية حديثة من حيث الشكل والمضمون، تلفت النظر إلى إمكانية التفكير فى سردية متفتحة التسجيل تتجاوز التسجيل والتقرير وتجذبنا نحو الحقيقة المنفلتة للحياة وللواقع الإنساني المعاصر.. رواية لم يكن فيها شغل المبدع الشاغل مدى مطابقة الجانب التاريخى فيها للواقع، بقدر ما أتاح لنا أبعاداً جديدة من التخيل والاستشراف عبر اللوحات والمشاهد الروائية.. رواية يتمثل فيها للقارئ ما يسمعه كأنه يراه بل ويعيشه بالفعل فيعاود التفكير فيما سوف يفعله.. بهذه العبارة أبدأ أطروحتي:

"الفن مرآة للواقع، والفن الحقيقى هو الذى يعكس بصدق ما نشعر به فيظل العمل خالداً فى الأذهان إلى الأبد"

١- البناء الدرامى للعمل:

أى رواية تعتمد على حدث بعينه، وكثيراً ما تعتمد على الحدث التاريخى كمرجعية حقيقية للعمل الروائى، وأيضاً

تعتمد على شخوص وحبكة، وجدير بالذكر أن أبطال العمل خرجوا من عباءة التاريخ معنا ولدينا توثيق آخر، وصار لدينا فى هذه القصة مرجعيتان:

أـ مرجعية حقيقية متصلة بالحدث المباشر، ألا وهو ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١

ب ـ مرجعية تخيلية مقترنة بالحدث الروائي: نزوح عائلة "ماستوريياني" ابن الخواجة " تربانى" طبيخة الكبير..

يكاد يكون فيها التاريخ منظومة من الأحداث والتمثلات لواقع قائم متجه من الماضى نحو الحاضر.. وأستعين فى هذا المستهل بما كتبه: "بيير دانييل هويت" فى بحثه عن أصول الروايات: "أنه لا ترتبط الرواية بالتاريخ لتعيد أحداثه فقط، ولكن ترتبط الرواية بالتاريخ للتعبير عما لا يقوله التاريخ"

جاءت من هنا مصداقية النص، وبناؤه الحديث، "النيل والبحر"، وبذلك يتم وضعها فى مركز الصدارة لأنها تمثل أحد نماذج الكتابة الحديثة.. احتوت على شكل سردى خاص يعيد تأمل المصير لأزمنة الواقع وتحولاته..

وجدير بالذكر أن افتتاحية النص "بحر الإسكندرية ونيل رشيد" الذى وضع فيه الكاتب أسس فكرته وأطلعنا على خطوطها العريضة إحدى علامات التجديد، موضحا طريقته المبتكرة فى كتابة الرواية:

"أكتب مباشرة من خيالى لألحق زمن الثورة، قبل أن ينمحي، والعام قبل أن ينتهي، والعالم قبل أن يتلاشى، وحكم العسكر قبل أن يبدأ من جديد" ص ٦

٢ـ عمل على توسيع دائرة التخيل؛ جاءت أسماء الأبطال ـ فى القصة ـ جديرة بالاهتمام، وخاصة أن الكاتب وضع فى نهايتها تعريفاً دقيقاً لكل ما تم ذكره، ولو على سبيل المثال فى النص مثل "إقليدس"، "هوميروس"، "الإسكندر المقدونى"، "فينوس"، "أفروديت"

غزل من الحكاية عقداً متصلاً، عنصر الغرابة كان إحدى مفارقاته الكثيرة، وعنصر الحقيقة فى استخدام أسماء بعينها مقربة من الكاتب نفسه مثل: اسم عبد الله وهو اسم ابنه فى الواقع، واسم آدم وهو اسم حفيده أيضا، واسم جدته وجده بعد الإضافة.

جاء الوصف لمدينة الإسكندرية ومدينة رشيد غاية فى الدقة والبراعة؛ فأصبح الكادر الخلفى للعمل الإبداعى مليئاً بالشوارع والأسواق، والميادين، نرى الآثار الغارقة ونتمتع ببيوت رشيد القديمة، واستخدام اللغة الإيطالية التى كانت دارجة فى الحوارات العامة لإثراء العمل والإشارة إلى وجود الأجانب فى تنقية أجواء الرواية والحدث التاريخى المذكور، لها أشد دلالة على أصالة المبدع وثقافته الواسعة..

٣ـ العمل ككل يحمل خصائص الغرائبية السحرية بكل رموزها، وأشكالها المعروفة: دخول عالم الأساطير، وإحاطة الأبطال بهالة من السحر، ويحمل في نفس الوقت خصائص الواقعية التجريبية؛ لأنه يشكل نوعاً آخر من القص الروائى كأنه يكون قطعاً من (البازل) ويضفرها الواحدة بجانب الأخرى بأحداث واقعية معاشة.

"النيل والبحر" من أكثر النصوص دهشةً وانفتاحاً على عالم الرواية بمفهومها الحديث فى هذا العصر، والمقصود هنا كتابات الحداثة. امتلك المبدع مفردات جديدة، وأحالها إلى عالم له أدواته الخاصة وتشكيلاته محاولة منه اللحاق بركب التطور فى بناء السرد الذاتى وخاصة أن العمل تداخلت فيه الأصوات..

يحمل صوت الراوى العليم، وهو البطل والكاتب فى آن واحد، رواية من القطع المتوسط كُتبت فى نوفمبر ٢٠١١ وتم إصدارها للاحتفال بذكرى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١٢، وهى نجمة الأعمال الروائية فى مسيرة الفنان "المبدع القدير" الأستاذ/ عصمت داوستاشي.. "إنه فرح الأفراح وملخص خطابات الابن لأبيه وحتى عندما تقترب النهايات كل البدايات تبدأ من جديد.."

كاتب له خصوصيته وإبداعاته العديدة، يأتى إلينا فى كل مرة حاملاً فى نصه دعوة جديدة للتنوير، وراية للرحمة لكل شهداء الوطن الأبرار.. أعطانا الكاتب منذ البداية دلالات وعلامات الولوج إلى النص:

جاء الغلاف لوحة من لوحاته التشكيلية الفذَّة، تظهر ملامح الإنسان المصرى بكل أوجاعه، وصموده، وجلده، ووضع شريط التعزية فى أعلى الغلاف دليلاً على حزنه الشديد.. لا يمكن للقارئ أن يتجاهله.. وها هو الإهداء يتصدر المشهد: "إلى كل من لا يصدق أحداث هذه الرواية.." فهل يصدق كل ما يحدث فى مصر الآن؟

يبدأ معنا بالتساؤل والسخرية المريرة، فكان من المستحيل الولوج إلى قلب النص وتفاصيله دون الوقوف أمام عبارات الختام أو القفل بعد كل وصل، يسدل فيها عن حكمة تحمل نثراً أو أغنية شعبية، أو مأثورات متداولة تحمل فى طياتها العظة لمضمون الرواية.. اخترت لكم بعضاً منها لدلالته القوية: "فاسمعوا كلامى ولا تيأسوا.."

- طريقى طريقكم فلا تبطئوا..
- المدن التى تطل على بحر أو نيل تصنع تاريخاً..
- لا تصدق أنك تفعل شيئاً.. نحن نفعل كل شىء..

- توقع أى شيء، وحقيبة ملابسك جاهزة معك دائماً..
- المدن العظيمة لا تموت أبداً.. البشر يفنون..
- للقدر ألعاب وللبشر أحلام..
- تأتيك الخيرات.. بأعمالك الطيبة
- "فى رحلتك يا بنى الثانية..غربتك حزن وأنين"
- "الرحمة من صفات الرحمن.. والبشر فقط يتمنون"

٤- النص الروائى ما بين الفن الواقعى، والفانتازيا

كلنا نعرف أن الفن الواقعى يحمل عناصر محددة فى تكوينه وعباراته الهادفة غلى فكرة بذاتها، ويحمل الفن الرومانسى أحلام الشعراء ويحقق فى عالمه الافتراضى المستحيل، وتجنح فيه التجربة الإبداعية إلى سمو الروح عن الجسد..

رواية "النيل والبحر"، رواية واقعية من حيث الفكرة والمضمون، وفى نفس الوقت تحدثنا عن مشاكل حدثت فى وقت بعينه ولا تزال تحدث إلى الآن.. وتتطرق بنا إلى الحياة اليومية الحاضرة؛ لذا كان من المدهش أن يعود بنا الفنان لأنه مبدع دائماً، بقلمه هذه المرة إلى نمط روائى متجدد آخذاً شكل الفانتازيا، وملمح من ملامح التاريخ الواقعى.. يتضافر فيها الحاضر مع الماضى بكل سحره ورموزه وإشكالياته مع

أحداث معاصرة تبدأ من أول صفحة بذلك البوح الفياض من بطل الرواية حتى آخر سطر فيها، مجسدا كل الحكايات فى دفعة واحدة:

حكايتنا القديمة منذ "محمد على باشا"، وحكاية أسرة عاشت منذ ذلك العهد حتى وقتنا هذا، مروراً بالجد والابن والحفيد: زيجاتهم.. عملهم، موضحاً آراءهم ومتغيرات العصر وأيدلوجياته، من رأسمالية فجة إلى ليبرالية مشكوك فيها، إلى عصر الاستبداد والظلم، يعالج مشكلة الفساد السياسى والفساد الاجتماعى والأخلاقى أيضا، وكيف نشأت التفرقة الطبقة فى مجتمع واحد يتحدث نفس اللغة ويؤمن مثل أسلافه بالحرية والعدل والمساواة..

استخدم هذا المبدع القدير، قالب الفانتازيا ليكون ركيزته الروائية فى بناء عالمه السردى، ومن هذا المنطلق يفضح تلك الأنظمة الغثة، ويكشفها أمام العالم فى سطور قليلة.. كيف التحم المال مع السلطة، حتى أنجبت تلك الحكومات الفاسدة، موضحا التنازع المتدنى بين الطوائف المختلفة حول فكرة الزعامة والحكم.. ويشير إلى هؤلاء البسطاء الذين أصبحوا يغمضون أعينهم عن الخطر المحدق بهم، الأمر الذى يشبه فى كثير من الأوجه واقعنا العربى..

ومن المعهود فى هذا الشكل الروائى أن كل ما فيه خيال فى خيال تصدمنا فيه الواقعية، لأن كل ما يدور فيها يعتمد على المنطق وتسلسل الحدث التاريخى. ويفرض السؤال نفسه: هل نحن أمام حكى أسطورى؟

بالفعل اعتمد المؤلف بشكل كبير على مقدرته الأدبية فى خلق عوالم جديدة، وبناؤها الدرامى أضاف بعداً عميقاً وقوة لا يُستهان بها للرواية.. وربما يحضرنى الآن رؤية الكاتب العظيم "بوشكين": أن الفانتازيا هى فكرة المزج بين الواقع وبناء العوالم الخيالية أو المختلطة التى لا تمت للواقع بصلة، وهنا تكمن الصعوبة الكبرى لأنه صنع بكل بساطة عالماً متكاملاً دون أن يحدث فى الرواية تضارباً داخلياً.. وهذا يدل على أنه امتلك أدواته جيداً.. بل ويدل أيضاً على امتلاكه خيالاً جامحاً، وعقلية تتسع لأمور كثيرة ومتشابكة ومتعددة: "أحاول تذكرها وروايتها للتاريخ لتكون عبرة" ص ١٠

وهو بذلك يعلن صراحة عن صبره الطويل، ويوضح قدرة الفن على توصيل الرسائل، وهو أيضاً لا ينسى أبداً أنه فنان تشكيلى استطاع أن يستخدم خياله الفذ فى رسم عالم أكثر مثالية، ربما من واقع أصبح كل ما فيه يجثم على صدورنا..

أصبحت رواية "النيل والبحر"، تحمل أيضاً صفات رواية

تيار الوعى تخلى فيه المبدع فى أحيان كثيرة عن الحبكة الفنية المحكمة، واستبدلها بالتصميم الفنى الهندسى فى بناء روايته، وهو يشبه نظم التصميم فى الفنون التشكيلية، وصارت لديه حرية القفز بين الأنواع الفنية.. أراد الكاتب أن يعبر عن وعيه الدقيق وإدراكه فى واقع آخر متأزم.. حكاية تربانى وعائلته وحكاية مواطن بسيط الذى هو رمز للإنسان المصرى المأزوم سياسياً وثقافياً فى ظروف قاهرة ضاقت فيها مساحة الحرية الفردية. جاء من هنا الإصرار الشديد على مزج الواقعى بالسحرى، مما أحدث مرونة فى الحكي. زاد من رونق العمل سرعة الإيقاع، والبعد عن التفاصيل، والإغراق فى التحليل، قصر النصوص، تقسيمها إلى عناوين صغيرة؛ فجاءت ثلاثية الأبعاد فى النص المقروء لأن فيه: أـ البعد الزماني.. ب ـ البعد المكانى الواقعى. ج ـ البعد السحرى الأسطورى، وهناك جاءت أيضا تلك التقنية الحديثة فى تفكيك وحدة الزمن وأحياناً تجميده.

اللغة: وكانت اللغة المستخدمة أقرب إلى السخرية والتهكم، وجاءت أيضا فى هذا العمل بسيطة بساطة العالم الأسطورى الذى تصور ملامحه، تدخلنا الجمل السهلة القصيرة والتعبيرات فى سراديب عالم مسحور يشبه ألف ليلة

وليلة، لكن الكاتب يمسك فيه في الوقت نفسه ببراعة بطرف الحبل ليخرج من هذه الحكايات إلى عالم الواقع..

النهاية: صارت مهمة رواية "النيل والبحر" في المقام الأول تكمن في إثارة الأسئلة والتساؤلات وطرح الأجوبة أو بعضا منها؛ ولذا فهي رواية ذات لون خاص في بنائها وأسلوبها، تميزت بقدرتها على تصوير أزمة من أزمات الوجود المعاصر، أثارت فكرة القمع الفكري والاستبداد الرأسمالي، والفساد بكل طوائفه وشخوصه.. وكأنها مرآة كما سبق أن بدأت حقيقة لواقع نأسف أننا بشكل أو بأخر تصادمنا في زمنه، نحمل تبعاته، ويتشكل عطاؤنا ويومياتنا وبل وحالتنا النفسية والاجتماعية به.. هذه هي المفارقة الكبرى لأن العمل في حد ذاته لم يعد عملا روائيا فحسب أو عملا يعمل على رصد الواقع فحسب بل عالما يعيش الحالة في أوج اشتعالها وارتباكاتها الانفعالية، وكأننا أمام شريط سينمائي يبدو فيه المطالع والقارئ أحد أبطال العمل حتى وأن لم يتم ذكره في الأحداث لأنه بكل بساطة يعايشها يوماً وراء الآخر..

الروائية الفلسطينية/ بشرى أبو شرار

فلسطينية العينين والوشم،

فلسطينية الاسم،

فلسطينية الأحلام والهم،

فلسطينية الكلمات والصمت،

فلسطينية الصوت،

فلسطينية الميلاد والموت،

حملتك فى دفاترى القديمة

"فلسطينية كانت ولم تزل"   الشاعر/ محمود درويش

إنها الكاتبة الفلسطينية "بشرى أبو شرار"، ورحلة على الورق، رحلة مع الأنين.. أديبة تحمل وجع الفقد، وترسل صفحات ألمها للشمس تارة، وللغائبين تارة أخرى، ولكنها تكتب لفلسطين فى كل مرة.

ماذا يبقى من الوطن، من الأهل، من الأرض، بعد سنوات من الغزو، الاعتداء.. ما الذى تتركه العاصفة خلف أسوار مدينة لا تنهزم، لوحات زيتية لإسماعيل شموط ربما.. قصائد لمحمود درويش، وحياة كاملة التفاصيل ترويها كاتبة بدمائها،

وأحبار المنفى حجر أساس لتاريخ جيل بأكمله تحمل فى طيات صفحاتها "أنين المأسورين"..

ما بين الأمس البعيد، غيوم غطت بردائها على الساحة العربية طاقة من النور تندلع من "شهب من وادى رام"، تحمل "القلادة" خريطة وطن ومفتاح بيت ما عاد هناك أحد فيه ينتظر.. "جبل النار"، وضوء متقطع يبعث من "أعواد ثقاب"، "من هنا وهناك"، وبين اليوم بواقعه الأليم، "شمس" تضحك.. "قمر فى الظهيرة" يبكي، و"حنين" لا ينتهي، إلى "دورا"، وجداريات على التاريخ لم يخف وهج طلائها..

مساحة من الشجن، نسجت الأديبة بشرى أبو شرار عالمها الخاص جداً الذى يحمل رسالة واضحة، أينما هى تكون تظهر القضية الفلسطينية واضحة بين السطور..

تنسج خيوط المؤامرة عن قلب امرأة جريحة وقعت فى الأسر، أسر حب الوطن الذى لا يضاهيه حب آخر.. من وراء السر من وراء جدار، ومن وراء الهزيمة وفقدان الهوية تنسج لنا خيوط تلك المؤامرة والذين وقعوا فى أحبالها.. كلنا هذا الأسير.. كلنا يحمل فى صدى قلبه الأنين، وقلماً لا يملّ من التدفق بنقرات الدق المتواصل على الجرح الدفين، بقلب أتعبه

الفراق - وفاض به الحنين - بقلب يهفو إلى تراب الوطن تحط أقدامها هناك حيث يعلو الجدار..

جاءت رواية "من هنا وهناك"، واحدة من وسط الدائرة، تقودنى إلى عالمها، حيث البحث عن الهوية هو همزة الوصل التى جمعتنا ربما، البحث عن النفس فى أزمنة لم تعد ألوانها تلون السحب عند شروق الشمس.. سكنت معها فى "دورا"، وأنارت لى أعقاب الثقاب الواحد تلو الآخر.. وبدأت تغرس النصل فى الجرح، بتلك الجملة الذهبية التى عبرت بها عن فجيعة الأمة بأكملها: "وطنى قطعة جبن مثقوبة"، وانتظرت على أرصفة المحطات من الإسكندرية ومحطة سيدى جابر ليس أمامها سوى شحذ معول الصبر..

تمضى محطات حيث مضى قبلها مئات إلى مدن وساحات ومنحدرات وسهول تقطعها الحافلة المليئة باللاجئين واللاجئات حيث كلمة العودة باتت من المستحيلات، تظل البطلة "جميلة" تعانى وجودها فى كل مكان حيث هى فلسطينية وهوية تحملها حتى ولو ضاعت كل البطاقات "لى بطاقة هناك"

تحدثنا عن فتاة كنعان، عن طولكرم، وقمر الوديان، عن ذلك الفارس الذى يسكن هناك وتمتطى صهوة جواده، رغم

الأحزان والفراق تحكى لنا عن المقاومة ورجالها.. تتشبث بصورة عائلة جمعها الشتات محفورة فى ذاكرة القلب إلى ميعاد يوم تلحق بهم تسابق الزمن والأحزان، وتسخر من القدر إن مر وفات.. تكوِّن بقطعة من الصلصال ملامح وجه "جميلة" التى تسكن هنا وقلبها هناك.. لازلت تعيش عن مخطوطات تحكى عن غزة وأريحا ويافا.. ترسم جنرالاتٍ الزمان الذين كانوا يحملون قلائد تمجد قرص الهوية محفورة عليها أسماءٌ لا تذوب وتفنى مع حجارتهم، بل تبقى شاهدة على أصحابها.. تذكر ماجداً (ماجد أبو شرار) ومقابر الشهداء فى بيروت.. تأتينا الصور والمشاهد عبر مجرى النهر سيدة تقتحم سكون الكلمات وتصرخ بأعلى صوت: السكوت موت - الإغفاء موت - الذهاب إلى القيلولة موت، وتأتى تنهداتها تسطر بها كلماتها من إدمانى فراقه.. من قتلته الكلمات ومن قتلته رسوماته..

هى تلهث وراءهم.. تتابعهم.. وتضع فى عنقها هى أيضاً قلادة.. إنها ليست للزينة، إنها عنوانى - عنوان فلسطين، وتكشف عن حزنها الذى جعل طائرة من قسمات وجهها عشاً ومأوى الشعوب لا تموت: لا تنسوا هيروشيما وناجازاكي، إنها تأشيرة دخول إلى ثرى الخليل، وحتى إن كان الحضور غافلا.. "الوقت يا سادة.. أخاف أن يمضى الوقت عنى"

جـاء الوصف مـتـدفـقـا مـثـل الحكايات فى لغـة شـديدة الخـصـوصـيـة: عمّ أبحث: عن "وجـه من تل الزعـتـر"..عن "القلادة".."عن "الكبـرياء الحـزين".. تفـترش دائمـا الطبـيـعـة الساحلية خلفية المشهد، هى تلك البطلة أيضـا "جـميلة" التى تجد فى شخوص من تحبهم لذة معذبة يهيمون فى البرارى فتـهيم مـعـهم من خلف إطار أخذها إلى الزمن البـعـيد لعبة الفلاش باك؛ حـيث هـى هناك غـارقـة بين سطور حكاية مـدينة، لوجوه تود لو تراها ثانية هنا تنقذها من وجدتها..

لا تكاد تنتهى رواية ندخل فيها أعماق مدينة بعينها حتى نجد أنفسنا ثانية نعبر إليـها ثانية فى لحظات أخـرى.. فى رحلة استرجاع للطفولة، وكأنها بيوجرافى لا امرأة يشكل فى داخلها حنين وطن، يريد دائماً وأبداً الحياة، تفاجئنا شمس أى بشرى أبو شرار كما يحلو لبعض الأصدقاء مناداتها بذلك الاسم، برواية "شمس"

وأتساءل بينى وبين نفسى مثل كل القراء: أنحن فى رحلة ركض خلفها لا تتوقف السطور فيها أبدا..

ماذا تريد منى أن أفعل؟ هل أبكى أم أضحك؟ أقترب لكى أرحل وألحق بها وأمسك بتلابيبها وهى تنطلق ـ أى الكاتبة ـ لحدائق مجاورة تلقى نوى المشمش وتلوذ بشجرة التوت، طفلة تمرح ومعها أصحاب الشقاوة والأيام الأولى: رجاء وعلية..

تتعلم معنى فنون الألعاب واكتشاف الخبايا من الأمكنة البعيدة.. كيف استطاعت أن تخرج من باطن حجر الذكريات وتحرك الأشياء الساكنة وكيف أعادت وجوها للحياة تكشف أسرارهم؟..

الطبيعة هى الكادر الطبيعى والخلفى للصورة المحلية: الشمس تلعب فيها دوراً محاذياً هى الأخرى: الشمس تتحلل والظلال الخضراء، وظلال سوداء، وبيت شمس يتوارى فى حواف الأشجار تسير فيه حافية القدمين.. نجد تعريشة العنب، وفروع أغضان الليمون والبرتقال، قطوف البلح، وأيام رمضان فى عيون يدغدغها المرح والفرح.. تبطىء شخوصها الخطى لحظة خروجها من صندوق أسرارها.. جاحظ العينين يحتل فيها المساحة الكبرى، بقصد أو بدون قصد منها.

ورصد لعيون أخرى: صور المدرسة فى غزة، ورسومات تسكن حوائط الردهات تحكي ما يكتبون على ساحة فلسطين، لا تنسى حتى ولو اختلف السرد مدينتها، تعيش فيها بداخلها، وتعيشنا فى مساحات أصبحنا فى أمس الحاجة إلى استعادة تفاصيلها ومنمنماتها.

ويعود الحديث الدائم عن بطل آخر يسكن عيونها: شكله، ملامحه، ملبسه، نظرة عينيه، ابتسامته، حنانه الذى ليس له

حدود، تلك الطمأنينة والثقة فيمن لن يخذلها إلى الأبد.. وسؤال لا يكف عن طرح نفسه: "سعيدة أنت يا شمس" تلك الصغيرة التى تعرف ما لم تدركه أمها، وأخوات يلتففن حولها، يحنون بابتساماتهم ونظراتهم على تلك الأخت الساكنة في صمتها.. وأى صمت هذا؟.. لقد كان دويه يملأ الآذان..

ترسم لنا الكاتبة زمناً غير اعتيادي، لم تطاله يد الفناء.. درة فى كيانها تلمع كلما فتحت عينها تنادى أطيافها تتراص لآليء حضورهن فى موجات تغسل ما علق بها.. تجتاحها وتسرى فى أوصالنا.. شحنة حنين لمدينة لم تزرها، وصعب أن تسافر إليها.. قوة الوصف ودقائقه تخيط بها ثوبا للشمس من جديد.

تتمدد الشوارع فى الحكاية من حى الرمال، إلى مستشفى المعمراني، شارع عمر المختار، شارع الوحدة، شارع الثلاثين.. وكأنها بذلك تعود تضع خارطة للمكان تؤرخ لزمان ولى، بعد ان أزالت القوى الغاشمة الشوارع والميادين...

الشخصيات أسماؤها حقيقية: أم نازك، أبى راتب، نبيل، ليلى، علية، بهية، بهادر، كريمة، إبراهيم.. تدخل بالقص عوالمهم الذاتية وتفتح للآخرين منافذ للرؤية ـ الإضافة إلى

قصصها الخيالية - تعيش أغلبها في الحكايات: قصص يابانية، أفريقية، تأخذ المأثور الشعبي البسيط إلى العالمية، والشخصية ديناميكية الحركة لا تتوقف ولا تدخل دارها إلا بعد أن تكون قد استنفدت كل طاقاتها في اللعب.

تنتقل بنا من الأماكن البعيدة إلى الأماكن القريبة، من آخر البلدة حتى أولها.. وكذلك في الحكي وسرد الرواية: يعيدها الغروب إلى الشروق في غزة.. تنتقي من بين عباراتها حكاية تاريخ وذكرى طرقات، أحراش، ورواب، عنب وتين، الجامع، وحي النبي يونس، والخان القديم..

خيوط تفردها وتنسجها حينما تريد أن تفتح الباب على مصراعيه تتدافع القصص والنوادر، لا تريد ان تتوقف، لا تريد أن تنسى أحداً؛ لا تريدهم أن يرحلوا عن الضوء عن ضوء الشمس.. صدق وبراعة في التصوير، انتقالات سريعة، لغة فياضة جيّاشة بالمشاعر الإنسانية، تدوِّن وتسرد قيمة العبارات التي قبلت خلسة لنساء غيرن التاريخ، وأعدن ترتيب فصوله من جديد..

شهب من وادي رام

بعيداً عن مجاملات الأصدقاء لبعضهم البعض، استهوتني تلك الرواية منذ أن أهديتني إياها مع ذلك الإهداء

الشفيف، أنا وأنت وشهب من وادى رام، نسمة تعبر سماءنا، قلب يفيض بالحنين لشهب سطعت ترتب الأرض تنتهى عن مكان سقوطها هى شهب أحببتها وأحبتني، وإليك أهديها..

المكان: خلف أحراش البرتقال، عند أوراق شجر الزيتون، حيث تكعيبات العنب وشقائق النعمان على الجانبين، تنحدر السفوح خضراء حول جبال واديها الساكن فى وداعة الحلم من فوق جبل الجرمق أعلى جبال كنعان، حيث بيت الأحزان وحزن يعقوب على يوسف ترعرعت زنابق الجليل: فدرة، شقيلة، هجرو، مرمرة.. حيث رفيف الرياح ينسل بين أشجار الصفصاف عند ذلك الوادى الساكن على الصمت ستظل إلى الأبد محفورة أسماؤهن، موصول ذكرهن، مرفوعات القامة، كملكات بعباءاتهن المطرزة، وأقراطهن وعقودهن تتمنطقن أحزمة مطعمة بفصوص الفضة وأحجار الكهرمان، ستظل تحمل هبات النسيم على الوادي، عبق أنفاسهن وأصواتهن من بعيد تحت أقلامنا ألا ننساهم..

لغة شاعرية فياضة بالحنين الموجع، وصمت أنين الليل، يحمل صدى صوت الرحى، حيث يطل الليل ناعساً.. تتساقط الشهب على فوهة الرحى فتلمع الحكايات واحدة وراء الأخرى.. تجلس وترسم خطوطاً ودوائر، وتفرد راحتها،

تنهض حاملة كتبها، تركب حصان العلم والمعرفة، وترحل تمر بهما عيون القمر

تهرب بأقلامها مع "جلجامش" إلى بوابات الحزن، تطرز على إيقاعات الناى حكايتها مع صخر التى وأدها الخوف، وتحلق بعيداً تبغى الوصول لأعلى قمة ثقيلة.. ذلك النورس ذو الجمال الوحشى يلتمع نوره الفضى حين يكاشفه ضوء الشمس، ولكنها ما تلبث أن تهوى وتنكسر.

هجرو: ترحل بعينيها العسليتين الرقراقتين ابتلع الليل شبحها الداكن ورحلة وصف لوجوه آخذة من الرحيل منهلا للرجوع الأكيد، عبر الزمن والحكايات.. لا تحتمل الشقاء والعناء ورحلات الألم، تكشف كل ما تراه.. تبرق فى العيون كحبات اللؤلؤ حين تغفو فى محاولتها، تود لو ظلت تذكر حبيبات لها رحلن عن الدار.. ينعقد الحبل على عنقها، ذبلت برعمة الوادى ومالت من على الأغصان.. تنتظر هى أيضاً السقوط سقوط أحلامها اللامعة، فى ليلة يخبو فيها وجه القمر ويظل شاحباً، غارقاً فى غيمة لا شكل لها ولا حدود..

مرمرة، وأناملها الرشيقة تشكل لريحانة أصغر الأخوات عقوداً من فل وياسمين.. يطير عقل مرمرة لشدة حساسيتها، وتطير كفراشة ربيعية خارج كل الأزمنة ترحل إلى مدينة النور، وتنتهى الأقصوصة كما تنتهى الأساطير.. يسقط الأسد الجريح وهو الأب سهيل، وتبقى الغزلان حول عين الماء، عائدات بعد أن يتخطرن الأرض من جديد..

البناء الدرامى:

جاء النسيج الدرامى للعمل متكاملاً ومتجانساً أيضاً.. تم تقسيمه إلى أربعة فصول، هم الشهاب الأول، والثاني، والثالث، والرابع، وهكذا لكل قصة تحمل دلالة تاريخية وإنسانية محددة، بل يحمل الحوار الذاتى لكل بطلة على حدة مونولوجاً فياضاً بلغة آسرة، وملمحاً ثقافياً وتراثياً خاصاً بكل منهن: فتارة نحن مع قامات الفقه والنور والعلم: الخوارزمي، ابن الهيثم، ابن رشد، (فرفنوس العرب)، نجومهم تسطع وترسل وميضاً فتسقط شهب، وتسطع نجوم.. وتارة تمد بطلة من بطلات العمل على كتب بعينها أول خريطة للعالم: الصورة المألونية، جابر بن حيان.. "حجر الفلاسفة" والرازى، تحمل العبارات أبجدية عربية فياضة من حيث الوصف، والمعنى، واختيار الألفاظ والعبارات، والإسقاط على المخزون الثقافي للأديبة واطلاعها على الإلياذة وهوميروس، وغيرها من روائع الأدب الإغريقى والميتافيزيقيا اليونانية، وكذلك كتب الشعراء: حافظ إبراهيم، وغيره

جاء ذلك الولع بالتفاصيل الدقيقة، للملابس، للمنزل، للطبيعة؛ فتتحول الرواية إلى مشاهد سينمائية تجول فيها

كاميرا العين الفاحصة للأديبة، ترصد ما يخفى، وتسطر ما يشير ويحدد إلى الأبد هوية وتراثاً ماثلاً للحاضرين إلى الأبد فى ذاكرة اللا وعى، تحمل إرثاً خاصاً بها.. تحمل مشاهدها الكثير من المنمنمات الصغيرة لفلسطين التى ستظل فى القلب إلى الأبد وادى رام، واختيار الأسماء ومعانيها، واختيار عنوان الرواية الذى يأتى إضاءة واضحة لما تحويه كتاباتها من ألق لماض يعود برونقه إلى الوجود ليظل شهاباً منيراً.. وتصبح ذاكرة الاسم غير قابلة للنسيان.. تصبح هى حياة تتجدد كلما فتحنا صفحات روايتها تلك.. "شهب من وادى رام"

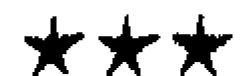
وفى رواية "قمر فى الظهيرة"، يحضر الوطن متجسداً فى المكان والإنسان: امرأة عاشقة وعشقها هو الوطن: "فلسطينية أنا..أم فلسطين هى أنا؟".. يا وجع قلبي.. ستظل رسالة إلى الشمس تعود دون أن تمس رسائلى للأرض، ترد دون أن تفض.

مع نهيل وحكيم تدور الرحايا، والابنة جنى.. والأم: صورة وصوت وحضور رائع لفلسطين على أرض مصر.. تدور بهم أحداث الرواية تسحقهم تارة، ويسحقون مساحة التغريب داخلهم تارة أخرى.. تقطع فيها نهيل المسافات

وتصبر على عذابها مع حكيم من أجل صباح يكحل عيونها بمذاق القهوة "قهوة أمها".. وها هى تقص حكاية البنت التى رحلت عن بلادها، على طرقات المدن الغريبة تبذل الجهد، تتقن التعامل وبحذر لتنشر هويتها ويعرفها الناس..

المكان هو البطل دائماً، تذهب بعيداً فتعيد اقترابها منه بالحكى عنه دائماً.. تعمل على إحياء ذاكرة المكان بجمع كل تلك التفاصيل عن الشوارع والبيوت فى رحلة ذهاب وإياب لا تمل فيها لحظة لأنها مشروعها الأكبر.. إنها رحلة للوصول يصبح الحضور القوى لصورة الوطن - هو ما يميز روايتها - تعمل على مزج الماضى بالحاضر، عن طريق لغة شفيفة وحس فنى مرهف تتناول العادات والتقاليد فى فلسطين.. تلعب بأهم خيوط السرد ألا وهو الوصف الدقيق وجمال السرد، وكأن وصف الجزء يؤدى إلى وصف الصورة الكلية لما كانت عليه غزة قبل أن تصبح القضية الفلسطينية من أهم القضايا التى تبوأت الساحة العربية لسنوات طويلة، مؤكدة أن تلك القضية لم تعد قضية فلسطين فحسب، بل هى قضية وطن بأكمله ودلالة المكان تحيلنا إلى رمز يأخذنا عبر التاريخ متنقلة بنا من مدينة إلى أخرى، كأنها تفترش بتلك الأعمال جدارية أخرى على حائط التاريخ تنبئنا بها روايتها الأخيرة "دورا"،

وكأن كل جدارية تحمل تاريخاً بعينه لنماذج الفن والأدب والشعر والرسم، تحمل كل قصة رموزاً و أبعاداً ودلالات مختلفة ضاربة بجذورها ونبوغها فى أعماق وأغوار الفكر الإنسانى.. وجاء الإهداء بمثابة دعوة للشموخ، وكأنها فعل مقاومة لعزيمة لا تحيد، تبغى استرجاع ما كان لها وما سيظل، رغم طول الزمن والانكسارات..



"حنين"

تحمل حول عنقها عقداً لا تنفرط حباته، بل تربط الواحدة بالأخرى برباط وثيق، إنه حلمها وأرقها الأكيد.. مفتاح بيت وخريطة، خاتم من الفضة، وساعة يؤرقها ذبول الوقت وتبتعد شيئاً فشيئاً عنها؛ فتكتب دقائقها كل لحظة من العمر.. إنها القضية الحاضرة والوجع المنسى والألم الدفين.. إنها هى مرة أخرى، فتاة "دورا" وحنين، لفلسطين..

ولأن الغربة مضنية، لا تعرف فيها هل تقتل الوقت أم أن الوقت يقتلها؟ تمضى أيامها تحل الرموز، وتفتش عن الحقيقة، تنشد وطناً توسده أحلامها.. تقطر من العين دمعة تحضن صوراً مرسلة من هناك.. اسم وطن فيه يظن أنه من الممكن استبعاد جزء من الأرض، إلا روح الشعب، كيف يكون استئصالها؟

تحوط بساعدها زمناً قد تلاشى من ذاكرتنا، لأن هناك من يترصدنا.. هى إذاً رحلة بحث أخرى عن أزمنة ضائعة.. تبحث فى الإنجيل، التوراة، القرآن.. مريم المجدلية، العذراء، يوحنا المعمدان، ليوناردو دافنشى، قبة الصخرة، أعمدة المسجد، أجدها مرتكزة على الهيكل، والآخر على عمود باسم

هيرودوت، وخرائط سليمان، وكتاب بعينه يحمل صوراً وخرائط.. هل يسكن التاريخ كتاباً؟ أبطال حقيقيون وأسماء من الواقع: حسن، أبوعمود، نصير، كراوية.. تشغلها حكايات نور وربيحة وحورية والقط سنسن.. أصوات تسكن قلبها ولا تغادر.. تنسجها في لقطات سريعة تجرى بدراجاتها في ساحات الخليل وراءهم تارة وخلفهم تارة، وردة تحلم بزهرة الحب تحت سماء تطبق على ظلالها طائرات الـ إف ١٦.، وبحر يافا من بعيد يذكرها به طائر النورس.. تحمل القصص رسومات ووجه الحوراني وغسان كنفاني ، وغيرهم.. تنقش على صفحة الورق صورة مدينة مطرزة من غيمات مسافرة الأبواب والشبابيك فيها مشرعة.. يظهر ماجد ومشاهد متناثرة من عمر زاحف، كان فيه "المخيم حكايتنا" يوقع تحتها من مخيم جباليا"..

تجرى بنا وتجرى.. دراجة تمتطى صهوة الريح، وتحمل عيناها كاميرا بل عدسة تصوير ترى كل أشكال الظلم في العالم، في أفلام السينما، في الكتب، والمشاهد اليومية يحدث تماس بل تقابل يكاد تكون فيه الحقيقة هى من صنع الوهم والخيال.. عالم محور يسكنها، يتباهى فيها "عجنون" بنوبل.. وهى تتغزل برواية الأرض القديمة والجديدة، وحوارات

تتداعى بينهما وبين وردة على شاشة حاسوب ما تلبث أن تنطفئ، يتقاسمان الصفحات والذكريات لمدينة يعشقونها يبنى فيها الموت أعشاشاً، ويترصد الأحبة.. "غزة وعشقنا الوحيد"

هل ستقدر عين عدسة التصوير أن تكمل مشوارها.. تجاهد على مطالع جبال وسفوح وديان وأنهار، أغوار وتلال، والعالم تحكمه خطوط الوطن البديل، وتفسيرات هيكل "مصر وسيناء الحل البديل لتصفية قضية اسمها فلسطين".. بلير وشارون، من بعده كانوا يحملون نفس المشروع وكان الجدار، ومازال أبطال اللعبة على أهبة الاستعداد لتوزيع الأدوار، واسم المسرحية تصفية قضية.. باراك.. أولمرت.. رايس، وصورة حسن الحورانى مرة أخرى يبتسم ويبكي، ثم يفر بدراجته إلى السماء.. يرسم ألوانا مسافرة تطير بوردة لكل مكان..

ويأخذ الحنين حنين لأماكن وشوارع بعينها فى قلبها تحفظ أسماء مثل صاحبتها، والتى يشاء القدر أن أكون أنا، أدعوها لقطعة بطعم السكر من كنافة الحلبى، وأشير إلى زاوية بعيدة فى الدكان كان يصاحبنى فيها ذلك القريب الذى أمسى غريباً.. تجلس على ذات المقعد الصغير هناك.. أرافقها عبر شوارع السوق القديم فى محطة الرمل بالإسكندرية، وأرافقها رحلة بحث عن ماضٍ كاد يولى ظهره لنا، تحمل قصصنا لمحات منه كلما نسينا أو تناسينا نفحات من حنين.. إلى حنين..

خصائص العمل الروائى فى سطور

١ـ البنية الرئيسية

البناء الدرامى بنى على فكرة التدخل والتشابك، لأننا بإزاء عمل، فكرة الكاتبة فيه محددة من البداية، تاريخ لقصة صراع حقيقية، على الضفة البعيدة تنير حكايات حنين، تتلقفها الأرض، حزناً وألماً على مدينتها الضائعة.. عملت على استحضار ذكريات فى الزمن الآني، ليظل الزمن الماضى باقياً.. القضية الفلسطينية من عيون سيدة فلسطينية تستعرض آلام أمة بأكملها، مع تضفيرة ساخرة حين تتلاحق الحقائق فى عقل حنين وقلبها.. كيف يتم سحق الحقيقة وتقديس الزيف، تحمل مثل أبو عمود: حقيبة من العذاب لا عدل قضية على وجه الأرض تبحث مع صديقها نور ابنة كنعان عن الحقيقة تشع بشالها الأبيض تدرس الإنجيل والتوراة.. وحنين تكتبها، وحسن الحورانى فى خلفية المشهد يرسم لنا أبنية وبيوتاً.. ولا تنسى أن تضيف إلى فكرة التداخل أيضا رؤية الكتاب اليهود مثل "كاستنيك"، "ميشيل عور"، "شمعون بلاص".. ما كتبه "بين" و"شوشا".. تقلب أمامنا هوامش الفكر المختلف عنا وتقرأ التلمود.. وعمال

صهيون، وعذراء لا دومير، فرويد، وعاموس عوز، وما تقوله جولدا مائير عن الفلسطينيين.. ما تقوله رفات ابنتها عن القضية.. كيف يتم فى أحيان كثيرة تشويه الحقيقة..؟

٢ـ فردية الزمن فى "حنين"

تتحرك أحداث الرواية فى زمن غنى بالتحولات، شهد على شرح القضية الفلسطينية على مستويين، الأول: المقارنة المبنية على تفاصيل حياة شعب وجد نفسه فجأة تحت قذائف الـ إف ١٦ يهدد أمنه وحياته.. الثاني: الاحتلال ونزوح أهل غزة إلى بلاد أخرى (الأردن، مصر).. أو إلى الخارج أمريكا وكندا..

اتسم الحكى بتفاصيل شيقة، وتداعٍ محبوك.. الشخصية الرئيسية حنين التى تجد نفسها فى مواجهة فضاء اجتماعى غنى بالتعقيدات وسياسة الإقصاء والقمع، ويحاورها العديد من الشخصيات الأخرى التى تتحدث بلسانها تارة، أو تحكى هى عنهم تارة أخرى.. ليس هناك صراعاً زمنيا بين الشخصيات، ولكن صراع إيديولوجي، تبحر بنا الأديبة فى أغوار النفس الإنسانية، تكشف عن بقاء المقاومة بالرغم من الفوضى والقمع، وانتفاضة المغلوبين على أمرهم واستمرار التحدى، وأن الغلبة فى نهاية الأمر ستكون لرغبة الشعوب

وتقوم على شكل جديد من الأسئلة الاستنكارية: من أين تأتى هذه الأصوات (ص ١٠٥).. هل يكون صديق يوسى هو من يقود دبابة تدق الأرض على بوابة بيت حانون؟ (ص ١٠٩)

غاب بها الطريق ، تود أن تصل لتعد أوراقاً تشترى بها مدينتنا.. مدينة الحلم، مدينة السلام، من يشترى أشياءه؟.. من يشترى موطنه؟ (ص ١٤٠)

مما لا شك فيه أن رواية "حنين" تعبر عن نمط الروايات التى تجسد تيار الوعي، لعبت فيه الكاتبة على تقنية الاستباق والاسترجاع، واستعارت من النظريات السيكولوجية ما يسمى بمجرى الشعور بكل تكويناته مثل التداعى النفسي، والمونولوج الداخلى، ومنطق الصور.. ويحيلنا النص إلى الاستشهاد بوجهة نظر "إميل بنفنست emile benfenest" الذى يفيد بأنه يوجد مفهومان للزمن.. الأول الزمن الفيزيائى، الزمن اللامتناهى الذى يستشعره الإنسان من خلال الأحاسيس والمشاعر الداخلية، والثانى هو الزمن الذى يقاس بتتابع الأحداث فى الواقع..

على الرغم من أن كل الأحداث الزمنية تعد ماضية بالنسبة للحظة السرد الآنية، إلا أننا سنحتكم إلى الزمن الطبيعى للأحداث فى الرواية.. فما وقع حدوثه فى الرواية.. وما وقع

حدوثه على لسان الراوية يعد ماضياً عملت على استحضاره في زمن الحضور..

نفس الأمر ينطبق على كل اللقطات التي بنيت عليها الرواية لعبت فيه القاصة على مفهوم التتابع، وإن كان في كثير من الأحيان قدم بطريقة إنشائية خالية من الأسلوب الأدبي الرائق، وكأنها تقارير تؤرخ لقضية مازلت مطروحة على الساحة.. استخدمت طريقة الاستقطاع والتركيب وكذلك اعتماد الرواية على الترتيب الزمني غير المنتظم..

ولا شك أن الجدلية القائمة بين كتابة الذات والتاريخ للزمن تشكل لوحتها الروائية من قطع صغيرة ووقائع متفرقة، ناقلة لنا طبيعة الواقع المعاش.."ما بك يا قلبي تبكي الفراق، وأنت من اعتاد هجر الأوطان"

وأخيراً، عندما تجف الدموع في الجفون، ويتحول رنين الكلمات إلى صدى، تظهر أكثر وضوحاً في صفحات الذكريات، يعود الوقت الذي كان يتوارى أسفاً عن أنظار الزمن، ليكون حضوره أكثر وقعاً من غيابه.. وأنهي أطروحتي بمقاطع لمحمود درويش:

"إن صرخت بكل قواك ورد عليك الصدى من هناك؛ فقل للهوية..شكرا.."

"إن نهضت صباحا، ولم تجد الآخرين معك.. يفركون جفونك قل للبصيرة شكرا.."

"إن تذكرت حرفا من اسمك واسم بلادك.. كن ولدا طيبا.. ليقول لك الرب: شكرا.."

ألم خفيف كريشة طائر تنتقل من مكان لآخر.. لـ "علاء خالد"

قدَّم لنا المبدع علاء خالد روايته الأولى بهذه العبارة المدهشة، وهذا العنوان الذى سوف يثير وحده الكثير من الجدل والتساؤلات..!!.. هل كان مقصوداً؟..

تتضمن أية دراسة تحليلية رؤية جديدة للنص المحكى عنه، وأحيانا تفتح لنا عبارة مثل تلك، الكثير من الإشارات وربما تكون هى فى حد ذاتها تفسيرا لرواية كبيرة مثل هذه الرواية، والذى يجعل المتابع فى حالة لهاث من صفحة إلى أخرى، لهاث ممتع، تمنى فيه البعض أن يكون أحد أبطال العمل، أن لم يكن البطل نفسه..

(ألم).. كلمة غير معرفة بالألف واللام، ألحقت بها صفة: (خفيف).. دلالةً على نوع ذلك الإحساس الذى ينتاب الكثير من الناس، (كريشة).. مقترن بريشة طائر غير معرف أيضاً، آنس فيه الحركة.. (تنتقل).. ولم يستخدم لإكمال الدهشة كلمة تطير، وأضاف إليها صفة (بهدوء)؛ فصارت مكملة لكلمة خفيف..

وكأن الألم هنا أصبح شيئاً معدياً، ينتقل بالهواء، أو بقوة الدفع إلى أماكن جديدة لم تطأها أقدام البطل، ذكرني بعنوان "وخز الأماني". ١ كأن لكل تلك الأمنيات العذبة وخز مخدر مدغدغ للحواس.

قدم الكاتب من خلال ذلك السرد الطويل الممتع عملاً يشبه البيوجرافيا، وقام بعمل مسح شامل لكل الشخصيات التى وردت، بدأ من الجد الكبر الذى طرق الباب عدة طرقات متعجلة.. بداية مثل بدايات المسرح التجريبى، يعرض شخوصه فى النص كأسطورة قادمة يبدأ بظهورها على الساحة، تتضح إشكالية الحدث، وكان العنوان الداخلى "الجد إبراهيم".. ولنبدأ رحلة الحكى:

"انسل بجسده ليكون جزءاً من رائحة البيت، هذا الجد المهاجر كان يقتفى آثار الطيور بعينيه وكلبه، ويتمنى أن يكون واحداً من هذا السرب الكبير"

تتشابك الرؤى تتضح أكثر فأكثر.. لم يكن اختيار لفظ (طائر) فى العنوان سدى، بل له مغزاه من أول لحظة.. نطأ صفحات العمل بعد أعيننا بقلوبنا، وتطالعنا الرموز والصور، والمحكى عنه، والحاكى لا يظهر إلا ربما فى منتصف العمل، تخلى عن الصوت العليم، وصار الصوت صوت الراوى

الحكيم، الذى استعان بوصف معالم الشخصيات داخلية وخارجية بريشة فنان، أطال التدقيق فى الوجوه؛ فأحسن الرسم.

من الشخصيات التى علقت فى النص فى أكثر من موضع ومعنى، عالقة لأنه "أى الكاتب" جعلها تظهر وتختفى فى بيت الحكاية أو بيت العذاب، هى حفيدة تلك الخادمة التى فتحت للجد الأكبر الباب يوماً هى "دادة سعادة"، ومفرش سرير صار ينتقل هو الآخر من يد لأخرى حاملاً وروداً وذكريات حلم ولى، وتحمل براعمه بوادر أمل فى الاستمرار ما دامت الحياة.

نحن لا نفطن إلى بعض الناس فى حياتنا اليومية إلا بعد غيابهم عنا، يجثم ملاك الموت فى العمل فتجده مع كل بداية ونهاية فصل، وربما لأنه الحقيقة الوحيدة الأكيدة فى الحياة، فصار مصاحباً لشخوص العمل، تلك الهواجس التى ما تلبث أن تعاود الظهور بين جملة وأخرى، وكأن الموت مصاحب لإحياء الفكرة، وهى الحقيقة التى سوف نكشفها كلما طفنا فى الصفحات:

"بوفاة أمى.. بعثت تفاصيل تلك العائلة من رماد هذا القلب البارد"

الحكاية علامة شفاء الراوى؛ كلنا نكتب لنتعافى من ألم ما قد لا نستطيع تحمله بادئ الأمر، ثم ما يلبث بمرور الوقت أن يقل تدريجياً، لا نرتاح منه ولا ننساه لأنه يشكل فى وجدان المبدع بعضاً من ملامحه، وربما يستطيع "عامل الوقت" أن يزيل آثار وخزات القدر..

ويكتب بكل صدق عن عائلة نزحت إلى حى آخر فى منزل كبير آخر من أحياء الإسكندرية الراقية، المكان يصبح مصاحباً للنص ولا يشكل محور الحديث والاهتمام، هو فى خلفية الحكي، ولا يلعب دوراً تاريخياً يساعد فى الوصف كما هو الحال فى قصص "الإيبجراما" الزمن هو البطل الحقيقى هو محور الحكى الأساسى بمرور الزمن أو بوقوف فى لحظة ما، يشكل حدثاً فى حياة تلك العائلة..

"كان الفارق الزمنى بين ما حدث وما نعيشه كبيرا لكى نتأسى على تلك الحياة التى راحت، كأنها حلم جميل تصحو منه وأنت غير نادم.."

من أبرز المظاهر التى اتسمت بها شخصيات المبدع "علاء خالد" أنها شخصيات نمطية بحيث تصنف أصنافاً متحدة الأشكال والنوايا والأهواء والطباع، إذ يقدم الشخصيات منذ البداية مكتملة الصفات، وبالتالى الأفعال، باستثناء الجدة

فقط، الجيران، والأصدقاء، فجاءوا ضيوفاً على تلك العائلة فى مرحلة ما، أو قاطنين لنفس الحى ثم تركوه، ربما تمت الاستعانة بكل تلك القصص وهذا الكم المدهش من التفاصيل والمنمنمات الصغيرة لفرد مساحة أخرى أو لإتاحة الفرصة لرصد المجتمع فى فترة أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، كل هذا (الفلاش باك) وهذا التداخل يعتبر ظاهرة أسلوبية مهمة داخل التشكيل السردي، والتداخل السردى هو تضمين حكاية داخل حكاية أخرى أو عدة حكايات فرعية داخل الحكاية الرئيسية، وهذا النوع استعانت به "عائشة التيمورية" فى نصوصها مع اختلاف موقع وزمان وأسلوب الحكى الخاص بأسلوب المبدع علاء خالد، الذى استخدم لغةً سلسة بسيطة واضحة وغير معقدة، وترك القارئ ينسج خياله كما يشاء، ولذا جاء نصه الجديد يوازى فكرة ظهور الواقعية السحرية، ولا ننسى أيضاً أن هذا كان نتاج الكثير من القراءات والإطلاع والمخزون من "ألف ليلة وليلة"، وحكايات الأم والجدة والخالات، ونتاج خبرة وقدرة جديدة فى استيعاب الآخر كما هو دون محاولة تغيير..

جاءت اللغة ثرية فى بعض المواطن، تخللتها جمل أثيرة.. السارد هو المؤلف الذى يتحكم فى كل شىء والعالم بكل شىء

أيضا، لذا فهو بشخصه الذى يتكلم على لسان الشخصيات، لذا جاء دور الحوار فى كثير من المواضع طويلاً، وربما أقرب أحياناً إلى الشرح والإسهاب لتفسير المواقف والأحداث:

١ـ "الحياة التى ابتدأت بحلم تنتهى بحلم أيضا.."

٢ـ "خالتى سعدية وخالتى زينب هما حافز العائلة الذى عشته كوقائع وليس كذكريات، عشنا جميعا فى بيت العائلة..

٣ـ "لقد صالح موت أمى بينى وبين أشخاص عديدين، كما صالحنى موت أبى عليه.."

يستشعر أحيانا الكاتب أنه بعد عن السير الطبيعى للأحداث الرئيسية وانشغل بأحداث فرعية، فيستعين ببعض تلك العبارات "فلنرجع، فلندع.." وتبدو أيضا سيطرة الراوى العليم فى السرد بالإضافة لأنه يخاطب القراء وكأنهم جزء من البنية السردية

"خالى وحيد كانت له حكاية أخرى.."

"سنوات طويلة قضاها سليمان مع أمه، ونادرا ما كان أحد يزورهما.."

يكشف لنا أيضا التشكيل السردى فى رواية "ألم خفيف كريشة طائر يتنقل من مكان لآخر، بما انطوى عليه من وحدات وتقنيات وطرائق سردية عن الامتثال للأسلوب التقليدى الكلاسيكى..

" بعد وفاة أبى عام ١٩٩٢."

" كانت عائلة الأستاذ يواقيم المحامى على علاقة طيبة بعائلتنا.."

" بيت عمو نجيب كان أكثر ألفة وحميمية من كل بيوتنا.."

"طنط جولنار كانت ملكة جمال أمهات الطفولة وشارعنا بلا منازع.."

" بجوار دكان عبد الستار البقال كانت تقع فيللا الشوام.."

السياق فى الحكى متصل دائماً، ربما تتخلله بعض القصص الفرعية كما سبق أن شرحنا، ولكن دائما الشخصية المحورية للعمل تظهر بوضوح أكثر أنها آلام، بكل تفاصيلها الصغيرة: النشأة ـ اللغة ـ الأحلام ـ الهواجس ـ المخاوف ـ ترديد الحكايات ـ النسيان ـ الحزن الشديد، الفرح المؤجل دائماً..

تفاصيل كثيرة تتشابك، لتلتحم فى نسيج واحد هى حكاية أسرة، وشجرة عائلة تمتد جذورها من الجد إلى الأحفاد مروراً بالخالات والأخوال والعمات وزوجات الأبناء و(السلائف)، إلى غير هؤلاء: الخياطة، وعم عبده، والجناينى عم على، وشجر الليمون.. إنها قصة لبانوراما حقيقية بكل

عوالمها وسحر وأضوائها، وفى الخلفية شوارع الإسكندرية أحياناً، طقوس المصيف، البيت بحجراته المتعددة، زوج الخالة ماهر، العربة الفورد.

الحياة بكل ما فيها هى الكتاب، وهو عنوان - أيضا - نص من نصوص أو فصل من فصول الرواية التى تعدت فصولها وقصصها الأربعين قصة أو يزيد..

حتى فترة المراهقة لم ينسها، بل حكى الكاتب عنها بكل صدق عن شريط أحمر فى كتاب.. عن رحلة سنوية، تقطعها العربة فى طريق عودتها من المصيف.. عن عيون شاب لا تغفل عن منزل عم حامد ولم تنسه طوال تلك السنوات، عن مجلات "تان تان" و"سمير".. عن كتاب عودة الروح لتوفيق الحكيم، عن الموسيقى، والإذاعة، وصوت ديميس روسس.. وفرقة الـ petit chat، وكوخ الموسيقى فى المنتزه، وليالى مكسيم فى المعمورة، ولهو الأولاد فى مرحلة ما من العمر.. ثم الدخول فى مرحلة الرفض لكل شىء، والتوهان فى دخان أزرق، ثم رحيل الأصدقاء وهجرة النصف الآخر منهم إلى بلاد العم سام، ورحيل الأجانب تباعاً من مصر..

ما الذى يجعل نصاً متفرداً وله هذه الخصوصية، إلا تلك المنمنمات الصغيرة جداً، والحميمية أيضاً.. إنها تلك اللحظات

الفارقة.. إنها المصيبة، ومصائب الدهر لا تمر على من يتمتعون بتلك الشفافية العالية دونما توقف، بل تظل لحادثة ما وقعها فى النفس مثل تلك الحادثة: "موت معتز"..

"وفاة معتز كانت الصدمة الحقيقية لهذه الشلة.. وإحدى علامات الحياة الحقيقية التى طالما تحدثنا عنها.. بالرغم من أننا تفرقنا، وكل واحد منا أخذ طريقاً.. لكن موت معتز ومكانه الشاغر جعلا هناك توقاً دائماً لهذا الإحساس الجماعي، الحياة الحقيقية كانت هدفاً لنا جميعاً فى ذلك الوقت، أما ما بينى وبين معتز، فبرغم شجاراتنا المستمرة، فقد كان يعرف كل منا قيمة الآخر.. الآن أدرك الدرس الذى علمه لي".. ص ٢٨٥

إنها رحلة المكاشفة، والمصارحة، والتصالح مع الذات أيضاً.. كما احتلت الأم مكانة الصدارة دون أن تتربع فيها طوال الوقت.. احتل الأب أيضاً مساحة من الحكى والتصدير، كان هناك ذلك الصراع الأبدى بين الأب والابن.. اختلاف الأجيال، والظروف وتغير النشأة، التفاوت فى النظر إلى الحياة.. هذا الشرح المستند لشخصية الراحلين، وعلى رأس سفينة الرحيل يحتل قبطانها كل الأماكن، وكل الخلفية، ويكون ميراثه مثيراً للجدل والتفكير، ولوضع الكثير من

الأسئلة، ولا يجيب أيضا الكثير من الإجابات، يحتل الأب صفحات خاصة جداً.. ومواقف صغيرة جداً من صفحة إلى صفحة، ونحن أمام عملاق يزداد حجمه مع طول الحكي، وتزداد مكانته، وتتفجر مشاعر الزهو به عبر السطور.. ويكون هذا الغائب حافزاً وبقوة فى قلب الشاعر الأديب علاء خالد:

"كان أبى يمتلك تلك النفس المتألمة، التى تقف على حافة الشجن ربما كان ينظر بخساراته في حياته من زاوية الشجن هذه، حياة خاسرة ولكنها مشبعة بلحظات مشحونة، وقد كانت كثيرة"

لم يخل الحكى عند الأديب علاء خالد من المرور من الخاص إلى العام، كأنه يحمل كاميرا راصدة لمنزل العائلة من الداخل بشخوصه ومشاكله اليومية، وعاداته وتقاليده، وظروفه ومبررات تصرفاته من تلك النظرة الشمولية للمجتمع ككل، وتعتبر كثير من التحليلات الدقيقة لهذا العصر، تاريخاً لجيل، ولأمة بأكملها..

"أصبحنا كبلد تقع فى مصب انهيارات وكوارث، وحالات فساد سياسى واجتماعي.. كردونات عربات الأمن المركزى كانت منتشرة فى كل مكان يوجد به طلبة، يوميا هناك مسيرات يقوم بها أعضاء الجماعات الإسلامية التى كانت

تسيطر على الجامعة فى ذلك الوقت.. بعد زيارة الرئيس أنور السادات للقدس، دخلت الجامعة فى نفق مظلم.. أصبحت هذه الجماعات والتى سمح لها السادات بالتواجد هى عدوه الأول"

تحليل بارع لأبناء جيل "لقد نفذ رصيد أحلام هذا الجيل من الحب سواء حبه لنفسه أو غيره، الاثنان كانا فى المكان الخطأ وزرع مكانه الشك وعدم الثقة فى النفس وفى الغير.

صورة أخرى من صور المجتمع المصرى لم يتوان عن فرد سطور لها فى روايته:

"بيت آخر من بيوت شارعنا.. صاحبه أنكل عبد الرءوف كان يحب عبد الناصر حباً جماً.. بعد عودته من تشييع جثمان الزعيم نصب أنكل عبد الرءوف صواناً لمدة أسبوع أمام بيته يتلقى فيه العزاء من أهل الشارع وأهالى الأحياء المجاورة.. كان مفتوناً بالسيرة الذاتية لعبد الناصر ابن الموظف البسيط الذى وصل لأعلى درجات السلطة"

"المرة الثانية التى صادفت فيها الشوارع خالية: كان إثر اندلاع أحداث ١٨ ، ١٩يناير ,١٩٧٧، خرجنا من المدرسة ووجدنا الشوارع مكتظة بالناس وقضبان الترام مخلوعة وملقاة على جانب الطريق.. تعطلت الدراسة وفرض حظر التجوال لعدة أيام" ص ٥٨ .

هى كلها أحداث تاريخية عالقة فى أذهان جيل بأكمله، تم

تسجيلها بكل دقة، داخل عمل لم نشعر فى أى وهلة فيه أنه كان بعيداً عن الواقع، أو اختص بالحكاية على أسرة بعينها، بل كان ذلك التوحد بين الخاص والعام، فجاءت القصة حقيقية الأبعاد وقربته من قلب القارئ لأنه بكل بساطة عايش أحداث كثيرة فيها، إن لم يكن قد شارك فيها بشحمه ولحمه..

يفاجئنا الراوى العلم فى نصه بهذه الصورة المتلاحقة، وخفف من وقع النص الذى يصاحبنا فيه معه ذلك الشجن الرهيف وذلك الحنين الدافئ لكل ما هو يشير إلى ساعات الطفولة أو ساعات السعادة أو إلى لحظات عشناها ولم نستطع أن نرصدها مثله بكل تلك البراعة، وذلك الصدق الشديد، فكان المسكوت عنه هو الماضى بكل ما فيه من حزن وألم وسعادة هو الزمن المفقود على غرار "بروست" هو الزمن الغالى المفتقد:

"فى هذا الوداع أيضا لم أقدر على أن أغالب دموعي، أى وداع يفتح فى نفسى مسارات للدموع.. يجب علىَّ أن أكون فى هذه الحالة فرحاً.. ولكن ليس هذا ما شعرت به، فأى مكان عشنا فيه ثم تركناه يحمل جزءاً منا، إننا نودع ذلك الجزء الذى لن نستعيده مرة أخرى إلا عبر الذكريات" ص ٣١٢ .

إنها الحياة بكل ما فيها، استطاع بقلمه الذى يقطر

إحساسا أن يحمل إلينا رسالة واضحة، وتأتى أسئلته المقلقة وإجابته الشافية لكى تجبرنا نحن قراء هذا العمل على التأمل؛ يحمل النص لمحة فلسفية صوفية خالصة:

"أليست الحياة هى هذا البحر الواسع والذى يجب علينا أن نعبره..؟ المخاطرة قائمة حتى قبل أن نولد ويجب علينا أن نصدق فيها.. ولكن إرادة الحب هى التى ستجعل هذه الندبات التى تعلق بأرواحنا لا تعوق استمتاعنا بالحياة.. وأنا الآن وأنا أكتب، حاولت أن يكون الحب هو الدافع، أن أحول تفاصيل الحياة الحزينة إلى نشيد، أستمتع به مع الآخرين".. ص ٣٣٧ .

براعة الحكى وصدقه تجعل لكل من يقع فى يده كتاب أو رواية مثل تلك لا يستطيع تركها أو الانفصال عنها بسهولة، وقد يتخيل البعض أنها قراءة انطباعية لأول وهلة، وكونى أجلس أحياناً فى مقعد الناقد، وسترون كل العجب.

تركيب الصور البصرية فى هذا النسيج المتكامل اللغوى كان عجيباً، تجد الجد فى بؤرة النور، عند الفجر، ثم يتسلل مبتعداً هو والضوء الذى كلل ظهوره أيضاً..

"هذا القادم من رحلة البحث عن النفس فى الصحراء.. مع الوقت أحس أن رمال الصحراء بدأت تنوى فى أحلامه.."

هناك نور داخلى رباني، نجده كذلك فى لحظات موت

الأب.. اللعب بالنور والعتمة، الإضاءة والظل..

"بوفاة أبى أصبح البيت شفافاً تطفو على سطحه كل المشاعر التى لم تظهر أثناء حياته حتى العتمة ولمبات ٤٠ ، ٦٠ وات والتى كان يفضلها خوفا من فاتورة الكهرباء، استبدلتها بلمبات مائة ومائتين وات جعلت البيت نهاراً دائماً.. هذه العتمة صنعت سداً لا ترى خلاله مشاعر من حولك بوضوح ولا تقدر أن تفسرها، صنعت العتمة أفراداً نورهم فى الداخل فقط، ويبذلون مجهوداً كبيراً حتى يخرج هذا النور إلى الخارج" ص ٣٤٤

إشكالية الظلال والنور فى الرواية تأخذ أبعاداً أخرى أيضا:

"ها هى الخالة تخشى من آلة التصوير؛ فخوفها من آلة التصوير كان خوفاً من التقاط صورة مجسمة للحزن الذى لم يفارقها طوال حياتها" ص ١٠٢ .

وجاء الوصف الدقيق للشخصيات يكمل هواية حب التصوير والرسم:

"كانت لسليمان طريقة ملبس كلاسيكية، القميص الأبيض الذى يشمر أكمامه حتى المرفقين، والبنطلون ذو الكسرات والذى يرفعه أيضا فوق حافة الحذاء؛ ليظهر الجورب الأبيض،

ومن أعلى يرفعه فوق منطقة الوسط شعره الناعم الكثيف كان يصفف للخلف مثل شعر أنور وجدى" ص ٩٣

يظهر ذلك الوهج الدافئ الذى يتسلل بين أجساد أفراد العائلة، ليس فقط فى لعبة المسرح العائلى، الذى يمارسه الأولاد فى بيت الجدة فى حجرة الطعام، ولكن يظهر فى الأعياد والمواسم:

"قبل أيام من حلول العيد الصغير تتجمع كل العائلة لتصنع كعك العيد" ص ٩٦ .

ما بين الفرح والحزن، والضحك والبكاء، ترتفع الأحاسيس المصاحبة، وتنخفض بانخفاضها.. والمذهل أن القارئ أصبح جزءاً لا يتجزأ من المحكى عنه؛ لأننا ربما تشاركنا بدون قصد فى رصد تلك العادات والتقاليد، وأساليب المعيشة المختلفة، والمتشابهة فى البيت المصرى، فجاءت الرواية رصداً صادقاً للحياة الاجتماعية بكل جوانبها حتى فى اختيار الحكى عن الأطعمة الذى أفرد له كاتب فصلاً كاملاً، وتتخلل نصه الكثير منه أيضا: "نادرا ما كان البيت يخلو من قرون الفلفل الحار" ص ٢٣٦، وعنوان الفصل: "أطعمة حريفة ومقبلات"

وتفاجئنا الصفحات المتداخلة بكم من المشاركات

الإنسانية أيضا:

"رائحة أقراص الفلافل في الصباح الباكر كانت تتسلل لأنفي وأنا نائم في السرير، تعيد ذكرى تلك الصباحات البعيدة ليوم الأجازة، أو أي من تلك الوجبات المميزة: الفول، الكسكسي بالسكر، الشعرية بالسكر البودرة، الفطائر المقلية والمغموسة في شربات العسل، حبات لقمة القاضي.." ص ٣٢٨

ما من بيت في تلك المرحلة أو عهد الانغلاق ما بعد الثورة ما كان يؤرخ لكل تفاصيل البيت، ليس رغبة في الكتابة، ولكن تدبر للزمن وتبعاته، الخوف من المجهول، اتسمت هذه الحقبة بكل مظاهر الحرص المادي الملحوظ وخاصة في الطبقة الأعلى من المتوسطة أو المتوسطة، التي لا عائد لها إلا راتب محدود كل أول شهر:

"كان أبي يؤرخ لكل تفاصيل البيت بداية من أنبوبة الغاز، لعداد الكهرباء، لعبة لبن البودرة" ص ٣٣٠ .

تم تظليل الرواية كما سبق بكم من التفاصيل كأن الكاتب كان يرسم بخطوط خفيفة بالقلم الرصاص، القسم الأول ألا وهو القسم المضيء ويكون هو الراوي العليم بعيداً عن مصدر الضوء، ثم يتخلل الرسم بالكتابة والتعبيرات والجمل

الإيحائيـة، والمقارنات يكون تقسـيمات للوحة خالدة لا تغيب فيها لفتة إنسانية دون أن يلمحها أو يدونها..

هل هم أشـخاص فـقط، وأرواح هامت من هنا وهناك؟؟. كان المكان حاضراً بطقوسه أيضا: الشارع وشكل البيت الكبير متعدد الحجرات والمكتبة السوداء، السندرة..

"كانت المكتبة ورائحتها العتيقة هى أحد أماكن هروبى فى البـيت من السـأم..هى والسندرة الموجود فى بيت جدتى.. الاثنتان كانت لهما رائحة زمن آخر"

الروائح أيضـاً لعبت دوراً مـهمـاً فـى الرواية من حـيث إشباع الحاسة الخامسة في حواسنا بشكل عام كيف تم تنمية حتى حاسة الشم، بكل تلك التفاصيل المغرم الكاتب بها، حتى أصناف الشراب أثناء العمل شاى رايح.. وقهوة جاية.. ينسون وكراوية وعناب، قرفة سادة وقرفة بالحليب ونسكافيه، ساندويتشات جبنة تركى، لانشون، بيض، وحلاوة، ومربى، وعسل بالقشطة.. رائحة دخان السجائر.. سحابات الدخان الأزرق، الشيشة وشيش وابور الجاز.. مزيج من الحميمية، ثم يخط الشاعر بقلمه من جديد، ونشم فى عبير صفحاته "رائحة الياسمين"

"كل ضيوفنا بدون استثناء كانوا يفضلون الجلوس فى

ركن البلكونة الذى تظلله شجرة الياسمين، كل صباح تحصد أمي رزق البلكونة من زهورها التي سقطت أثناء الليل وتضعها فى إناء صغير" ص ٢٦٤

كما حظيت شجرة البونسيانا، وهى شجرة العشاق، وكانت تمتلئ بها شوارع الإسكندرية لسنوات قريبة، وكذلك شجرة دقن الباشا تتنوع زهورها ما بين الأحمر والبرتقالي.. شجرة البونسيانا فى الرواية لها زهور حمراء نارية "ينعكس ذلك اللون الدافيء داخل شقتنا" ص ٢٦٥، حتى رائحة القهوة الفرنسية، ورائحة البستافلورا، ورائحة الباذنجان بالخل، تختلط الشجون والذكريات، الوجوه، والأسماء، أولاد الخالة، والأخوات، ما آل إليه كل واحد منهم.

جاءت تقنية الاستباق فى رواية علاء خالد، ثرية، ومتنوعة، من حيث عدد المرات، ونوع الاستباق، داخلي، خارجي، مزجي.. وتكرر أحياناً أيضاً على مساحة التتابعات النصية للرواية، ويرجع ذلك إلى طبيعة السرد وصياغته فى هذه الرواية لأنها اعتمدت على الغائب، هو.. أو هي، أو أنكل فلان، أو خالتى زينب.. استخدم السارد الغائب، أحيانا أخرى، وخاصة فى جزئية الحكى عن الجد ثم الأب ثم نظرة الأبناء للأم.. العائلة..

"كانت محبتنا بعضنا البعض كأخوة، تقوى فى كل

لحظات الضعف والتعب، وكذلك من خلال حبنا لأمنا.. هذا الرمز الذى لا يمكن أن نختلف حوله كما اختلفنا فى حب الأب" ص٢١٠ .

وقد أدى الاستباق فى الحكى بأنواعه المختلفة لعمل وظيفتين أساسيتين، تقديم الحدث الذى سيحدث لاحقاً، وعمل على تدفق الاسترجاع أيضاً، وهذا يحدث فى كثير من روايات الابيجراما وروايات تيار الوعى أيضاً لأنها تعتمد فى صيغة السرد على البطل الذى يحكى الأحداث وقد أصدر حكمه مسبقاً، أو أعطانا الأسباب للوصول إلى تلك النتيجة، وذلك الرأي:

"حب الآخرين لنا، عبارة عن نقاط متباعدة، نحن الذين نحتاج لهذا الحب، نصل بين النقاط المعزولة ربما لا تسعفنا إمكانياتنا أو حياتنا القصيرة لنصل بينها، ولكن علينا أن ننثر تلك النقاط فى طريقنا أو على الأقل نبحث عنها" ص ٢١٩ .

"لا أعرف ما هى حقيقة الحب، ولكنى أننا يمكننا أن نحب وأن نحب، كلما تواضعنا فى رؤية أنفسنا ورؤية الآخرين"

"الليل هو ما كان منسيا.."

"بوفاة أمى انقطع حلم السير فى هذا النهار الطويل،

اختفى الماضى من أحلامى.. أنا الآن سعيد لأن الماضى خرج من قائمة أحلامى، برغم شعورى ببعض الألم من هذا النسيان، ولكنه ألم خفيف كريشة طائر ينتقل بهدوء من مكان إلى آخر.."

"الألم فى الحلم لا وزن له.."

فى تلك العبارات المحلقة مثل الفراشات الذهبية، لا يسع أى قارئ لهذا العمل الممتع حقاً إلا أن يتوقف كثيراً أمامها.. يعاود قراءتها، ويعاود قراءة نفسه أيضاً من جديد.. جلد الذات كان فيها شديد الوطأة.. هذا الشجن النبيل أصبح أيضاً القارئ يحمله معه أينما يسير، وكأن الألم والذكرى والحنين اتحدوا مع الهواء؛ فصاروا مزيجاً من حياتنا اليومية..

المجموعة القصصية "ليلة النطق بالحكم"
للأديب المبدع/ سراج النيل الصاوى

الكتابة هى: فن الدهشة والإمتاع.. وعلى غرار الكثيرين من رواد القصة مثل: "إدجار الآن بو"، و"جى دى موباسان"، تأخذ بعض القصص والمواقف اليومية منحنى إنسانياً عميقاً يمر بنا دون التوقف أمامه..

ولكننا بصدد مبدع يحمل قلماً واعياً، يفتت الكثير من اللقطات، ثم يبسطها على الأوراق كلمات وجملاً، وقد يأخذ جواً معيناً ، ويجعل الأشخاص تعبر عنه، وتدور حوله، وغالباً ما يركِّز على شخصية واحدة في موقف واحد، فى لحظة واحدة، وفى أحيانٍ كثيرة أيضاً يقدم لنا مجموعة من الشخصيات فى مواجهة حدث معين، معتمداً فى مجموعته القصصية تلك على وحدة الموضوع الذى بنيٌّ على: المفارقة، التباين، وعامل التشويق الذى يحقق الهدف، وهو فى النهاية المعبر عن رؤية المبدع وموضوعه، وهو أيضاً وسيلته لنقل مشاعره وأفكاره..

كان لابد من هذه العتبة التوضيحية لفتح أول صفحات المجموعة القصصية "ليلة النطق بالحكم" للأديب سراج النيل الصاوى..

نبذة عن مجمل أعمال الأديب: سراج النيل

الصاوى

لا يسعنا البدء دون الإشارة إلى مجمل أعمال أديبنا؛ لأنها هى أيضا حملت بشكل مباشر رسالة إلى القارئ؛ الأديب هو بطل لكثير من الأحداث والمواقف الإنسانية التى حولها بقلمه إلى مجموعات بعينها، لا يمكن إغفال ما سبق، لأن الإبداع دائرة وصل لا تنقطع حلقاتها، بل وأحيانا كثيرة عقداً فريداً لا تنفرط حباته.. الرغبة الأكيدة فى الكتابة هى توصيل الحكمة، نتيجة خبرات طويلة ومعايشات حقيقية لوقائع غير عادية.. كتاباته رحلة ممتعة، كانت "رحلة مع الأيام"، "رحلة مع الأقدار"، "رحلة مع الحياة"، "حكايات ضابط فى الأرياف"، "رحلة مع الثأر".. "رحلة مع الشعوذة"، و"أحلى الأيام"، و"بطل من سبرباى"، و"رحلة مع العدالة"، تاركاً للقارئ "الحكم بعد المداولة"..

إننا أمام أديب واعٍ، يمسك بالقلم ليسطر مواقف متنوعة، ولنتساءل: هل كانت سيرة ذاتية؟ أم كانت سرداً لأحداث اجتماعية بعينها تسجل عادات وموروثات الريف، مثل فكرة الأخذ بالثأر..

وجاء الغلاف ليشكل هو أيضاً همزة الربط بين تلك الثلاثية، وجاءت القضايا المطروحة بلغة سلسة بسيطة، يسهل

استيعابها وفهمها مهما تفاوت عمر القارئ، وجذبه لتقدير وظيفة رجل الشرطة، وغرس قيم احترام الصغير للكبير، وتقدير كل عمل مهما كانت قيمته..

حتى اختيار أسماء الأبطال فى روايته: نبيل، ضياء، مروة.. مؤشرات وومضات بمثابة ضوء على مبادئ يجعلها تعلق بأذهاننا بشكل غير مباشر.. أحياناً الأحداث فى هذه الروايات تأخذ الشكل التقريري..

لم ينفلت قلم الكاتب من قلم الضابط، بل وأحيانا كثيرة ما كانا يتآلفان لسرد مخاوف الفلاحة البسيطة خوفها على زوجها ودفاعها عنه.. احترام معاون القسم لمرؤوسيه، تفسير مفهوم الثأر فى الريف المصرى كأنه سمة من قوة العائلة والقدرة على الحفاظ عليها، ونقد هذا السلوك بشكل مباشر لأنه يدعو إلى العنف ونبذ فكرة العدالة، الإشارة إلى حالة الانضباط التى كانت من سمات المجتمع الريفي، دور العمدة فى القرية، التعاون والمشورة لأنه يمثل شكل السلطة، وكيف أنه أحياناً يتحول إلى سلاح ذى حدين..

تمثل أحيانا حالات الفساد المسكوت عنها: الرشوة والمحسوبية، يضعنا الكاتب أمام قضية جيل بأكمله، ودور المفكر فى تشكيل سلوك وتاريخ، بل أكثر من ذلك تقويم بعض

السلبيات بوضعه نصب عين القاريء إيجابيات الأبطال، فإذا بنا أمام باحث اجتماعى من الطراز الأول يمسك بخيط المشكلة وكيفية الوصول إلى الحلول بطلاقة ويسر..

فى رواية "أحلى الأيام"، تلجمنا المفاجأة؛ نحن أمام قصة بوليسية من الطراز الأول، ولولا معرفتنا أنها كُتبت منذ سنوات لقلنا أنها كُتبت على شكل تلك الحادثة المعروفة (مقتل تلك النجمة الاستعراضية اللبنانية فى دبي)، والتى تناولتها ساحات الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، وأُدينَ فيها أحد رجال الأعمال المشهورين على الساحة.

"أحلى الأيام" تجسد عالم الجريمة وأجواء التحقيق وملابسات الحادثين يضع القارئ فى حالة لهاث من أول سطر يحرك معه عقله ووجدانه حتى تظهر الحقيقة ويغلق التحقيق.. البطل هو الرائد ضياء يأخذنا معه فى رحلة لبحث دقيق دءوب سريع البديهة والتصرف فى داخل عمل هو الأول من نوعه منذ سنوات على الساحة الأدبية..

يتميز كاتبنا بهذا النوع القصصى الفريد، وربما لطبيعة عمله السابق أصبح يمتلك مخزوناً ضخماً من الحكايات والمواقف التى يستحيل على الشخص العادى أن يمر بها، ولا تشعر أنه غريب عنك بل يبسط لقارئه الحكى حتى أنه يتشارك

معه فى البحث والتقصى عبر الصفحات.. يستخدم لغةً انسيابية معبرة، ويضع لكل شخصية لغتها الخاصة وأسلوبها الذى يتناسب وملامح الشخصية، وحتى فى اختيار الأسماء أيضاً الفنانة "فلة"، وتابعها "الدكش"، "الفرنواني"، "الأستاذ صبري"، و"الرائد ضياء"، ونستدل على أصواتهم من طريقة المحادثة نفسها، ورئيس التحرير "عبد المتجلي".. الديالوج.. وأسئلة التحقيق..

والحالة التى رسمها الكاتب من أول سطر حتى آخر سطر، تجعلنا نحن أيضا نتساءل: هل هكذا تكون خاتمة "أحلى الأيام"، وقصة الحب بين رجل الأعمال والفنانة المشهورة؟ أم هناك أيام أخرى سيزيل الستار عنها ويفرد لها ساحات من الحكى..

ولأن كل عمل من أعماله يختلف عما قبله شكلاً ومضموناً، جاءت رواية "بطل من سبرباى"، بمثابة عمل مدعم بأجندة تاريخية دقيقة للغاية، وكأن تلك الأحداث المهيبة قد حدثت بالأمس القريب، وكُتبت وقد مر على أكتوبر والنصر خمسة وثلاثون عاما أو أكثر، وكأن الذكرى شجرة مورقة مازالت تُروى بدماء آلاف الأبطال: الأحياء منهم والشهداء، كأنها ترنيمة عشق لوطن لا تذهب التضحية فيه ومن أجله هباءً..

إنها رواية الوفاء بكل ما تحمله حروف الكلمة.

أسرة "إنتصار"، هى أسرة مصرية صميمة نقل صورتها، ودقائق الحياة فى البيت المصرى، وترابط الأسرة، والحفاظ على العادات والتقاليد والمنمنمات الصغيرة فى كل بيت..

كاتب من نوعية خاصة.. أكان دارساً للتاريخ مثل بطلة الرواية؟ هل كانت إنتصار هى البطلة؟.. هل خالد كان البطل؟ الجد وقدرته الفائقة على الحكي والسرد والتذاكر وإعادة الروح لصور وذكريات الأمجاد؟.. بل جعلنا فى أكثر من موضع نشعر بمحاولته الجادة فى إحياء الروح الوطنية، وروح الانتماء فى أجيال قادمة بأكملها.. هل كان هو البطل؟

كيف كانت رحلة الصمود والكفاح من حرب الاستنزاف والعمليات الفدائية: "ضرب إيلات" ـ "رأس العش"، تدريب الضفادع البشرية، وكأنها رحلة أخرى عبر الصفحات تستعيد فيها مع أبطال الرواية ما تلاها من أحداث جِسام على الصعيد الاجتماعى أو على الصعيد السياسى ولم يلتق بوضع النقاط على كثير من الملابسات والقضايا حرب الجزائر موقف مصر معها ـ حرب اليمن ـ الوحدة بين مصر وسوريا.. كأنها بانوراما تفصيلية لوقائع بعينها حدثت ـ عشنا جزءاً منها، ولم تفسر أجزاءً كثيرة من التاريخ منه

بعد..

بهذا الوصف التفصيلى الدقيق كأننا حول مائدة واحدة، حتى أن أبطال الرواية هم أيضاً شاركوا فى لعبة الإصغاء واستيعاب التجربة، وأصبح القراء أيضاً فى داخل القصة يكمل كل من اشترك أو سمع عن حادث تفجير الحفار أو حتى تابع المسلسل التلفزيوني، فيها جزءاً منها فى ذهنه وذاكرته.. وكيف لا نشنف آذاننا ببطولات الرجال، كما أيضاً طربت الآذان لسماع أغانى أم كلثوم ودورها الرائع فى جمع الأموال للمجهود الحربي..

لم يغفل شيئاً، دور الفن فى تعبئة الروح واستنهاض همة الشعب على التضحية والفداء.. كان البطل الحقيقى للعمل هو المحكى عنه، كان الشعب المصرى بطلاً عانى عدة أزمات تحملها بصبر وإيمان.

ويطالعني سؤال يفرض نفسه: وهل ظل السرد فى هذه الرواية عن أمجاد الماضى وبطولات أكتوبر يدخل على بسياق الفكرة الرئيسية أحداث الواقع المعاش: فوز أوباما فى الانتخابات الأمريكية، استمرار حالة التذمر، وضرب الزيدى للرئيس الأمريكى السابق بوش الابن فى واقعة "الحذاء الشهيرة"، مظاهرات الطلبة ورفض الاعتداءات المتتالية من

إسرائيل على غزة.

ولكن كانت المفارقة أن الرواية كانت قائمة على ربط التاريخ المعاش بتاريخ قد ولى وانقضى، ولكن لا تزال الأيام تسجل فى أحداثها اليومية انتصارات ربما تبدو إلينا صغيرة ولكنها هبة رجل واحد فى كيان واحد، هو كيان الأمة العربية بأكملها ضد ما يحدث فى فلسطين وما سوف يحدث فى العراق وسوريا واليمن والسودان.

استخدم الكاتب لغةً سلسلة، وجملاً قصيرة مدعمة بحقائق ثابتة، وحوارات ذكية لأسئلة ود القارئ لو يطرحها فإذا به يجد الإجابات أكثر من وافرة.. أسلوب جديد في صياغة الرواية الواقعية الهادفة، وعرض شيق لتاريخ نفخر بأننا كنا شهود عيان على بعض أحداثه..

يستخدم الكاتب قلمه كسلاح مضاد لكل فشل أو هزيمة، يدافع بحسه وروحه المقاتلة عن حالة اللامبالاة التى تفشت فى المجتمع، بل يحمل مداد قلمه بشائر القوة والعزيمة، ويوصل بكلمات عبارته بين جيل كافح واستبسل حتى النصر، وبين جيل يأمل أن يحمل الراية ويعلو بها فى أعظم ساحات النصر..

"بطل من سبرباي" ملحمة إنسانية، ووقفة شامخة،

وعمل يدخل فصلا من فصول التاريخ، وكيف استطاع القائد عبد المنعم رياض فى التمهيد بحرب الاستنزاف لانتصار أكتوبر.. تحية تقدير لكل شهيد ولكل من وقف ضد الاستعمار والظلم ليس فى مصر فقط ولكن فى كل الوطن العربى..

ولنفتح باب المشاهدة والتدقيق فى مجموعته القصصية الأخيرة "ليلة النطق بالحكم"

١ـ حجر الأساس فى المتن الأدبي:

أـ الفكرة: هل نحن أمام قضايا اجتماعية محددة، أم قضايا أخلاقية مجردة؟.. نجد أنه من الصعب أن يفصل الإنسان بين الواقع والمثالي.. وإن كانت القضية الكبرى التى تطل من وراء كل قصة قصيرة فى هذه المجموعة "ليلة النطق بالحكم"، الإنسان الذى يخفى ظاهره باطنه، وحدته القاسية والأكيدة، ووقوعه تحت تأثير الوساوس والمخاوف.. هل هناك حقيقة مؤكدة؟.. أم لكل حالة وقعها الخاص بها وظروفها المحيطة بها أيضاً؟..

ب ـ العنوان: مما لا شك فيه، أن العنوان الرئيسى لهذه المجموعة القصصية كان له أكبر الدلالات، الحكم على أى قضية ، يكون بعد مداولة القضاة والمستشارين الجالسين على يمين وشمال القاضى.. وهل نحن بصدد قضية ، وادعاء،

وجانٍ يُشار إليه، ويتشاور البعض أمره بينهم؟

نحن أمام ١٥ قصة أو لمحة إنسانية.. تصدمنا فيها فكرة المفارقة يقع فيها الأبطال فى منطقة سؤالهم أحيانا، أو عرضه للاحتيال، أو عرضه لغدر القدر، وتدور فيه عجلة الزمن مع كل بطل أو بطلة فيكون هو فى نهاية الأمر شخصاً مظلوماً، قهرته الشيخوخة أو الوحدة أو غلبه حبه للجمال وأوقعه فى مكان لا سبيل إلى التخلص منه.. تشير بسخرية لاذعة أن العدل فى هذه الحياة لا يحققه البشر، ولكنها اليد الإلهية التى تهوّن على الذات الكثير من المصاعب والشجون، وجاء الإهداء إلى رموز (العدالة): (أهدى إليكم ليلة النطق بالحكم)

تنتمى بعض القصص القصيرة فى هذه المجموعة إلى نمط القصص السيكولوجية؛ لأنها تطمح إلى تصوير الإنسان، تتفقد مشاعره وأحاسيسه، وتتحدث عن أشياء كثيرة خفية فى النفس البشرية مثل: "قصة طمأنينة" هل باستطاعة الإنسان العيش بأماكن أخرى أفضل، بعيداً عن أسعد لحظات حياته وذكرياته وأشيائه البسيطة؟.. أم كل ما ينشده فى هذه الدنيا لحظه اطمئنان تسره..؟

وجاء عنصر التشويق في كل قصة لأنها تتركنا وقد يطرح

كل منا على نفسه نفس الاستفسار، وتأتيه النهاية بالأجوبة، وقد تنتهى أحياناً بلحظة حزن عارمة مثل "قبلة الوداع" أو السخرية أو الوقوع فى مأزق مثل قصة "تدريب على المحادثة"..

المبدع يملك أدواته الفنية عن جدارة، بخلاف الصدق الشديد وقدرته على تفجير الأسئلة فى ضمير المتلقي.. نحن أمام عمل إبداعي جديد تم تشكيله وفق رؤية حديثة ومتطورة لا نملك حيالها إلا الإعجاب..

جـ ـ الشخصيات: أغلب شخصيات المجموعة سلوكها مرهون الخطوات بالظروف والعوامل والأجواء التى وجدت بها، ويكون أحياناً ردود الأفعال غير عادى مثل: موقف الدهشان مع مأمور القسم، وضابط المباحث فى قصة "ابن ليل".. ولكننا نجد فى بعض القصص نوعاً من التوحد بين المبدع وشخصياته؛ يكاد يكون هو الحكَّاء والبطل، مثلما حدث فى قصته "بريجيت والانتخابات"، وهذا التوحد يلقى الضوء من ناحية أخرى على المبدع وفكرة "الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية"، يعكس ما هو قائم اليوم فى فكر الانتخابات فى مصر.. يشير دون التطويل إشارات خفية تعمل على إعمال العقل والتدبر فى الأحوال العامة، ومن هنا

من الممكن أن نشير إلى أهمية التجارب الذاتية فى إثراء العمل الإبداعى..

وتتضح لنا الأمثلة الإيجابية فى العديد من الشخصيات التى لم يكن لها مواقف بعينها على الصعيد اليومى للأحداث البسيطة، ولكن تخرج إلى النور فى لحظة بطولية فارقة؛ لترفض الظلم بكل جوانبه مثل القصة الرائعة "ليلة النطق بالحكم" التى سميت على أساسها هذه المجموعة، حيث أن البطل:

"تقلقه مسالة البحث عن العدالة لدقتها المتناهية، وهو فى ذلك كالصائغ الذى يمسك بميزان الذهب الحساس، فصدور حكم بالإدانة حتى وإن كانت التهمة ثابتة مسألة ليست سهلة، لأن العقوبة كثيراً ما تتأرجح بين التشديد والتخفيف، وفقاً لظروف وملابسات القضية، وعندما تتمثل للقاضى بطل القصة كل الملابسات والادعاء والمجنى عليه يستحضر كلمات محامى المرافعة" ص ٣٨

تمس كلماته شغاف قلب القاضي، وهو يسترجعها ويصدر حكمه صباح ذلك اليوم بتخفيف العقوبة على المتهم مع إيقاف التنفيذ؛ للعدالة وجوه أخرى.. وبمجرد ذكر "عمر بن الخطاب" يتداعى إلى الذهن سواء عند المتلقى أو القارئ: "عدلت،

فأمنت، فنمت يا عمر".. فكرة العدل المطلق، والعدل الإنساني، والعدل الإلهي.. الشخصيات، كما ذكرنا، تحاول أمام أعتى الظروف وأشدها ضراوة على تحدى الصعاب اليومية، وإيجاد حلول منطقية وسهلة لكثير من المشاكل.. هنا يأتى دور المبدع؛ لأنه أصبح يملك مفاتيح الحل وأطواق النجاة..

من الملفت أيضاً أن الشخصيات الرئيسية فى بعض النصوص لا يشترط أن يكون بطلها إنساناً، أو مكاناً، أو زماناً، بل جاء التحديد هنا أو الحداثة فى جعل الحيوانات الصغيرة تقوم بأعمال بسيطة وفطرية، تبعث على التأمل، وتشير بفطنة إلى ضرورة إيجاد حلول للنجاة والأمان والاستمرار.. يتماهى عقل الإنسان، يأخذ من الحيوان عظةً ورؤيةً أخرى لمشاكله مثل قصة "مشكلات"، وقصة "طمأنينة" كما ذكرنا..

فى هذه المجموعة القصصية جاء امتزاج الواقع والخيال، أى قد يكون الحدث حقيقة من الواقع.. استطاع المبدع أن يحوِّله بخياله وبطريقة غير مباشرة إلى واقع مغاير للأحداث التقليدية، معتمداً فى ذلك على روافد ثقافته العامة، بما فيها من مخزون تراثى وتربوى وبيئى يحوِّل الحدث من مجرد فكرة إلى بداية واقع معاش على الورق؛ ليصل بنا إلى لحظة التنوير

معتمداً على التركيز على موقف معين أو لحظة معينة، يسلِّط عليها الضوء مثل قصة "اعتراف ما قبل الرحيل"

٢ــ البناء والنسيج فى "ليلة النطق بالحكم"

١ــ البناء والنسيج فى هذه المجموعة جاء سلساً متدفقاً وسريعاً، جميع الأفعال مضارعة مما يزيد من تأجج الأحداث ونشاطها؛ فنحن أمام قصص تتحرك باستمرار.. وإذا كنا نتحدث عن نسيج القصة، فإننا نعنى: اللغة، الوصف، الحوار.. وتم توظيفها بدرجات متساوية، ويتضح ذلك فى الكثير والكثير من قصص هذه المجموعة "ابن ليل"، "٤ مقاعد لكبار السن"؛ مما ساعد على انتظام إيقاع القصة المتناغم، وكذلك الوصف جاء دقيقاً كما في قصة "شقة مفروشة على البحر".. الوصف للسيدة جمالات وللمنزل المراد تأجيره، حتى أصبحت القصة كأنها صورة فيلم سينمائى تتحرك أمامنا فيها الشخصيات والأبطال بالألوان المجسمة..

٢ــ لغة سهلة منتقاة.. لكل قصة حكمتها البليغة، منذ أول قصة تبحث فيها النفس عن الطمأنينة، بعد كمٍ من المشكلات المتعاقبة يأتى الاعتراف الواحد تلو الآخر، وتبدو الفكرة أكثر وضوحاً فى تاج المجموعة "ليلة النطق بالحكم".. كما تتداعى فكرة الالتزام بالقانون فى قصة: "٤ مقاعد" ص ٥٩ هناك

قانون إنساني آخر هو الذى يحكمنا، وحتى إن بدا ساذجاً، أوامر غير ملزمة، إنه القانون الأخلاقي، يتناول فيها القاضى قضايا المجتمع المعاصرة: انعدام فرص الشباب فى العمل، مأساة الأجيال، ومعاناة جيل بعد آخر، إشارةً إلى اختلاف وجه المجتمع الذى تحوَّل إلى مجتمع يؤمن بالتقسيم: مجتمع سيدات ورجال، مجتمع متدين وغير متدين.. هذا الولع الإنسانى يتفقد أحوال الناس، ويحاول حل مشكلاتهم بشكل طريف أحياناً، وبشكل مباشر أحياناً أخرى، يجعلنا نصل إلى أخر المداولة والنطق بالحكم..

الخاتمة

أجد دائما فى مجموعات الأديب والقاص والروائى سيادة اللواء "سراج النيل الصاوي" الحكمة والموعظة والطرافة والتجديد فى تناول الموضوعات المختلفة.. نحن أمام أديبٍ ومفكرٍ واعٍ.. يمسك بالقلم ليسطر أشكالاً من المواقف المتنوعة واللقطات السريعة الهادفة أيضاً.. يطرح فكرته بلغة سلسة بسيطة على القارئ فهمها واستيعابها مهما تفاوت عمر القارئ.. يفتح موضوعات يتناولها الشارع المصرى عن طريق الحوار، وفتح باب لمحاولة فهم الآخر.. يأخذ من طرح الرأى والرأى الأخر سبيلاً لإيجاد حلول لكثير من المشاكل والقضايا الإنسانية.. يضعنا أمام قضية جيل بأكمله، ودور المفكر فى تشكيل سلوكه وتاريخه، بل أكثر من ذلك تقويم بعض السلبيات بوضع نصب عين القارئ، إيجابيات الأبطال..

نحن أمام باحث ومفكر من الدرجة الأولى يمسك بخطوط الفكرة ويظل القارئ مشدوهاً ومعلقا إلى أخر لحظة، حتى أخر كلمة من صفحاته وأعماله رجل فاضل وصديق حقيقى وكاتب متفرد، أتمنى أن يمتعنا بأعمال كثيرة مثلها على مر السنوات القادمة.. أطال الله لنا فى عمره، ودامت لنا إبداعاته..

العمة أخت الرجال
أحمد أبو خنيجر

حصل الكاتب المصرى المتميز "أحمد أبو خنيجر" على جائزة ساويرس للكتاب الشباب عام ٢٠٠٦ عن روايته "العمة أخت الرجال".

بشجاعة فائقة تأتى رواية الأجيال هذه، لتحكى قيام عائلة كبيرة وانهيارها.. صعودها وهبوطها.. ومصائر الأجيال، زرعت بذرة الشر فأخذت تتاجر فى العبيد الذين تقتلعهم من بين أهلهم وذويهم، وتأتى لتقيِّدهم فى الزرائب خوفاً من الهرب، وهذا الجد الشكَّاك الموسوس بقدرة العين على فلق الحجر؛ ولإيمانه بذلك قرر أن يبنى بيته بعيداً عن القرية، عند أطرافها، حيث يمكنه الولوج والخروج إلى الصحراء بعيداً عن أعين أهل القرية التى لا تفعل شيئاً - بحسب نظرته - إلا عدّ الداخل والخارج من العبيد والإبل.. إننا نكاد نسمع الضمير الفنى لكاتبها الصادق والشجاع، وهو يواجهنا بالحقائق فى صورة أحد شخصيات الرواية يقول:

"الكتابة تحتاج إلى شجاعة كما الحياة تماماً.. ويبدو أنك أوقفت حياتك للفرجة دون الخوض فى معركته.."

لقد اتخذ المؤلف من الجنوب المصرى مسرحاً لأحداث

روايتـــه بما يحـــمـل هذا الجنوب من عـــبق التـــاريخ والدين والحكمـة والفن الشـعبى وأســاطيـر الصـحـراء والجداريات الشعبية المرسومة على البيوت، والتي جعلها الكاتب معوِّلاً لما يعتمل بنفس أشخاص الرواية بمقدرة فائقة وبحس شفاف:

"ها هو عيد يتنبه على الرسم القديم لسيدة تجلس فوق المصلاة.. تلف السيدة طرحة خضراء تشع من ملامحها الراضية، وعيناها تنظر من بعيد كأنما تتطلع لشيء غامض.. لكن روح السيدة تبدو عارفة به مما يجعلها راضية بهذا القدر.. الآن يدرك أن هذه النظرة لم تكن من خياله لقد شاهد هذه النظرة الطافحة بالبشر والرضى فوق وجه السيدة حينما عادوا من منزل عثمان أخيها بعد أن خطبت ابنته زينب لابنها سعيد".

هو يعرف الآن أنه عندما يشرع فى الرسم لا يبذل أى جهد فى تذكر الملامح.. يده تجرى بالخطوط التى تملك عليه خياله والصورة.. وحين يسأله أحد عن سر الدقة والوضوح يشير إلى صدره: "الخطوط كلها هنا".

وإذا كان الكاتب والأديب "أحمد أبو خنيجر" يحكى مصائر البشرية كلها من خلال حكايته عن عائلة الرجال؛ فإنه بحسه الشفيف يجيد التمييز بين الشخصيات والبيئات حتى

جعل لروايته وأشخاصه وأماكنه مذاقاً مستقلاً..

من أين أبدأ؟ هل عند تلك النخلة التى زرعها الجد، وجلب بذورها من أقصى السودان؟ أم تلك الخلوة التى تأنس إليها العمة فاطمة.. إلى جذعها وملمسها؟ أم تجاه بيت الضيافة الذى يعمر بالوافدين؟.. أم داخل تلك الفسحة الواسعة للدار التى تخرج فيها الدواجن والماعز والطيور؟.. أم من فوق سجادة صلاة افترشت للدعاء فى غرة كل فجر؟ ثلثه الأول للوالدين والغائبين، وثلثه الأخير لمطلب المغفرة والصفح.. تسأل فيه العمة فاطمة من العلى القدير أن يهبها حسن الخاتمة وعدم الحاجة وألا تصبح عاطلاً..

أبدأ بالعكاز، السند والدرع، الصامد فى يدها، المرتعش تحت أقدامها حين تتضح فى الأفق صورة من غابوا، وهذا العزيز الابن الأول سعيد.. المشاهد الإنسانية الحسية فى ذلك العمل الممتع لا تفتأ أن تدهشك بصدقها وعفويتها..

"النعجة والخروف": تدفس النعجة رأسها فى حجر السيدة التى بوغتت هى وعيد بذلك التصرف، وها هى تمسح بيدها على رأس النعجة وتتمتم قائلة: "إنها أم".

دعونى أطرح عليكم من خلال تلك المهارات المختلفة والتكنيك المتفرد الذى لجأ إليه هذا الكاتب الواعى بقلمه ومدى

تأثيره وقوته ونبرته الصادقة في توصيل أفكاره البديعة وأحاسيسه المرهفة للغاية.. كيف تم تصوير المشاهد بتلك الدقة؟.. كيف اعتنى بنصه كل هذا الاعتناء؛ فصار نصاً نموذجاً لكل ما يخطر على بال الباحثين في مجال روايات الوعي الذاتي.. نحن لا نكتب لأنفسنا فقط، ولكننا نكتب لتعيش الأفكار بعدنا.. تحكى عنا، وتشير إلى ما بذلناه من جهد حقيقي، وإفصاح نادر عن معاناتنا الإنسانية..

كان ملفتاً للقارئ المتأني، البناء غير التقليدي لهذا النص الأدبي.. انقسمت الرواية إلى فصلين أو جزئين: كتاب العمة، وكتاب الرجال.. وما بين ذلك وتلك فصول تحمل عناوين خاصة بها مثل: "حكاية"، "فصل في ذكر البناء"، "مقتطفات من سيرة السيدة"، فصل "في ذكر الراديو"، فصل "في ذكر السباق"، فصل "في ذكر الرجال".

مارس الأديب والمبدع فن وحيلة الاستباق، جاء الجزء الأول منها ليكون مسرحاً حافلاً بكل ما يحويه النص من عادات أهل الجنوب وطقوسهم في العيد، وحكايات السمر والليل والربابة ومغني المواويل.. المنشد الذي تحول إلى زائر غير مقيم، ولا يلتف حوله أحد من تلك البلدة النائية من صعيد مصر، بعد أن دخل الراديو وسافر أبناء الجيل الجديد بغرض

التعليم والعمل إلى البندر..

حكايات لم يخل بعضها من الطرافة والشجن أيضا. جاء وصف بعض الحالات والمواقف التى مرت على العمة فاطمة غاية فى الإنسانية والرقة.. جاءت الجملة سلسة واضحة.. المتعة جاءت فى سرد التفاصيل: شكل البيت، وهيئته، علاقة العنزة بالعمة، النخلة..

لعبت المؤثرات الخارجية دوراً ملموساً فى تحريك المشاعر الدفينة الكامنة لاستخراج ما فى الوجود الإنساني، ألا وهو التعاطف والألم والفقد.. وصارت العمة فاطمة هى عمتنا جميعا: هى الخالة، هى الجارة الطيبة.. هى الأم بكل ما تحويه الكلمة من معنى..

كيف لا ينشرح صدرك، والنص يبدأ يوم "وقفة عرفة"، وهذا المشهد الأثيرى الذى لا تستطيع أن تغفله بعين القلب أو عين الكاميرا الفاحصة.. كيف لا تذرف دموعك فجأة.. وها هى على سجادة الصلاة تنهمر دموعها: "لبيك الهم لبيك"..

هل كنا بحاجة إلى كل تلك التفاصيل الهرمية؛ لكى يبدأ النص وتتكامل أجزاؤه، وتتحول الأسطورة المحكية إلى حقيقة واقعية شديدة التأثير فى القارئ وفى أبطال الحكاية أنفسهم.. كان فيها الجد هو الركيزة، ثم تحولت الحكايات

المتصلة المنفصلة إلى نسيج واحد متصل رغم اختلاف الزمان وتواتره فى النص بشكل جديد.. هذه التقنية لا يجيدها إلا من أفرد سنوات من عمره فى القراءة المتأنية، تضيف إلى إبداع الكاتب مراتب من السبق غير المعهود لأنه أدمج الأسطورة "أسطورة الجد" إلى الواقع بكل تفاصيله، وأخرج لنا هذا النموذج الفريد "الحاجة فاطمة" التى لم تذهب إلى الحج بجسدها، ولكنها ذهبت مراراً وتكراراً بروحها..

جاءت الفصول القصيرة لتثرى العمل، وتقوم أيضاً بعمل بساط حقيقى كما يسمونه فى المسرح، ثم تحضير كل الشخصيات.. طريقة الفلاش باك، وطريقة شرح المنحوتة الواحدة بعدة أصوات.. العمل لم يخل من الأصوات المصاحبة: أصوات نحيب الذين وقع عليهم ظلم الأسر: العبيد فى أطراف البيت، بكاء عيد، نحيب سعيد، وتلك الأصوات غير المرئية دائماً، ولكن المسموعة بقوة فى عقل العمة أخت الرجال..

قال فلوبير "فيلسوف الأدب":

"إذا كانت لديك أصالة فعليك أن تظهرها وإن لم تكن لديك فينبغى أن تخلقها.. وما الموهبة سوى صبر طويل.. إن أبسط الأشياء تنطوى على نقطة ما مجهولة فيها؛ فلنبحث عن تلك

النقطة".

وها هو القاص والروائي والمؤلف المسرحي والباحث الأديب "أحمد أبو خنيجر" مواليد قرية الرمادى ـ غرب النيل ـ أسوان ,١٩٦٧. يحاول فى أعماله اقتناص رائحة الخصوصية التى يفوح بها إقليم الجنوب فى مصر يبحث لصوته عن مساحة ونبرة تميزانه عن الأجيال السابقة..

يمكن تصنيف اللغة عنده على ثلاث مستويات هى: اللغة الملحمية التى تمزج لغة التراث ولغة التخاطب، واللغة الوصفية، وهى لغة تسجيل الأحداث التاريخية التى مرت على عائلة الرجال، واللغة الإيحائية التى يمتزج فيها بتيار الوعى، وذلك فى الجزء الثانى من الرواية "حكاية الرجال"

وفى هذه الرواية تحديداً يلفت النظر فيها التوظيف الجمالى للغة، وصارت فيها الشخصيات أقرب إلى النموذج: الجد، العمة، سعيد، عيد.. ولم تفرض البيئة وجودها الشديد فقط، ولكن سارت مواكبة لنفس حضور الأبطال والأحداث ومضمون الراوية.. يجيء صوت السارد الفتى فى الرواية للتعليق على ما يدور حوله أو التعبير عن الأفكار والتأملات العميقة الناتجة عن تيار الوعى..

وبهذا استطاع الكاتب بفنية عالية أن يحوِّل

شخصيات الرواية من مجرد شخصيات فردية إلى شخصيات كونية تعبر عن وضع الإنسان فى هذا الكون وحيرته أمام أسراره، وخاصة فيما يتعلق بفلسفة الوجود وقضية الموت: فالحياة تستمد عند البطل معناها من مؤشرات الطبيعة ومن بعض الأحداث الصغيرة جداً على سبيل المثال "العنزة"..

ومن جماليات اللغة أيضا أنها لم تقف عند حد القص والحكاية وبعثرة الأحداث، بل تجاوزت ذلك إلى بلورة أفكار الشخصيات ودفع التفاعل بين السرد والحوار..

سيطر الحوار الداخلى على البعد الفنى كذلك، وهذا من أجمل أدوات التكنيك المتفرد بحيث ظهر حوار الهذيان تارة، أصوات أرواح الراحلين وصورهم تارة أخرى، كفلاش باك فى مخيلة القارئ أيضاً..

بناء الزمن فى رواية "العمة أخت الرجال"

هذه الرواية من الروايات التى تبقى وتعيش فى ذاكرة كل من يقرأها ويطلع عليها، وأسباب ذلك كثيرة أهمها اختيار الزمن.. هل هو الزمن بمعناه المتعدد عند "برجسون"، أم هو مفهوم الزمن عند "برتراند" المعتمد على الذاكرة أم هى حركة التتابع والتغيير مثل كتابات "فرجينيا وولف" و"بروست".

الإحداثية المفارقة أن فى "العمة أخت الرجال" جاء الزمن

بطلاً رئيسياً يختلط فيه الواقع الزمنى للراوى بالواقع الوجدانى الذى يحمل زمناً آخر وذاكرة لا تغيب..

هذا التعدد والتلاقى يسمى (بالتداخل الدينامي) أى الترابطات الزمنية التى لا يتم ترتيبها بانتظام فى الرواية فى لغة وسرد الراوي، هناك دائماً كسر بين السابق واللاحق.. هناك قفز زمني، أحياناً للأمام وأحياناً، بل كثيراً إلى الخلف، كأنها سلسلة فقرية واحدة يكفي أن تحمل جزءاً منها وتشده إليك حتى تأتى كل الأجزاء تباعاً..

البطلة هى العمة بلا جدال، تجدها واضحة متصدرة المشهد الأول وأيضاً تتصدر خاتمته، حتى وإن كانت فى حقيقة الحكاية صارت غائبة، هى المتحدثة وهى المتحدث عنها.. هى البطلة المحركة للأحداث، ومن بعدها تتطور الحكاية بناءً على هذا النسيج الفنى المتكامل أيضاً.. يحكون عنها، فيجئ التواتر الزمني، ويقصد منه إعادة تكرار الأحداث الرئيسية والفرعية داخل النص على لسان الأحفاد أو الجيل الثاني، وهذا يتطلب جهداً كبيراً، مضى فيه الكاتب بخطوات واسعة مع بعض الإضافات التي أثرت العمل، مثل الاقتراب من المغزى الصوفي والكشف عن أزمة الفرد: أزمة العمة، أزمة زينب، وأزمة سعيد..

استطاع هذا الأديب المبدع حقاً أن يتجه بنصه إلى

العالمية لأنه لم يتوخ حذر الكتابة خلف الاتجاه النفسى أو الاتجاه اللغوى أو الاتجاه الاجتماعى أو التاريخي فحسب، اتجه اتجاهاً مفتوحاً يصعد ويهبط لمعارف إنسانية كثيرة، ومما يضيف إلى إيجابيات الكاتب الأسلوب الواضح والمعبر الذى توخاه المؤلف..

أهمية المكان:

يكتسب المكان فى الرواية أهمية كبيرة؛ لأنه أحد عناصرها الفنية أولا، ولأنه المكان الذى تجرى فيه الحوادث وتتحرك خلاله الشخصيات، وهو سبب الإشكالية الرئيسية التى ستتضح لنا فيما بعد عن طريق حوار داخلى للعمة عن الجد، أو من خلال اكتشاف ابنها سعيد لهذا الإرث اللعين، وهى اللعنة وتقديم نفسه للعذاب كل ليلة، حتى تتبرأ العائلة من هذا الذى جناه الجد بتعذيب العبيد وسجنهم وتعذيبهم والاتجار بهم: "أصبح المنزل بحجراته" فكان المكان هو المساعد على تطوير بناء الرواية، ومحور تجمع الأبطال..

فى رواية أحمد أبو خنيجر لم يكن المكان كقطعة قماش بالنسبة للوحة، بل كان الفضاء الذى تصنعه اللوحة؛ فأصبح المكان معبراً عن نفسية الشخصيات ومنسجماً مع رؤيتها للكون.. علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر، وأعطى

للمبدع خصوصية هذا الخلق الفني.. نقلنا إليه؛ صرنا نمشى وراء العمة عند النخلة وحظيرة الدواجن والمبنى المهجور وحجراتها، بعد أن دلفت إليها زينب بعد مرور سنة على غيابها وموتها.. نشم رائحة الكعك والخبيز، الأفران الساخنة، ونسمة الهواء المنعشة، وارتعاشة فرشاة عيد على الأبواب..

جعلنى أدقق فى الرسومات وألوانها، موسم الحج، صهيل الجواد فى تلك المسابقة، جمال تقسيمات الروح.. صار أحمد أبو خنيجر مثل "بلزاك" لم يترك تفصيل من تفاصيل المشهد إلا ذكره..

هذا الفضاء الروائى تحقق من خلاله حركة الشخصيات فى المكان وتفاعلهم معه.. حدث ما يسمى بإيجاد العلاقات المكانية، وجعلها نابضة بالحركة والفعل.. وعند رواية "العمة أخت الرجال" لم يكن المكان مكاناً معتاداً كالذى نعيش فيه أو نخترقه يومياً، بل صار نوعاً من الخصوصية التى لا يتيحها إلا نص أدبى متميز، يعدو بنا معه لنشاركه ذلك الإيقاع المنتظم ونشاركه أيضاً كل حرف فيه..

وأخيراً وليس أخراً:

"أحمد أبو خنيجر" هو كاتب وأديب، ينتمى لجنوره وبيئته وعائلته الأولى وبلدته الغافية تحت جناح الصمت والمواويل..

أظهـر بكتـاباته وكلمـاتـه ومـواقف أبطاله، مـعـدن النفس الإنسـانية، وأزاح الغبـار عن جزء عزيز من تكويننا الثقـافى والفكري، وأطل بقلمـه يحـاول أن يمسك بخـيـوط الحلم والمستقبل دون أن يفقد اتصاله بالواقع، من خلال العمة أخت الرجـال، تجلت قـدرته الفـائقـة على طرح الأسئلة الكبـرى فى حياتنا، تاركا لكل منا محاولة استخلاص الأجوبة..

وليس هـذا فقط، ولكنه أدخل لغـةً جديدةً، إذا حق لى أن أقول أن قدرته البليغة على صيـاغة لفتات تعبيـرية خاصة، وإسنادات مجـازية خـارقـة استطاع بهـا تخليق التوتر وقلق المعنى، وقـدرة أيضـاً فـى استـثـارة لحظات الوجـد وحـالات التـأمل، واستـحضـار المشاهد البـصرية أمـام القـارئ، فكأنه يشـارك أبطاله المشـهـد والحـوار والصـور المرسـومـة على الحوائط والبيوت.. لا نستطيع أن نغفل ميله منذ البداية إلى الصورة الحسية والتجربة الانفعالية وتجسيد المجردات.. الرواية كلها تدور فى حـركـة دائرية، من نقطة بداية محـددة، تعود إليها نقطة النهاية أيضاً..

وضُحت فى تلك الرواية تقنية القفز، وبصورة مـدهشـة، حيث يجاوز فيها السارد فترات زمنية بأكملها دون ذكر لما حدث فيها من وقائع، وقد تكون القفزة صريحة مثل: "مرت

أعوام".. "مرت سنوات"، وقد تكون القفزة ضمنية، وفيها لا يصرح بالقفزة، بل يترك القارئ كي يعمل فكره من خلال اكتشافه لفجوة في التسلسل الزمني، أو انقطاع في تتابع الأحداث المروية، يميل السارد نحو البطء الإيقاعي في سرده، وهو ملائم لطبيعة تلك الرواية الملحمية..

ومن الملاحظ تكرار حدث بعينه في القصة، مثل مشهد السباق الأثير الذي تركت فيه العمة ابن عمها "مصطفى" يسبقها.. كل أبطال القصة يرون اللقطة من مواقعهم حسب ذاكرتهم ومع تتابع الفصول.. نكتشف نحن القراء الصورة بأكملها، وهي كما ذكرت تقنية التواتر في فكرة الزمن عند أبو خنيجر.. سيطرت صيغة الحاضر على صيغة الماضي في القسم الثاني من الرواية.. وارتبط الاسترجاع فيها بوظائف أخرى، هي استرجاع شخصية أخرى غير شخصية العمة، بحيث يكمل السارد بعض المعلومات واللمحات عنها من خلال زينب، التي لم يقدر لها الزفاف بعيد أبداً، وقد يربط الاسترجاع ليربط حدثاً آنياً، بأحداث أخرى سابقة مماثلة له: وجود الغريب في الدار، نشوء فكرة الثأر والنيل من عائلة الرجال مثلاً..

في حقيقة الأمر، لم استمتع بقراءة رواية مثل متعتي

بقراءة هذه الرواية، من فترة طويلة، وإن كان ليس جديداً على كتابات "أحمد أبو خنيجر" الذى يقدم لقارئه المتعة والدهشة والمعلومة، وهذا الفضاء الروحى المفتوح لكل نفس إنسانية تبغى الحياة فى أمن وسلام ومحبة..

"شاطئ الفردوس"، و"شجرة الصبار" للدكتور/ عبد البارى خطاب

قال النفرى: "كلما اتسعت الرؤية، ضاقت العبارة"

جاء هذا العمل الأدبى، ليصور حادثة غريبة من نوعها، وكونها حادثة من حوادث العالم الآخر، وإن بدت لأول وهلة حادثة مرتبطة بالعالم الأدبي، يتعمق القاص فى تقصيه لها، والنظر إليها من جوانب متعددة، ويطرح فيها العديد من الأسئلة التى تؤرق الكثيرين منا عن عالم البرزخ أو نفق النور، وذلك ليكسبها قيمة إنسانية متفردة كما هى متفردة تلك التجربة، أى حكاية ما بعد الموت أو ما بعد الحياة..

الارتباط بالزمان والمكان، والوصف الدقيق للحالة، وتسلسل الفكرة وعرض كل ما يتخلل الحدث من صراع مادى دنيوى ملموس ومقارنة بصراع نفسى روحانى من نوع جديد، وما يكتنف ذلك من مصاعب وعقبات لا يستطيع العقل بتفكيره الدنيوى أن يتكيف معها أو يعقلها بطريقة مشوقة، تنتهى بالقارئ إلى غاية معينة، وهى أنه مهما بلغنا من درجات المعرفة والكمال الإنساني؛ فما نجهله أعظم بكثير..

وهنا يدفع بنا الكاتب والقاص للتفكير والبحث عن إجابات تبدو مقنعة، وخاصة أن القضية المطروحة رغم

بساطتها الظاهرة تتناول موضوعاً فكرياً وفلسفياً فى غاية الأهمية.. هل ما يطرحه هو خلاصة تجربة، أم وجهة نظرة؟.. هل سرد حكايات اللا معقول أصبح يدهشنا، ونحن نعيش حياة تصدمنا بغرابة تفوق ما نتخيله إدهاشاً؟

صار النص يتأرجح ما بين الحقيقة والحلم.. بين الممكن والمستحيل.. بين الواقع والسحر، وذلك عبر ذلك المشهد الأثير: "حفلة موسيقية" جاءت الغرابة فى الاستعانة بهذا الطقس الروحاني، والذى تضيف عليه العاطفة الإنسانية الكثير من مفرداته.. هو غريب لا معقول نادراً ما يحدث، ويبدو علمياً وليس عاصياً على الحدوث؛ عندما يصدقه المتلقى يكون واقعاً مألوفاً، وإن لم يصدقه يصبح حلماً أو خرافة..

جاءت رواية "شاطئ الفردوس" مثل كل القصص التى تندرج تحت عنوان الغرائبية السحرية؛ لأنها بنيت على الدهشة وتسجيل واقع غريب، هى من الخيال، وأصبحت حكاية الغرابة المعقولة.. حملت الرواية مجددا باختيار الكاتب، أسلوباً منمقاً، وجاءت كلماته بسيطة ومحددة، صقلت بلغة الشعر أحياناً، وصقلت بروح الصوفية أحياناً أخرى، وأصبحت الأسئلة التى يطرحها صوت الراوي، موجودة نظرياً فى ذهن المتلقى، وصارت الحكاية حالة واقعية وليست

وهماً.. لا يسد مجرى الاشتباكات الذهنية والحسية معاً، من خلال تلاطم الصور البلاغية الجميلة، وطرد الفواصل السردية التقليدية..

أصبح للقصة طقوسها الخاصة، وملامحها التى تأبى الانقياد إلى أساليب تقنية مستهلكة.. جاءت الرواية تمثل نصوصاً مستقلة أحياناً بذاتها، نجد بعض الفصول تكون شبه استغراق فى توصيف المشهد، بعض الفصول فيها شيء من التوهان والفوضى، وهو ما يحتاج من الكاتب الكثير من الجدية والعناية بتكنيك النص، لأن النصوص الغرائبية لا يكتمل سحرها إلا عندما يكون فى النص صراع ينفذ إلى مخيلة القارئ، وتكون الحكاية موغلة فى عمق الذات الإنسانية والتقليل من الحكايات الهامشية حتى لا يكون عمق الحكاية محدوداً، كان الشرط واضحاً من أول عبارات النص..

"هى دعوة عامة لتحلق معى إلى شاطئ الفردوس، مع ضمانات أكيدة بسلامتك خلال الرحلة، وعدم ضمان بعودتك منها، فمن أحب أن يذهب له مطلق الحرية، أما العودة فهى قدرية لا نملكها.."

هى رواية فلسفية ورؤية تطرح لأول مرة بهذا الصدق والبساطة على الساحة الأدبية، وقد استخدمت فكرة الجنة

الموعودة، وبعيداً عن الأرض ورحلة إلى السماء من قبل، ولكن الأهم اقتناعنا بها، أوَ لم نقتنع بالإسراء والمعراج؟..

ومرة أخرى، بعيداً عن تحديدها تحت أى مسمى، فلتكن الرواية الحلم، ونفتح أولى صفحاتها، بداية الرحلة، يرحل البطل عن ماديات الأرض، ما الموت إلا رحيل، يبدأ الرحيل فى ملابسات غاية فى الطرفة لا تتلبسها موتيفات الحزن عند الموت بشكلها التقليدي:

"يا إلهى كيف لى أن أرى جسدى ممتداً على الشاطئ، وأين أنا الآن..؟.. هل أنا ميت؟"

رؤية، أم حقيقة؟.. هل كل ما سوف يحدث.. سيحدث هكذا؟.. لكم أتمنى أن أسير فى نفق الضوء يأتينى بغير توقع أحباء تناست الأيام أسماءهم وجرفتها فى طريقها أحداث الحياة اليومية.. هاك فلان، وهاك حسن صديق البطل القديم هو أيضاً قابله فى لحظة فارقة، لحظة المعجزات الأولى، وصدق الرؤية والإيمان بالله ونفحاته الكريمة حتى الإفاقة من الغيوم والضباب.. يريد المبدع أن نمر معه منه بسلام وهدوء وصفاء ذهن، وتأتينا هكذا الفرحة الغامرة بمشاهدة الضوء الأبيض، هذا الفضاء المفقود بين الأبيض والأسود.. الأرض والسماء.. الخير والشر الصدق والكذب، شعرة رهيفة تفصل

الألوان عن بعضها، تجعلنا نرحل صوب تلك الأماكن بلا خوف ونذهب على حد قوله "فى غيبوبة رحيمة"

هل هذا حقيقى؟ أم هى رؤية؟.. أسئلة كثيرة تلاحقنا، وتعدو بنا إليها تلك الشطوط الرحبة تذكرنا أننا فى عالم الرحمة والعدل.. عالم الحصاد نجازى فيه بكرم عن أعمالنا الطيبة.. إنه عالم النعيم.. عالم يفيض عليك بالسعادة والحب تتحرك فيه بقوة الفكر.. معجزة الله للإنسان.. هذا هو العقل هناك نذهب أو يذهب بنا إلى عالم التكامل، الجزء من الكل والكل من الواحد الأحد لا شريك له.. فاقت رؤيته رؤية الكعبة ومسجد الرسول الكريم فى المدينة المنورة عالم يشع بضوء نورانى رائع منتشر فى شتى الأنحاء.. تتمنى لقاء من تحبه؛ فتجده أمامك وتكون مرحلة الانتقال، هى ما يشبه قوله سبحانه وتعالى:

"يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتي"..

هى مرحلة مواجهة النفس الزائفة وصولاً بها إلى مرحلة النفس المطمئنة.

يكلل بهجة النص ذلك البيت الرائع فى رأس الحكمة.. تل وربوة عالية تطل شرفات المنزل على البحر والخضرة.. كيف لا تسمو فيه النفس وكيف لا تتجلى مشاعر من الصفاء

تجتاح تلك المرحلة، وذلك الفصل الغاية فى الإبداع.

استخدم الكاتب منمنمات قاموسه:

"المنزل على ربوة تهبط إلى البحر بلونه الفيروزى المندمج مع رمال الشاطئ البيضاء كأنها حبات الكريستال متدرجة مع اللون الأخضر ألوان قوس قزح.. أشجار فاكهة.. أشجار زيتون.. شواشى النخيل".

صور فكتب فرسم فأبدع.. إنها لوحة فنية رسمت على وجه القمر، هل يستطيع الإنسان وهو على أعتاب الجنة أن يعيش فيها وحده؟.. قبل أن نصل أو نحلل الإجابة نجد فى الفصل الرابع، الرغبة والوفاء الشديد للوالدين والإخوة وصلات الرحم الأولى: رحم الأم، مكانة الأب فى النفس

"عدت لأرتمى فى أحضانهم مرة أخرى قبل أن أقبل يد أبى وأمى كما كنت أفعل دائماً"

إنه لا يفتعل العواطف، يترك للجامها العنان "الحنان المتدفق" شعاع من نور ذهب يسطع مطعماً بخيوط من نور أزرق.. هذا هو التقدير، هذه هى تلك المنزلة الكبرى هناك فى شاطئ الفردوس حيث لا ليل ولا نهار.. صباح باكر مضاء بنور قمرى ساطع مريح. لا شمس ولا قمر ولا نجوم.. سماء صافية تشع نوراً.. يضيء فى بهاء لوحة رائعة الجمال..

نسير داخلها.. نشكل جزءاً منها.. سعدنا بالرحلة، فى "شاطئ الفردوس"، وسعدنا أكثر بالصحبة.

"شجرة الصبار"

التاريخ لا يمكن أن ينسى.. التاريخ يحدد صفحاته ويزين عناوينه بأسماء العظماء والأبطال، نعم كل هؤلاء الأبطال الذين ضحوا بدمائهم على أرض سيناء، ولا يزالون فى ذاكرة الأمم فخراً للأجيال القادمة..

تأتى "شجرة الصبار"، التى ظلت لسنوات وسنوات صامدة لا تئن ولا تكل من الوقوف فى أكثر الأماكن حرارة، لتجدد كل يوم من لونها.. تحمل فى ذاتها علاقة الاكتفاء، وتزين غلاف الرواية وتحمل لنا أيضاً عتبة الولوج الأولى لهذه الملحمة الإنسانية..

"شجرة الصبار"، تصنف من روايات السيرة الذاتية الواقعية؛ لأنها تتعلق فى مراحل كثيرة من السرد بواقع تاريخى محدد معاش ومسجل، تاريخ لفصل من فصول واقعنا السياسي، ولقطة عن ذلك النضال العربى ضد إسرائيل.. لم يكتف المبدع أن يسطر فيها فصلاً واحداً عن ذلك الصراع الذى يبدو اليوم أبدياً، فى كافة المدن العربية، وما تلاه من نتائج وخيمة: حروب، وانتصارات، وهزائم،

وصمود إلى آخر لحظة حتى النصر بإذن الله.. أو كتابة لسيرة الحرب بكل تفاصيلها، وخاصة حرب الاستنزاف بما فيها من تضحيات جليلة ومواقف لا يمكن نسيانها..

الرواية هنا تقبع بصدقها الشديد بين ذلك الحيز الأدبى والتاريخى حتى حرب أكتوبر المجيدة، مروراً بالقضية الفلسطينية والصراع على أرض لبنان الشقيق.. وقد بنى الكاتب نموذجه الفريد بمقدمة تمهيدية تتلخص فى عبارات إهدائه:

"إلى أجيال قادمة:

أكثر منا علما.. وأكثر منا معرفة

أكثر منا إيمانا.. وأكثر منا إرادة

للوقوف فى وجه هذا العدوان"

موصولة بستة عشر فصلاً مكللةً بعناوين تشمل كل منها حلقة جديدة من حلقات التاريخ العام والخاص. اتخذت بعض الفصول منهجاً وسطياً، ما بين سيرة الكاتب الشخصية وتطور مراحل حياته، أخذاً في الاعتبار تطور مفهومه السياسى ونماذج حقيقية عن الاشتراكية، وعمل الجبهات الوطنية فى ذلك الحين من خلال تجربته الفريدة: فى الجوالة، والمنظمة، ثم العمل التطوعى فى ميدان القتال، ومستشفى

السويس.. تحدث فى كثير من المواقف المحكى عنها نوعاً من أنواع الموازنة بل يتم تلخيص التجربة ونتائجها، وكأننا أمام ورقة تسجيلية صادقة تحكى ما حدث بالفعل دون تحايل أو تمييز أو انحياز لوجهة نظر ما؛ فأصبح أمامنا رواية شديدة العمق فى مفهومها الأدبي، وشديدة الخصوصية فى مفهومها التاريخي، وكأننا منذ بداية الحكاية فى موعد مع القدر..

لا تزال شظايا المعارك فى صدره، وإن اختلفت مع مرور الوقت والزمن والتجربة، أنواع المعارك أيضا.. معارك مع الانضباط، ومعارك مع الموردين فيما بعد؛ لتتضح لنا قيمة الموروث الإنسانى الأخلاقى الضخم لهذا البطل وصاحب الحكاية.. نرى فى كثير من المواضع ملامح الشخصية بكل إنسانيتها ومبادئها التى لا تتكرر كثيراً فى هذا العالم..

تأتى الإصابة الثانية، ليفتح بها أمامنا ساحات أخرى للقتال والكفاح غير مقصورة فقط على أرض مصر، ولكن فى جنوب لبنان، وفلسطين وهلم جرا.. ينحو بنا منحنى جديداً نحو الذكريات، بكل ما فيها من مواقف فى يوميات بعينها: يوم موت الرئيس كمثال حي..

فى داخل كل منا هذا الكشف الحميم لمنظومة كاملة تتجاوز الأنا الخاصة للكاتب، صاحب السيرة لتتخطاه فيصبح العين الراصدة لمجتمعه بكل متقلباته الاجتماعية

والسياسية فى آن واحد.. نقف على مساحة أكثر رحابة من كونه رصداً روائياً لحياة كاتب أو مواطن مصري، وضعته الأقدار فى نقاط تماس مع العدو فى سيناء ١٩٥٦ ـ السويس ١٩٧٦ـ جبل عتاقة ١٩٦٩ ـ الإسماعيلية ١٩٧٠ـ بورسعيد ١٩٧٣ ـ لبنان ١٩٨٢ .

جاء كما سبق أن ذكرت، عنوان الرواية معبراً عن محتواها، فكرة الجلد والصبر وتلك الفرعية الاستثنائية لتحقيق النصر.. كان الهدف من الحياة واضحاً، وكانت القرارات فى المنجز أكثر من التفكير فيما يمكن ان يكون.. مواجهة الموت تعدت حدود الخوف، بل تم إزالة هذه الكلمة لأننا أصبحنا بصدد قاموس حياة آخر، مفرداته هى الشجاعة والإقدام، والتضحية إلى أخر قطرة، أحلامه هى أحلامنا بأكملها، آلامه هى آلام الوطن، وهى دوافعه الحقيقية للوجود والتواصل والاستمرار.

"شجرة الصبار"، من أنجح روايات الحرب والتى كثيراً ما انتقد الباحثون والمتابعون للحقل الأدبى فى مصر، قلة إنتاج الأدباء، وقصور الأقلام عن وضع صفحات مضيئة لتسجيل تلك الانتصارات، ونضوب الأعمال التى سجلت حرب أكتوبر والاستنزاف من الحماس والتأثير على الأجيال القادمة.

تقف "شجرة الصبار"، عالية القامة أسوة برواية

تولستوى، مبدع "الحرب والسلام".. تقف شامخة مع مثيلاتها من روايات الحرب فى مجلد الأدب العالمي.. وجاء هذا اليوم الذي تفتحت فيه أقلام النقاد لإعادة قراءتها ووضعها فى الصفوف الأولى كما تستحق، مما يجعلنا نعاود التفاخر والزهو مرة أخرى بأبطالنا الذين رووا أرض سيناء بدمائهم.

جاءت اللغة سلسلة واضحة تحمل مشاعر جياشة، وجاءت قصة الحب محملة أيضا بعبارات أخرى لأننا نتابع أنشودة حب الوطن الذى لا يعلو عن مكانته أى مشاعر أخرى..

كان استخدام الأفعال الماضية فى الجزء الأول من الفصول، ثم صارت الأفعال المضارعة تأتى، كأن الذى كان مازال، مستمراً فى الحاضر بكل تفاصيله الدقيقة .

"الأيام القادمة ربما لديها الحقيقة رغم أن جرح الهزيمة مازال ينزف ألما وحسرة، ورغم آثار خدوش الشرطة، وقيود الحبس، مازالت توجع النفس والقلب، إلا أن الإحساس بهذا الوطن مازال نابضا يصرخ"

مصطفى نصر..
أديب شاهد على العصر

ما إن يتصدر اسم الكاتب السكندرى المتميز "مصطفى نصر" أى عمل إبداعى، حتى يتوقف الكثيرون إلى قراءته ودراسته ومتابعته عن قرب، وكل قصة قصيرة وكل حكاية من حكاياته الشيقة سواءً فى "أخبار الأدب" أو على النشر الرقمى والالكترونى فى مختلف المنتديات الثقافية العربية والمحلية إلا ونجد صدى بديعاً..

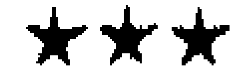
هو "الجهينى"، و"عفاريت السيالة".. هو "داريل الإسكندرية" بلا منازع.. تجد شوارع بعينها وأماكن وأشخاص معاصرين أساتذة فى عالم الأدب والصحافة، كل له حكاية معه.. يتذكرها ويكتب عنها وعنهم بكل بساطة وصراحة.. هو العاشق لكل التفاصيل، يهوى تجميع المشهد والملامح بصبر حكيم ورؤية ثاقبة، تحولات المجتمع السياسية والاجتماعية.. ولا تخلو حكايته من خفه الدم والنكتة الطازجة، يعدو بك على مساحات الأوراق البيضاء تقابل فى المشهد الواضح عدة شخصيات، ومواقف ونوادر أيضاً.. قلم يسطر الواقع بكل ما فيه من هزائم وانتصارات على المستوى الشخصى أحياناً، وعلى المستوى الاجتماعي.. عين راصدة

لكل الأحداث الهامة التى مرت على الإسكندرية حتى تنحى الملك وشارع التتويج.. محرم بك.. وسط البلد.. قصور الثقافة المختلفة: قصر الحرية المعروف حالياً بمركز الإبداع، كل ذلك وأكثر تجده، يعمل على إحياء الذاكرة، قلم جيَّاش بالمشاعر مثل قلبه تماما.. من أروع ما كتب، تاريخ دور السينما المختلفة فى الإسكندرية فى عمل رائع لا يمكن أن ننساه "الدورادو" لا يقتصر الأمر عن الكتابة أو الحكى الممتع بل أن الرواية تحمل أيضا قصص المشاهير وكواليس الأفلام السينمائية المصرية، التى تم تصويرها بالإسكندرية، حكايات عن "شادية"، وسيدة الشاشة العربية "فاتن حمامة"، "هدى سلطان" كروان الغناء، سندريلا "سعاد حسنى"، حتى أخيار أسماء الأفلام واللقطات.. تسمع صوت سيدة الغناء العربى "أم كلثوم"، موسيقى النيل الخالد لـ "عبد الوهاب" كأننا فى نص واحد أمام سيمفونية، يلعب الأديب والمبدع الأستاذ الصديق، فيها دور المايسترو بكل جدارة.

جملة سلاسل ذهبية براقة، سهلة وبسيطة تدخل إلى قلب القاريء فوراً، كأنه يجالس ندماءه وزملاءه القريبين من حياته، تحمل جعبته جوقة من الأفكار اللامعة والجديدة، والحديثة أيضاً يمتلئ أرشيف الإذاعة بعدد لا بأس به من المسلسلات

الإذاعية الناجحة، وتزدان أرفف المكتبات العامة والهيئة العامة للكتاب برفوف تندرج تحت اسمه اللامع فى عالم الإبداع والساحة الأدبية..

مصطفى نصر صديق حقيقى من النادر أن تصادف مثله فى الحياة، أسعدنى الحظ أن التقى به يوماً بمركز الإبداع بالإسكندرية.. وها أنا إلى اليوم وأبداً.. أسجل شهادة الاعتزاز والوفاء لهذا الأديب القدير المثل الأعلى والقدوة، تحياتى وتقديرى الدائم له، أنعم الله عليه بالصحة والعافية وأفاض عليه من نوره وحكمته.



سينما ألدورادو

أطلق على فن السينما، الفن السابع، وبعد أن صنَّف الإغريق الفنون الستة: العمارة، والموسيقي، والرسم، والنحت، والشعر، والرقص، أما السينما فهى أم الفنون كلها لأنها تضم كل تلك الفنون؛ كان لظهور السينما بالغ الأثر، ليس كعمل ترفيهى بحت، ولكنه تسجيل وبث، صورة وصوت أحوال المجتمع، ورصد متغيراته، تربى جيل بأكمله على روايات كبار الكتاب، وتفتحت الأذهان على مفاهيم أخلاقية وعادات لم تكن موجودة فى مجتمعنا الشرقي، بل استحدثت من أفلام الغرب

والأكشن والهنود الحمر فى أمريكا.. هوليوود وخرافة أبناء العم سام.. وكلما أتبع صفحة تلو الأخرى، أجد نفسى أتنزه بين كل تلك الأماكن ، كيف كانت وإلى أى مصير صارت، هى وفترة تاريخية تقع ما بين النظام الملكى والجمهورى أغلبهم تحولوا إلى صالات أفراح أو جراحات أو مخازن.. إنها ليست مبانٍ وحسب، وحوائط وجدران وشاشة وأفيشات تلمع أضواؤها وتنطفئ مع مرور الزمن، إنها رحلة رصد لواقع حقيقى عايشه الكاتب مثل كثيرين وكثيرات منا.. بل جعلنا نعيشه معه مرة أخرى، وأيضا جعلنا نعيد إلى شاشة الذاكرة مرة أخرى، أفلاما تعود شيئاً فشيئاً مشاهدها..

"سينما التتويج" تتصدر العمل، وحكاية "عيدة وسيد" تأتى مثل الفيلم المصاحب لها "حمام الملاطيلى"، تتفتح الأذهان عن مدلول الشغف الأول بامرأة.. القصتان تلتقيان فى نفس الهدف، بل وتأتى نهاية العلاقة بالفشل، مثل نهاية الفيلم تماماً.. رغم كل المداخلات ومحاولة عيدة المستميتة لاستمالة سيد لها، يغرقه الفيلم فى حالة أخرى، فيزهد فيها إلى الأبد.. المكان هو العنصر الثابت للحكي، بدأت ثم انتهت به أيضا، أغلقت السينما وتحولت إلى جراج..

"سينما ماجستيك" ويبدو أن اسمها أوحى للكاتب بتلك

القصة التى صاحبتنا فيها مقاطع من فيلم "سر طاقية الإخفاء" وحالة حسن التعيسة مع خطيبته خميسة، وأفعال أهلها المذرية معه تخيل نفسه يلبس طاقية الإخفاء، عمل يؤرخ لفترة زمنية بعينها، بدون أن يذكر عيوبها أو مميزاتها..

"سينما الهمبرا" من دور العرض التى كان يمتلكها إلياس جورج لطفى، وأممتها حكومة الثورة.. يدون الأحداث كما حدثت بالفعل ومن حيث مكانها الجغرافى وأهميتها الفنية فى وسط محطة الرمل الشهيرة، مجهزة بأحدث الآلات، فكانت أم كلثوم تقيم حفلاتها الغنائية هناك.. يصحبها فى مقاطع من فيلم "رابعة العدوية"، ثم فيلم آخر أجنبى لهرقل، ومفارقات عدم عرضه..

"سينما النيل" وأحلام البسطاء فى اللحاق بقطار التعليم، موتيفات الشارع المصري: الجدعنة، الشهامة، احترام الأسرة، احترام الصغير للكبير، انتشار عادة تناول المأكولات فى الشارع، حتى تحولت اليوم إلى عادة (التيك أواى).. فيلم إسماعيل ياسين، ومحمد فوزى "بنات حوا" ثم التحول إلى الرومانسية فى فيلم "الوسادة الخالية"، كيف استحوذت تلك الشاشة الذهبية على عقول وأفئدة جيل بأكمله، كانت متعته الوحيدة هو أكل البطاطا الساخنة، وأبو قير والدخول إلى

السينما التى كان يتراوح ثمن تذكرتها، ما بين ٣ قروش وخمسة حسب التساهيل!!

تأتى "سينما الدورادو" والحماس الزائد الذى يؤدى بالأولاد إلى رمى البسارية على رؤوس المتفرجين، ونحمد الله أنه لم يكن معهم (بمب) أو صواريخ، تصرفات طائشة نعيدها إلى نزق الشباب وتهوره، وليس إلى حالة العنف والغضب التى اجتاحت جموع الشعب الآن.. يلعب المكان دوراً رئيسياً فى العمل بل بالكاد أقول أن السارد يختفى ليطل المكان بتفاصيله وما يحويه عالمه حتى من شخصيات بغيضة وشاذة، عالم بأكمله يدور داخل (بوبينة) فى حين أن الشريط الذى يدور أمامهم في اتجاه تماما، مثله لوكاندة المفاجآت، ثم إلى الميلودراما فى "أنا كارنينا"

"سينما محرم بك" و"الجمهورية" محور التركيز المرأة الجادة والذى تمثله سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة، وبالتالى نعود إلى الوراء إلى البيوت المصرية والالتزام والمبادئ، كأن حداً فاصلاً، بين الخير والشر، "أثرت السينما فينا كثيرا" وفى قصة دموع الحب، يظهر بوضوح هذا التأثير على مجتمع كان مغلقا على نفسه إلا من كوة صغيرة، أصبح يشاهد فيها العالم، ويتمنى أن يخرج إليه ويحاكيه.

"نشرت جريدة الأهرام فى ٣٠ ديسمبر عن تلك الحادثة،

التى اختفت فيها فتاتان قالتا أنهما سوف تغيبان سنوات لدراسة السينما"..

"سينما ركس" و"سينما الوجيه" السينما أصبحت دوراً لاحتواء كل شىء خارج عن نطاق الأخلاق والموازين، وفى سينما الوجيه نرى كيف أدى هذا الغش والإدمان بشخص عاقل رزين إلى بيع أراضيه وأملاكه، لكى يبنى دور عرض، يقف فيها آخر الأمر يتحصل أجرته من الشباك، ثم يأتى ذلك المكان البديع، الذى أصبح مكاناً جاذباً لتصوير العديد من الأفلام الرومانسية.. البوريفاج، ووقعه فى النفس، كلما شاهدنا، فيلم الزوجة (١٣)، (موعد غرام)، وخلافه.

هذه المجموعة القصصية الساحرة، أصبحت بدورها فيلماً، حتى صوت أم كلثوم، وعبد الوهاب، ومحمد فوزي، صار جزءاً من عرض قائم بذاته، عرض اسمه "الدورادو"..

الروائية والكاتبة المبدعة: لنا عبد الرحمن "أغنية لمارجريت"، و"ثلج القاهرة"

طرحت "لنا عبد الرحمن" فى روايتها "أغنية لمارجريت" كمّاً من المشاعر الإنسانية وكماً من الأسئلة الوجودية، وجاء اختيارها للكاتبة الفرنسية "مارجريت دوراس" التى ذُكر اسمها على عنوان الرواية مكملاً لتلك الرؤية الجديدة للعالم والحياة من حولنا.. ولماذا "مارجريت دوراس"؟ لأن هذه الكاتبة العظيمة أفنت نفسها فى توصيل رسالتها تلك عبر أعمالها، وأثبتت حضورها على الساحة الأدبية الفرنسية، وحصلت على جائزة "الجونكور" فى عام ١٩٨٤، ومارست تجربة الكتابة من أجل الكتابة مستندة على التفسير والتأويل والتحليل لكثير من الأحداث والملابسات، من خلال كتابتها عن أن كل وجود يبتدئ بالسؤال عن الأنا، وبأن كل (أنا) يسعى فيما يسعى إلى أن يخلد نفسه عبر تجاوزه لوحدة العدم، وبأن الحياة من العدم الخالص هى إنقاذ لتجربة الكتابة الحياتية فى مقابل عزلة الموت المبكر والحياة الأبدية..

تشابكت رواية "لنا عبد الرحمن"، مع "مارجريت دوراس" لما لهذه الكاتبة من بعد إنسانى عميق؛ فجاءت متقاطعة مع بعض من أجزاء روايتها، الشخصية الحقيقية، وحبها الكبير

لـ "بان" الذى يصغرها بسنوات.. تتحدث بطلة الرواية "زينب" عن هذا الحب وتهدى أولى رسائلها إلى بان، حبيب مارجريت دوراس، وتحكى عن حياة "مارجريت دوراس" من حيث إطلالة فكرة الحرب وفقدان الأحبة وخذلان البشر والحسد، وهذا التداخل الذى أثرى العمل الروائى بكل تأكيد، ومنح القلم زهوة الاطلاع على كاتبتين أحببتهما بشكل خاص، وأحببت أن أذهب معكم فى رحلة إطلالة يلبس فيها هذا التبليغ الأدبى البسيط حلة جديدة.

جاء الاستهلال أول عتبات الكشف والولوج إلى هذا النص البديع: "أكتب بحثا عنك.. وعن "مارجريت دوراس".. أكتب لكى أكشف ماهية علاقتى بها وبك.. إذ كثيرا ما فكرت لماذا أحبتك مارجريت وعاشت معك حتى لحظاتها الأخيرة، ظللت قربها تساعدها على الرحيل بهدوء، وظللت تحبك"

تأتى رواية "أغنية لمارجريت" تسجيلاً تاريخياً لأدب الحرب والمقاومة، تعبر عن التجربة المعاشة، مع الإشارة أن المعايشة لا تعنى فقط ميدان المعركة، فالحرب مؤثرة على السكان فى القرية والمدينة كما هى مؤثرة على الجندى فى الميدان؛ فيأتى هذا النوع الأدبى ليعبر عن الذات الواعية بهويتها المتطلعة إلى الحرية فى مواجهة الأخر، ومتطلعة أيضاً

إلى الخلاص الجماعى وليس الفردى؛ لأن الخلاص الفردى في المواجهة يكون دائماً حلاً رومانسياً، له موضع آخر من التعبير الإنسانى.. "فكرة البحث عن الحب"، وفكرة التعلق برموز قصة شخوصها غائبون، ولكنهم فى كيان وذاكرة الكاتبة.. إنها الكاتبة الفرنسية "مارجريت دوراس" وحبيبها "يان أندريا"، الذى عاش معها وكتب بعد رحيلها كتاب "هذا هو الحب"..

تقوم البطلة بكتابة عدة رسائل توجهها له هذا المثال الرائع، وعن العزلة الشديدة الموغلة داخل عقولنا، داخل كوكب خاص بنا لا يمكن لأحد اختراقه، كما لا يمكننا أن نتحرر منه.. معادلة صعبة تطرحها فى كل فصل من فصول الرواية. عزلة الزمن، والوقت، كأن استحضار تلك الشخوص الطبيعية هو نوع من استحضار زمن يعدو نحو المجهول.. كأنها نتلمس حين تتماثل مع بطلتها مارجريت، إعادة معايشة حب غير عادى فى زمن الحرب غير العادية أيضاً..

تختلف خطوط الرواية باختلاف التنقلات السريعة بها.. تقاطعات ثلاثة بنى عليها هذا النص: التقاطع الأول كان الرسائل.. التقاطع الثانى هو الأحداث المعاصرة، المكان فى بيت الصنايع، مع الأم والأخ، وتضفيرة رائعة مع بطلة الرواية

الأخرى "مارجريت"، فيأتى التقاطع الثالث، مكملاً لحالة إنسانية فريدة فى عزلتها تعرف الصمت تقترب من السكون ترى وجه الله شفافاً مثل غلالة غيم، نقياً وبريئاً، فرحاً كما يكون الفرح، وهل يكفى الحلم فى زمن الحرب؟

"منذ الحرب ما عادت أغنيات فيروز تحتل الصباح.. منذ الحرب بردت القهوة أمام نشرات الأخبار.. بعد الحرب تغيرت لغتي"

أوقات الحرب تغير نظرة الإنسان لذاته أيضاً لأن الموت مجانى ومتوفر بكثرة، الموت لم يعد حدثاً، والحرب تمنحها الإحساس أنها كائن يستحق الحياة، عبارة أخرى استوقفتني: إحساس المقاتل بأهمية دوره فى زمن الحرب.. ولماذا يحس بالهزيمة بعد انتهائها، حتى وإن كان منتصرا، لأنه بكل بساطة انتهى دوره، لأن الحرب تعيده إلى دائرة الحياة التى همشته فى زمن السلم.. ها هى تطرح أفكارها المتعددة والمبهرة أيضاً على لسان شخوص رواية غير تقليدية مليئة بالتراكيب.. جاءت فكرة استخدام الرسائل واضحة وصريحة.

"سأكتب لك لأحافظ على ذاكرتى من الفقد، من الدمار، من الخيبة"

لماذا "مارجريت دوراس"؟.. لأنها تكتشف عن طريقها

تفاصيل صغيرة تعينها على كتابة الحياة، كتابة الحرب والحب أيضاً، حكاية العاشق، موسيقى باخ، عطر شانيل، ريشة جناح السنونو.. مفردات وأمثلة للغة شفيفة محملة بالأحاسيس الندية: "سأحبك حتى موتي"

"أغنية لمارجريت" رواية إنسانية رسمت فيها الأديبة ببراعة فائقة رغبة الإنسان الأكيدة فى تمسكه بمحور وجوده، ورغبته فى التواصل.. جاء العنوان معبراً للرواية ومكملاً.. امتلكت الأديبة حساً فنياً رفيعاً كان واضحاً فى اختيار الجمل الرشيقة والتصوير..

جاء فى الرواية أيضاً الحرص على التوثيق التاريخى لتأكيد صدق الحدث، واهتمت بالألفاظ الموحية، بدأت بالعرض الشخصى للحدث ثم استطردت فى إضافة مواطن الإشراق فى النفس المحبة للخير والجمال.. تحيط بنا أغانى فيروز، ورائعتها "زعلي طوِّل أنا وياك"، "أديش كان فى ناس".. تحدثنا عن شجر السنديان عن أماكن بعينها فى زحلة: بيت فادية، بير العبد..

هل يهم كثيراً أن نحكى عن رغباتنا، أمنياتنا الغامضة، أحلامنا المجهولة؟.. هذه الأسئلة كلها نجدها تحتل أوراقها، وتحتل أيضاً أروقة الفكر الحائر لكل كاتب نزيه يؤمن أنه يستطيع أن يحقق تلك المعادلة الصعبة لأن حاجتنا إلى الكتابة هى حاجتنا للهروب من هذا العالم الغريق، والنجاة..



ثلج القاهرة.. الوصلُ جميل

إنه الوصل الجميل بين الحب والحنين، بين الماضى والحاضر، شدو نداء العود من قلب العدم..

١ ـ هكذا هى إطلالتها الفريدة من خلال هذا العمل الروائى "ثلج القاهرة"، تواصل به الكاتبة "لنا عبد الرحمن" مشروعها الأدبى بحثاً عن أجوبة لكثير من الأسئلة.. الفقد يشعر الإنسان بالارتباك، وكذلك الحزن الشديد يظل العقل عالقاً بين الإجابة والسؤال.. بين الأشكال والألوان، بين الوجوه الغائبة والوجوه الحاضرة تتقاطع الذات.. ما بين الماضى الحبيب والحاضر المجهول، مسببة تلك الحالة الفريدة حيث يتمكن اللاشعور الكامن فى الشعور الظاهر، وتعيش بشرى بطلة هذا النص الروائى رحلة بحث جديدة وبحث عن نفسها بداخلها..

٢ ـ من بناءات سردية جديدة ومتداخلة، وفضاءات نصية مبدعة، وبلغة حافلة بالجديد من التراكيب وبلاغة السرد، خرجت لنا هذه الرواية من عبارة ما بعد الحداثة، لتعبر عن الأزمات الإنسانية برواية شمولية بأسئلة صريحة ونثر الذات بما فيها من تناقضات..

٣ ـ إنها ديناميكية السرد وتلاحق اللقطات القصصية لأبطال هذا العمل، وخاصة البطلة المحورية بشرى، التى تحاذيها قصة من عصر آخر من زمن آخر يشبه الأساطير فى ألف ليلة وليلة، وقصة نورجهان تتربع لكى تصبح هى أيضاً القصة الأكثر ثباتاً بإيقاعها المنتظم فى ذاكرة القاريء بعد الانتهاء من العمل..

يطالعنا العنوان "ثلج القاهرة" بمفارقته صادماً فى البداية، تمر دون أن نتنبه من أين جاء ولماذا جاء؟.. وتكون الجملة الافتتاحية هى العتبة الأولى للولوج إلى هذا النص الروائي: "الكون إنسان كبير"..

تتداخل فى أذهان الشخوص، الصور والكلمات، ولا تشفى غليل البطلة كلمات الشيخ عن جيل الأربعين التى تعطيها إجابة لأسئلة تظل حتى أخر الرواية تلاحقها. "فى بعض الأحيان علينا أن نتقبل النداء".. "ننصت له دون خوف وأنت مازلت خائفة".. "أتيت من مكان بعيد بحثاً عن الحقيقة"

تتأرجح البطلة على حبال الذكريات البعيدة تبحث عن جذورها.. تترك القاهرة بصخبها وتوتراتها تعود إلى دمشق.. تضع نقطة النهاية عما كانت تتصوره ستظل إلى الأبد الذكريات المؤلمة والبيت الدمشقى الذى تحول إلى مطعم

شـهـيـر.. تتـأرجح أيضـاً على ورد ابن عـربي" "أدين بدين الحب"، وأشعار الحلاج، وتنادى النسيم:

يا نسيم الروح قولى للرشا   ما زادنى الورد إلا عطشا

٤ ـ يتداعى الحلم، حلم القاهرة التى يغمرها ثلج أبيض وتتجمد البطلة حتى تصبح تمثالاً، ويتكرر المشهد، وتتكرر الرؤية الحلم تأتيها أطياف نورجهان تتخلل وجدانها، والعجز عن الحركة شيء يشبه الموت.. وتأتى العبارات الموحية الصريحة:

"أهذا ما يكون عليه الموتى، لحظة مفارقة الروح للجسد.. واعين لما يدور حولهم لكنهم عاجزون عن الفعل.."

لا ننسى أن مشهد الموت كان حاضراً وبكل وضوح فى أول سطور الرواية عندما أعلنت نورجهان أنها هنا ستموت، وهنا ستدفن أباها وأهلها وعائلتها.. البطلة تراوح فى مكانها، والألم يكمن فى المراوحة بين حالتين: يقين الحدس، وشكوك العقل.. تظل طوال الرواية عالقة فى زمن آخر، فى زمان ومكان غير الذى تحياهما الآن: هى سولاي، وهى نورجهان.. مؤكدة علينا أن النفس لا تموت

"الموث هو عالم الظلال.. عالم مخطوط قديم جداً أزيلت منه سطور مهمة، وتركت مكانها فراغاً مهماً.. تعوم فى خيالاتها وسط نقاط سوداء تحجب عنها نوراً أبيض شفافاً.."

بالموت تحتجب بعض الوجوه والأحبة قليلا عن الرؤية، ثم تعود.. الإنسان نظن أنه يموت ويتحمل مهزلة المأتم والمعزى، وها هو يقف متخفياً في مكان آخر ينظر من النافذة حياً معافى.. تعلمنا من خلال تلك التجربة أنه من الطبيعى لبعض الأشياء أن تخفت ثم تعود للظهور ثانية، وخلاص الروح هو الحرية الحقيقية..

جماليات السرد

"ثلج القاهرة" رواية يسكنها الدفء، يفوح من ياسمين ممزوج ببنفسج نقي.. نجدها فى كل تلك المنمنمات الصغيرة التى شكلت ذلك الفضاء الروائى الذى جاءت مناقشة أهم القضايا الميتافيزيقية بهذه النزعة الرومانسية، وقدمت للإنسان ما حفَّ به من تداعيات ثقافية وهموم وأحلام..

جاء الوصف للمكان أكثر دقة.. نحظى بالمشى مع البطلة ورفيقها فى شارع المعز فى القاهرة وضواحيها (٦ أكتوبر مثلا).. ونمشى معها فى دمشق وشوارعها العتيقة، الحى القديم، جاء وصف البيت الدمشقى الذى حل محله مطعم جديد منمنماته غاية في الشفافية والإتقان.. نرى أشجار المانجو، والمشمش، والبرتقال، تلال بلدة صغيرة على الجبل، وقصر الأميرة نورجهان الذى تحول إلى أرض فضاء،

وبنايات جديدة ضخمة تحتل المشهد من بعيد.. جاء الوصف للشخصيات منفذاً إلى وصف دقيق للمشاعر..

لجأت الأديبة "لنا عبد الرحمن" إلى تقنيات متعددة تكشف عن امتزاج الشعرى والتشكيلي، تكشف عن امتزاج الشعرى والمشهد السينمائى والحكاية الأغاني، والمأثورات الشعبية والدينية مثل زيارة الأم إلى ضريح الحسين، وكذلك أخذها البركة من العذراء لإكمال بركة حملها..

فى تناغم يعزز نصها، جاءت أقوال الفلاسفة، وسيطر على نصها فى الأجزاء الأخيرة منه الفعل المضارع: يطير، يعلو، يأتي، يشم، يسمع.. يعنى أن أفعال الحركة هى السائدة، وهى تقنية سينمائية جميلة.

الشخصيات التى ظهرت على مسرح العمل الروائي، شخصيات فى مجملها قلقة تبحث عن الحقيقة..

جاءت اللغة رشيقة مع اختلاف مستويات الحكى من الفصحى واستخدام العامية إلى اللغة الواقعية، ومن مونولوج السارد العليم، واستخدام اللغة الصوفية فى رسائل صافى وبشرى، يرتفع مستوى الحوار الفكري..

عملت الكاتبة على توظيف التناص والإسقاط على الحكاية المحورية استخدمت تقنية الرسائل فى جزء من أجزاء العمل

لكي تعمل على إثراء النص وجعله مفتوحاً على أشكال متعددة من أشكال السرد..

يذوب الثلج كلما غمر القلب الدفء.. تتغير حالة الالتباس من حزن وخوف وقلق إزاء القدر الفاجع المترصد إلى حالة من الانسجام والأمل، ويكون كل ما يهم حقاً هو الزمن "الآني"..

تنتهى الرواية بهذا المونولوج الحكيم الذى يأتى على لسان نورجهان، وهى تتابع لحظة انفتاح بشرى على العالم الخارجي من جديد.. يتداخل الزمن ويتعاقب، كما يؤكد آلان روب جرييه "Alain Robbe Grillet".. "الزمن الذى أصبح منذ أعمال بروست، وكافكا، هو الشخصية الرئيسية فى الرواية المعاصرة، مظهراً من مظاهر الاختيار والشقاء..

بعبارة الاستهلال الأولى أنهى أطروحتي:

"فى بستان بيتنا الكبير فوق قبر جدي.. زرعوا شجرة مانجو.. هناك دفنوا جدتى الأولى، وعمتي؛ وأبي.. أيضاً فى ظلال ذلك القفر، المهجور والأعزل كنت أخر من بقى فيه وأخر من رحل عنه.."

كان ينبغى أن يبعد عنها ذلك الحزن الذى يحجب كل بصيرة عن الغد.. الحزن الذى جعلها عاجزة عن التحرك محو الأمام، لكنها نجت وصار قلبها متقداً، بجذوة مضيئة خارج عالم الثلج والنار..

رواية "دوامات الغياب"
لـ محمد عطية محمود

حين يخرج إلينا روائى بعمل يحمل شكل الملاحم التراجيدية، فلا شك أننا سنتعامل معه بشكل مختلف؛ لأنه وضع قراءه أمام إبداع جاد يلعب على فن التفاصيل، والحبكة الروائية، والسرد الواقعى ويوظف أصوات أبطاله كل على حدة، لكشف ذلك الخلل الاجتماعى والنفسى الذى يعانيه كل منهم.. هو صوت لا تنقصه فكرة الوعى الجماعى لفئة من البشر، عيش يوم بيوم يطحنها الفقر والعوز والاحتياج للسند، يفضح ذلك الخلل الذى أصاب مجتمع بأكمله دون الإشارة المباشرة، وقد ساهم أسلوب الأستاذ/ محمد عطية السلس الممتع فى تجميع خيوط الحكى الأفقى، لا يتردد فى استخدام الموتيفات الشعبية وعبارات عامية، زجل، وارد فى النص.. كما أنه أسهم بشكل كبير بوصفه للمكان بشكل دقيق كأنه ينقله صورة وصوت ورائحة تحار أنفسنا أمام أطروحة تجعل من منطق الحكى هدفا لتسجيل تاريخى لحقبة من الزمن والتاريخ، يستحق بها هذا العمل أكثر من تأويل، محققا قفزة نوعية، تلحق بالركب الروائى العالمى بشكل كبير..

العنوان :

كان بمثابة العتبة الأولى ومعبر المتلقى إلى النص الروائى "دوامات الغياب"، هو أول المؤشرات الدالة على عالم الرواية، والمغرية للمقبل على اكتشافها، وكل عتبة منها فى الحقيقة متشابكة معها، بل وجاءت ملائمة تماما للإيحاء بعوالم النص الروائي.. وجاءت الخاتمة على شكل علامة استفهام تحمل فى ذاتها أكبر الدلالات على مغزى الرواية: أى دوامات غياب كانت تلك.. أيهما أصاب من، ومن لم يصب به بعد.. أسئلة كثيرة تجعلنا نطرحها..

تعدد الشخصيات:

وكأنها رواية ملحمية مثل رواية "البؤساء" لفيكتور هوجو.. تلعب كل شخصية دورها إلى النهاية، تحمل وزر أخطائها ونتائج تكوينها الإنساني: بطة، وسميكة، الآن شخصية مستوردة تبقى هى الشخصية المحورية.. كما جعل الكاتب يلجأ إلى تقنية الفلاش باك، ولا تظهر لنا شخصية صبرى إلا فى أواخر الفصول.. يتحرك أمامنا بلحمه وشحمه، فضلا عن شخصيات كثيرة أخرى محور عملها فى الشونة، أو مكان سكن ومأوى.. تلتقى بهم مستورة، وتنشأ بينها وبينهم علاقات تختلف مساراتها وصورها ونهاياتها..

تتميز بنية المتن الحكائى لهذه الرواية بتداخلها حيث لا تعرض الأحداث متعاقبة متنامية وإنما متشظية ومتداخلة ومتشعبة المسارات، تداخل صفة التعقيد لأن الواقع المعقد لا يمكن أن يصاغ إلا ببنية تتميز أحداثها بالتداخل والتشابك والتشعب، مما يصعب أحياناً على القاريء عملية التلقى الأولى إذ يقتضى الأمر منه جهداً فى تحويل هذا الكم من التلقى الأولى إلى انسجام، وبنيتها إلى إفهام..

استخدام تقنية التوالد الحكائي، حيث تتولد حكاية من أخرى.. الحكاية إطار هى حكاية منطقة المكس والشونة،

تحوى عدداً مهماً من الحكايات داخلها.. وجاءت واضحة تماماً فى العتبة الأولى للنص:

"إن التعاسة ليست حماما يتطهر فيه الإنسان بل هى على العكس، بركة مياه راكدة والإنسان لا يخرج من كل نوبة جديدة أكثر ذكاء وقوة بل أكثر غباء وضعف" ص٧

"تتداعى لك صورتك فى تلك الأيام" حكايات بنيت على التداخل والمراوغة: جلال، خلف، عسرانة، الحاج متولي، فرج، صبري، سميكة، صقر.. حكايات أشخاص يرفض بعضهم بعضاً.. وتتضافر جميعها فى تشكيل الحكاية الجامعة للرواية، وتسهم تقنية التوالد الحكائى فى إغناء النسيج النصى للرواية

يتجلى السارد فى رواية دوامات الغياب فى أكثر من صورة تتخفى وراءها الذات الكتابية، فهناك السارد العليم الذى يتولى سرد جوانب عن شخصية المحورية: سميكة.. مستورة.. أو صقر، يحكى عن رجال وموظفى الشونة، وكأن هناك سارداً خفياً يعرف بل يمتلك معرفة مسارات حياة بقية الأشخاص، وما انتهت إليه هذه المصائر

تعدد الخطاب الروائى، وبنية تزواج الماضى والحاضر

مع التحديد أن زمن الرواية أو الحكى يبقى هو الزمن

الحاضر، وهو زمن الكتابة، مما يكتشف عن اعتماد الكاتب على تقنية التذكر فى تشكيل عالم روايته القائمة على تذكر سائر الشخصيات ماضيها وحاضرها، وتستعيد مراحل مهمة من سيرة وجودها، التى يبقى الجامع بينها الشقاء والبؤس والمعاناة فى أكثر من صورة، سير وجود مؤلمة على أكثر من موقف باعتبار أن هذه الرواية تشكلها أكثر من ذاكرة وأكثر من حكاية وهى ذاكرة وإن كانت فردية إلا أنها متصلة بالذوات الساردة الأخرى وهى الذاكرة الجماعية المتعلقة بالبيئات الاجتماعية التى ينتهى إليها هؤلاء..

مما يجعلنا فى نهاية هذا التعقيب نستخلص النتائج التالية:

١ـ مارس الأديب/ محمد عطية نوعاً من أنواع التجريب من خلال كتابته الروائية وسعى من خلالها إلى إنشاء نص روائى حديث يبعد عن النمط الكلاسيكى المعروف، من حيث تقسيم فصول الرواية واختيار العتبات، وهذا ما يجعلنى أصف روايته بالحداثية..

وتتأكد هذه الرؤية من بنية الفضاءات والشخصيات والأحداث المختلفة المفاجئة: ظهور صبرى فى نهاية الرواية، رغم وجوده منذ البداية كفلاش باك..

٢ـ تولدت في هذا النسيج الروائي المحكم عدة بنيات روائية وردت في فصول متقطعة وتعكس من الظاهر فوضى السرد ومتاهات الحكي، ولكنها في حقيقتها تجسد الواقع بكل آلامه ودواماته وغيابنا الأكيد..

أو ليست الكتابة هي كل هذا و أكثر..؟

رواية "رائحة الميرامية"
سناء أبو شرار

تقدم لنا الكاتبة والأديبة الفلسطينية "سناء أبو شرار" نموذجاً آخر للكتابة الوجدانية التى تحمل ملامح أخرى للفقد، محاولة أخرى للبحث عن طاقة حب وشعاع أمل.. فى رواية "رائحة الميرامية" تحكي معاناة أختين كل منهما ابتعدت عن الأخرى: الأولى تعيش في عمان، والثانية تعيش فى أمريكا بعد ١١ سبتمبر، وتتقصى الأديبة التغيرات التى حدثت لهما، وبالتالى للعالم العربى والإسلامي، فى شكل روائى مستخدمة أسلوب ولغة الخطابات المتبادلة.. تلعب على وتيرة الوجع الإنسانى فى قصة بالغة الشجن، ترنو إلى الشجن الآني: كيف يواجه الإنسان العربى محنة الاغتراب؟ وكيف تكون تلك الغربة مركبة عندما يتم إقصاؤه وإدانته من أقرب الناس إليه!؟، ما بين سارة، ونوارة فتحت خزائن القلب على فيض البوح، وأى قلوب تعيسة تلك التى تخفى شقاءها وراء الابتسامة..

ويتصدر الإهداء أول عتبات النص: "إلى نظرة رحلت، ولكنها لم تمت".. تحاول الابنة تمارا أن تطفئ ظمأ حنينها

إلى أمها، فتقرأ الرسائل التى تبادلتها سارة مع نوارة، وتحكى لها أدق أسرارها، وتحمل قصتها فى صندوقها مع أشيائها الثمينة، تحكى لنا حكاية وطن..

أجادت الكاتبة لعبة الاستباق لكثير من الأحداث، والتى شحذت معرفة القاريء مسبقا للنهايات التى سوف تفاجئه فى نهاية الحكى فكأن الحكاية يعيشها معها منذ اللحظة الأولى حتى انتهائها بعد الرسالة الرابعة والثلاثين، لتفتح بابا من الأمل لكل من تمارا ونوارة لإعادة الاكتشاف: اكتشاف النفس، واكتشاف الحقيقة..

تعددت الشخصيات فى الرواية، كان الأخ ناصر، والابن هاشم، والزوج، والحبيب، والابنة، والصديقة رندة.. وكذلك المواقف والحوارات dialogueوالـ monologueالديالوج والمونولوج.. أعطوا زخما لكل الأحاسيس والمشاعر للبطلتين، وأعدت الكاتبة مسرح الأحداث فى عمان لنهاية سارة المفجعة، وكذلك مسرح الأحداث فى أمريكا لنوارة لتعود إلى جذورها أخيراً، جاء الوصف لكل من تلك الأماكن فى الرواية أكثر من رائع، خدم النص وأعطى له بعدا ثلاثياً، كأننا أمام فيلم سينمائى لم تبخل علينا فيه الصورة بكل التفاصيل، حتى ألوان الأشجار والزهور والنباتات..

جاء العنوان مناسباً للغاية "رائحة الميرامية"، وهى نوع من أنواع النباتات ذات الرائحة العطرية، ولها فوائد عديدة على الجهاز الهضمى والجهاز التنفسى، تحيلنا إلى رائحة الوطن المفقود والأم المفقودة والزمن الغائب.. وجاءت لوحة الغلاف للفنان "إسماعيل شموط" غاية فى الإبداع تشير إلى بطلاتنا الثلاث: تمارا التى تحمل باقة المستقبل، وكل من الأختين، تنظران إلى القدس والقبة وبيت المقدس من تلال عمّان نرى مآذن فلسطين.. محاولة كل منهما الإمساك بذلك الخيط الرفيع، والأخير مع الوطن، ومع الحياة، التى تم اقتلاع كل منهما فيها من جذورهما..

وجاءت اللغة سهلة تحمل الطابع التقريرى فى بعض الأحيان، وكانت تجملها تلك النزعة الشاعرية والوصف الرومانسى لكثير من اللقطات.. لغة المرأة المنكسرة على ضفاف التجربة والتى لم تستطع المواجهة وفقدت بوصلة التوازن السيكولوجى فذهبت إلى الموت الذى جاء كحادثة ولكنه يحمل كل مبررات الانتحار(سارة)، ولغة المرأة الواعية لدورها فى المجتمع والتى تكبلها القيود، ولذلك تحاول دائما الخروج من أزمتها بالانحياز إلى حريتها وتحاول أن تجد ذلك الخيار التوافقى بين التعايش السلمى على النمط الأمريكى

والتعايش مع الماضى، وتدفع ثمن الاختيار غربتها عن الوطن (نوارة) .

الرواية هى من أقدر الفنون على تصوير التغيرات الاجتماعية والأكثر تعبيراً عن الحياة، فجاءت معالجة تلك الأزمة "أزمة نظرة الآخر"، والمجتمع الغربى تحديداً، محاولة جادة تمثل وعى الكاتبة وقدرتها على التشكيل والتجريب، وهذا يقتضى فى المقام الأول صدقاً فنياً تضع بين أيدينا نصاً أدبياً رفيعاً، نلمح فيه ذلك الخط الدرامى الذى يوازى حالة التشرذم والقلق والاغتراب الذى يحيط بكل الأبطال كل على حد سواء.. فاتحة نافذة لتطل على الماضى بدون كل هذا الألم..

★★★

عطرك.. مازال على وجهي..
قد عشت زمانا أذكره.. وقضيت زمانا أنكره..
والليلة يأتى يحملنى.. عطرك قد عاد يحاصرنى..
أهرب.. وأعود أليه أطارده..
يهرب فى صمت الطرقات..
أقترب إليه.. أعانقه.. ويعانقنى..
تقترب المسافات بينهما، وتغدو الظلال ملامح تولد من

جديد تعدو لتوقف زمناً كاد أن يغترب وكلتاهما فى أسوار الغربة سجينة.. أرحل تارة مع نوارة.. وأعود تارة مع سارة.. وما بين الذهاب والعودة.. تسطر آهات الحنين..

إلى متى يا سارة سوف تبقين ضحية الآخرين..!؟ وضحية نفسك أيضا..!؟.. أنت تلك الجميلة.. البهية.. كيف تسيرين إلى قوقعة الأحزان..؟ وإليها ترضخين.. أدق التفاصيل.. وأرهف الأحاسيس.. تحاصرها جدران بيته.. وحصار النفس يكون أعتى من حصار الآخرين.. تتحايل على تلك الظروف الأليمة.. وتسحب أنظارنا إلى هناك حيث جبال الخليل من الممكن رؤيتها بكل وضوح من جبال الكرك.. وتصور الأردن كتوأم فلسطين، وكأننا هناك فى حي من أحياء غزة.. أو فى منحدر جبال التين..

وكذلك نوارة عندما ترصد لنا بعيون أحمد صاحب المكتبة العربية لا يبخل علينا بالوصف

"لا يمكن أن تتخيلي مدى شوقي للخليل.. للجبال والوديان.. لقطف عنب وحبة تين.. أنت لا تعرفين الخليل حين يطل الفجر من بين غيوم الليل الأسود.. الفجر فى الخليل يلد الحياة كل يوم.. تتماوج المدينة الجبلية البيضاء على نسماته الباردة.. وتشتعل الأنوار الخافتة بالبيوت لتصلى صلاة

الفجر.. ويختلط نور الصباح برائحة الشاى والميرامية..
وتصبح للحياة ترنيمة أبدية.."

إنها ليست لعبة الرسائل التى مارسها الكثيرون والكثيرات لوصف الأشجان أو لتخيل ما قد يمكن أن يحدث.. إنها رسائل تفتح الواقع بكل ما فيه وتعبر عنه، سواء تلك الآتية من نوارة، أو القابعة فى صندوق ذكريات سارة..

كنت فى داخل تلك الفصول أبحث أنا أيضاً عنها.. إلى تلك النظرة التى رحلت ولكنها لم تمت.. إلى شعائرنا.. جذورنا.. ملامح عروبتنا.. وتنتابنا نحن أيضا ارتعاشة الذكرى التى تبث الحياة فى القلب المكلوم والروح الحزينة.. نعود نتأرجح على صفحة التاريخ كقارب شراعى تتقاذفه نسمات خريفية.. لتكون خريطة الوطن العربى بأكمله صورة واضحة تفرض على الآخرين حدود مساحتها..

تبدأ من أول سطر فى تلك الرواية تحديد مربع الفجوة، ثم تشد الخيط.. خيط العودة.. لمحاولة البحث عن الهوية: "هويتى تسربت منى فى زمن ما وها أنا أحاول استرجاعها..".. كلتا البطلتين تعيش تمزقاً.. وحدة داخل المجتمع الواسع، ووحدة الاغتراب داخل الأسرة الواحدة، ومحاولة استحضار الذاكرة لكى تشحذ الإرادة للعودة مرة أخرى..

الوصف هو خيط الوصل.. تصف الأرض التى تغرق بدفء الشمس وبحرارة أشياء قديمة تنحت الحب على الجدران المتهرئة والمقاهي.. تصف نوارة لسارة أمريكا بأشجارها العالية وأوراق الخريف التى تتساقط بغزارة وكيف يغرق الإنسان فى صورة رائعة من صور الطبيعة، وجمال بعض الوجوه وقسوتها.. بعض الوجوه تذكرها بأننا بشر.. تبحث فى تلك السماء التى ضاقت بنظرها عن سماء أخرى هناك على أرض شرقية ووجوه فيها ضاحكة ورائحة ملابس ذكية.. تعود لتصف سماء العيد، وكيف تتحول القدرة على البقاء إلى إصرار دائم على الحياة:

"ولكنها تنبت الآن كزهرة صغيرة.. ضعيفة.. ولكنها صممت على الحياة.."

من فيهما كانت أسعد حالاً؟.. لا أدرى.. ولكن من خلال تلك التجربة الإنسانية باهظة التكاليف.. الخسائر كانت فادحة.. ظلت نوارة إلى أخر لحظة تحلم بالعودة إلى تلك النوافذ المشعة بالنور والدفء، بالأغطية شديدة البياض، وبأشعة الشمس الحانية تريد أن تستعيد إنسانة جميلة، بعد رحيل حلم الرومانسية الخافت المتمثل فى صورة "أحمد".. وإلى تذوق طبق من ورق العنب.. طقس عربى خالص، حين

تجتمع النساء حول مائدة خشبية صغيرة يقمن بلف أوراق العنب الرقيقة.. أى حب هذا الذى يحمله هذا الطبق الصغير لكل من تناوله.. لقد تذوقناه على أوراق النعناع من يد أم مروان..

فى هذه الرواية التى تحتفل بكم من المشاهد الإنسانية غير العادية.. طقس الموت مثل طقس الحياة كان حاضرا بقوة.. لحظات موت أحمد.. وبشاعة انتحار سارة.. ووصولها إلى الطريق المسدود.. ما آل إليه حال منصور وناصر وهاشم.. التدهور الأخلاقى المنظور فى الرواية من شخصيات كثيرة.. تناقض الصورة وعكسها..

مشاهد الربط بين ما حدث لتمارا، واغتصاب فلسطين، وتفتت الأسرة الصغيرة، وبعثرة آمال الأسرة الكبيرة.. تنهى صفحات بإعلاء صوت الآذان وعودة سارة إلى حضن تمارا، وتلك الأمنية الخالصة فى أن نبدأ من جديد ولتكن البداية غداً.. هى دعوة للالتقاء مرة أخرى لحبات الرمل وضوء الشمس.. هى دعوة لفنجان الشاى مع أوراق الميرامية..

تحية خالصة من القلب إلى الكاتبة العربية "سناء أبو شرار"، وقد تناولت خلال روايتها المجتمع العربى بكل خلافاته وأصوله وعاداته وتقاليده، فى رؤية إنسانية بالغة الدقة..

رواية "شيفرة آدم"
لـ "صلاح معاطى"

"شيفرة آدم"، نوع آخر من الكتابات، تميز به المبدع "صلاح معاطي"، وعرف يما يسمي: أدب الخيال العلمي، وهو يعد بلا منازع أدب القرن الواحد والعشرين لأنه يوازى العلم الحديث فى حركة تطوره واختراعاته المستمرة.. عمل الكاتب على خلط تركيبة جديدة تجمع ما بين الخيال العلمي، والفانتازيا العلمية، والواقعية المجردة والرومانسية الحالمة، والآنى المعاش، واهتم عند بناء الشكل الدرامى لهذا العمل، ليس فقط صناعة الشيء الخفى وغير الممكن إيجاده، مثل الشيفرة، ولكنه رصد التطور العلمى للجينات الوراثية وأعطى خلفية علمية عنها، على لسان أبطاله..

وجدير بالذكر أن رواد الخيال العلمى المتعارف عليهم مثل: د. مصطفى محمود، ورؤوف وصفي، ونهاد شريف، الذى يُعد بلا منازع أحد المخلصين لهذا التيار الأدبى المعاصر.. غير أن الأديب صلاح معاطي، أضاف أشواطاً جديدة فى هذا الاتجاه، وكتب العديد من الأعمال التى قدمت للإذاعة والتليفزيون المصرى، وترجمت بعض من أعماله إلى

الإنجليزية والفرنسية، مثل مجموعة "العمر خمس دقائق"، ورواية "خزانة شمائل"، ورواية "كوكب الجنة"..

وأبدأ بمقولة أحد الحكماء: "كل ما هو عظيم وملهم صنعه إنسان عمل بحرية"، وبما أن الخيال أهم من المعرفة، نحتاج دائما ألا نتوقف عن التساؤل، وأثمن ما فى العالم هو الفكرة اللامعة..

إذاً البداية كانت تلك الفكرة الخيالية عن وجود شريحة بعينها تحمل سر الجينات الوراثية اكتشفها أحد العلماء المصريين الذين يعملون بالخارج. لا تحمل الشخصيات فى هذا العمل سمات خرافية أو خارقة أو تملك العديد من أسباب البطولة، لا قوة عضلات ولا تطير فى السماء، ولا تحمل سمات مختلفة عن البشر؛ تأتى شخصية "آدم" الشخصية المحورية لهذا العمل نموذجاً للإنسان العادى البسيط، إنسان من شحم ولحم من الممكن أن نصادفه فى الطريق.. ذو أحلام بسيطة يرغب فى العيش فى سلام.. يهوى الفن ويسافر فى رحلة إلى بلاد العم سام، ومن هنا يلتقى بالدكتور شريف الذى يضع فى داخله شيفرة دقيقة تحمل سراً علمياً خطيراً توصل إليه هذا الخبر، وتم تصفيته فى أحد فصول الرواية، ليكون على آدم هجرها والعودة إلى

مصر لتسليمها، ليتصاعد البناء الدرامي، ويصبح آدم مطارداً مطاردة شرسة حتى الموت..

تبدأ الشخصيات تظهر على المسرح الروائي تباعاً، مبلورة من خلال الديالوج والحوارات، أزمتها النفسية قضايا سياسية معاصرة، يظهر فى الأفق سجن جوانتانامو، واحتلال أمريكا للعراق، واختراق العالم بشبكة جاسوسية ضخمة تكون فيها أمريكا هى الرأس المدبر لتعاون دولتها الصديقة فى المنطقة العربية للاستحواذ على القوة والتفوق.. يحتدم الصراع الإنساني، ويلقى آدم نفس المصير الذى آل إليه د. شريف، وبرهان القليوبي، العالمان الشرقيان.. إلى آخر لحظة يقاوم آدم.. يهرب ويتخفى ويعيش فترة من العمر مطارداً، إلى أن يصل إلى ضابط المخابرات المقدم كمال رفعت، مستنجداً بآخر طوق نجاة وسط جبال موجة عاتية تبحث عن سفينت إنقاذ عابرة.. يتزوج آدم من حبيبة العمر "ونس"، ولكن ما تلبث أن ترصده عيون الغدر.. ليقتل آدم وحواء وكل البشر.. يمحى الونس من الوجود، لينتشر الرعب والخوف والوحشة..

ولكن ونس تهب البشرية أملاً جديداً بعد أن تكون قد وضعت نسخة من شيفرة آدم داخل خلايا أخيها طارق

ومساعده الدكتور برهان وأمل، بل لم تكتف بهذا فقامت بنسخها فى خلايا أصدقائها، وزملائها فى العمل، ومركز الأبحاث، حتى داخل أطفال الملاجئ لكى تصبح شفرة آدم مصلاً واقياً تطعمه لكل طفل يولد.

تنتهى الرواية بنفس عبارة الإهداء الذى لعب هو أيضاً بمثابة نقد مواز للعمل، بل عتبة من عتبات التأويل، ليغلق حلقة العمل الروائى بشكل دائرى مثل قصص "ألف ليلة وليلة" لتعود من نفس النقطة إلى مدلول العمل الفنى كله..

"التكنولوجيا نتاج بشرى من حق كل البشر، فإذا كان من حقك أن تحتفظ بسرك داخل خريطتك التدميرية، فمن حقى أن أحتفظ بسرى داخل خريطتي، ولكى تحيا فى سلام، دعنى أعيش فى سلام"

فن القطع والمونتاج هو أحد مميزات هذا العمل، فى لقطات سريعة يأخذنا المبدع ومن خلال أيضا شخصيات العمل: آدم البطل الرئيسي، د/ برهان الذى كان لابد أن يتسلم له الشريحة، وتمت تصفيته، وونس العاملة فى مركز البحوث، وأخيها شريف، وأمل.. عملوا على وضع كثير من المشاكل التى يعانى منها المواطن العربى والمصرى على الأخص فى دائرة الضوء، وكثير من القضايا المطروحة:

١ ـ تصفية العلماء ومحاربة التقدم فى العالم العربي
٢ـ الفساد الذى أصبح متغلغلاً فى المجتمع
٣ ـ الحرب النفسية والإرهاب الذى يشنه الغرب على الشرق.

إنها تلك المؤامرة مرة أخرى، استعمار فكرى ونفسى جديد، وتطرح القضية على لسان أحد الأبطال:

"لماذا نلجأ لغيرنا كى نحتفظ بممتلكاتنا؟.. أموالنا ليست فى بنوكنا.. آثارنا موزعة على متاحف العالم، وكنوزنا منهوبة، مندسون.. حتى الشيفرة الجنينية لطعامنا نحتفظ بها فى بنوك إسرائيل.. " ص١٣٠

يثور آدم بسبب الجين الشرقى دفاعاً عن وطنه، وما آل إليه من دمار على أيدى أعدائه.. هذا هو لب الصراع، وكيف ننزع حب وطن يسكننا حتى ولو تنازعتنا المصالح وأخذتنا بعيداً عن الوطن.. سيرون حبه فى نظرة عينيه مرسوماً فى قسماته، لن ينسوه ولن يمضى منسياً مهما غير اسمه، مطارداً مهموماً، يحيط به كل هذا الخطر..

جاء اختيار الأسماء موفقا، "آدم" هو الإنسان فى كل زمان ومكان، و"ونس" هى أنس الدنيا والفرحة والسكن.. شريف، أمل، برهان.... جاءت كل الشخصيات تعبر عن

أسمائها موحية ومكملة وتشى دلالتها الرمزية بالمعنى الشامل للفكرة المطروحة، وجاءت متنوعة ما بين العالم والفنان والمحاصر والمحارب، حتى أن قبطان السفينة لعب دوراً هو الآخر فى أول الفصول، وجاءت عبارته، لتفسر الكثير من الأحداث بعدها.. "سفن العودة غير سفن الذهاب يا صديقي"

لعبة الفلاش باك وهذا الحكى المسترسل لتصاعد الأحداث أفاد إيقاع العمل الدرامي، وجعل القاريء يعيش أحداث الرواية لحظة بلحظة، بل ويرى المشاهد بسبب براعة توظيف تقنية الوصف سواء للشوارع فى أمريكا، أو المزرعة أو جوانتانامو.. وجاء الوصف الذاتى لمشاعر الأبطال فى لقطة شاعرية من أجمل اللقطات فى ص ٢٣٨ عندما يعترف "آدم" لـ "ونس" بحبه لها.. لم تخل الرواية من اللقطات الإنسانية رغم المطاردة البوليسية التى يشهدها الأبطال حتى تصفية البطل أخر الأمر.. إنها حرب الجواسيس إذاً ولكنها حرب معلنة، ويمكن رصدها..

اللغة: جاءت اللغة المستخدمة تحمل الكثير من المستويات:

١ ـ استخدام الكاتب للغة العلمية السهلة وغير المركبة ليجر النقد الروائى إلى حيث يريد

٢ـ استخدام معاييره الخاصة وخصوصيته الفريدة فى انتقاء عباراته على لسان شخوصه.

٣ ـ الاتزان الجاد الذى يأتى من ذلك الخيال الخصب والمرن.

لا يتمركز الحوار فقط أو الحكى على العقل أو التحليل المنطقي، ولكن اللغة أكثر طواعية.. جعل من نصه نصاً مشوقاً فيه إيقاع للغة موسيقية مشحونة بالشعر تارة، جاعلاً من الأدب والعلم بوتقة واحدة لما يصحبه من أفكار.. واستدراج كل ما هو خفى ومجهول إلى منطقة الكشف والتنوير محققاً المعادلة الصعبة التى أشار إليها "جاك دريدا" و"أدونيس" فى مزج الأفكار الإنسانية بلغة "كتابة تدمج العقل والروح والقلب والمعرفة".. لغة تحمل الشكل التقريرى أحياناً، وتحمل الكثير من التساؤلات الفلسفية أيضاً.

حظى هذا النص بكثير من الصفات الجمالية منها: نقل الأحداث من المحيط الخارجى إلى المونولوج النفسي، خلق من الكتابة صوراً موحية، وكأنه يحمل كاميرا فيديو ينقل بالصوت والصورة مشاهد بعينها، وزج بنا فى دائرة المطاردة..

خلاصة الأمر: كان علينا أن نستنتج أن هذا العمل الأدبى لم ينجز بشكل عشوائى، ولم تتم صياغته بتلقائية، بل نلاحظ أنه عمل محكم البناء، تم الإعداد له مسبقاً، احترم المكونات الأساسية للعمل الروائى بما فيها من أحداث وشخصيات

وحبكة وفضاء، جاء العمل نتيجة لتوافق رؤية الكاتب المبدع صلاح معاطى الفنية وتميزه فى هذا النوع من أنواع الكتابة التى تحمل فكرة الشمول والتقدم..

إنها الطريقة المثلى فى اعتقادى التى تكيف الكتابة الأدبية بمنهج الخيال العلمى عبر نقل واقع بعينه والتعبير عنه أدباً، سواء كان متخيلاً أو واقعياً.. رصد ما فيه من عيوب أعطانا الكاتب مساحة حرية للحلول الممكنة رغبة فى إعطاء تصور فلسفى ممكن لواقع يهدف إلى التناغم والانسجام..

الفيلم الروائى "خيط ضعيف"

د/ محمد رفيق زاهر

يقول المثل الصينى: "إن الصورة الواحدة تعادل عشرة آلاف كلمة"، ومن هنا صارت السينما الملقبة بالفن السابع أهم وأبلغ تأثيراً من فنون كثيرة لأنها تتضمن الكلمة المسموعة والرؤية المباشرة، وتتضمن أيضا التفاعل الإنسانى اللحظي، تاركة أبلغ المعانى فى عقل المتلقي.

"خيط ضعيف"، هو فيلم جديد من حيث الموضوع والشكل والسياق، اتسم بالطابع التاريخي، وهذا النوع يعتمد فى سرده السينمائى على بناء روائى مبتكر وصفه المؤلف الذى هو فى نفس الوقت مخرج العمل.. استعان بممثلين على درجة عالية من الاحتراف، والجدية، والصدق.. تم التصوير فى أماكن خارجية، موحية بزمان ومكان الأحداث، وجاء اختيار الديكور عنصراً أساسياً من عناصر البناء، وكان أهم منهج من مناهج الحوار البناء هو توسيع مدارك المعرفة والفهم الإنسانى لقضية الإنسان والآخر، مكنون العقيدة ذاتها.. ودعونا أول الأمر نمسك أول خيط..

١) قوة البدايات وافتتاحية المشهد

اعتمدت على الإثارة والتشويق للفت النظر، والاستحواذ التام على المشاهد لأنه وجد نفسه فجأة يجرى ويسرع مع بطل الفيلم فى مطاردة ليلية، يحاول الفرار من أناس يتبعونه وسط الأحراش، ويتلمس فى ضوء بيت بعيد النجاة والأمان.. ويصدف أن يكون الملجأ الآمن هو دير يسكنه الراهب "جوليان" الذى سرعان ما يتعرف على البطل من خلال اسمه ويهبه الأمان وفرسا للنجاة مع وعد باللقاء القريب.. ويذهب الراهب بالفعل بعد عدة شهور لصديقه الأمير "عمر"، ويأنس إلى جواره وصحبته، وتدور بينهما أروع جدلية إنسانية.. ولكن ما الذى يمكنهما أن يفعلاه أمام واقع مر.. أمام هذا الطوفان الهائج من الكراهية؟ ماذا يمكن أن يفعلاه أمام هذا الإعصار المدمر؟.. وهل صحيح أن الأمر أفدح من آمالهم وأحلامهم؟

إنها قوة البدايات تبدأ من إهداء العمل إلى بنى وطنى وإخوتي.. فصارت الفكرة أكثر شمولية واتساعاً، وصار المتلقى أكثر انتباهاً.. سرعان ما يتمكن المخرج من أن يضع المشاهد فى قلب الأحداث وقلب التساؤلات المطروحة، ومن أن يؤسس ويرسم لنا بصرياً جغرافية المكان، ونتمكن من خلال تفاصيل بصرية، وحرية بسيطة، من أن نتعرف على توجهات

الشـخـصـيات، وتبـدو كل لقطة فـى مـوضـعـهـا بتـركـيـب هـادئ ومكثف وإيقـاع تصنع سـخونتـه الدراما المتـأججـة فى مسـار الحـوار والجملة الفـجـائية، التى تأتى كطلقات نارية سـريعـة وتنطق عيون الممثلين بما هو أبلغ من الكلمات.

على المستوى الفنى جاء الفيلم متميزاً فى عنصـر التصـوير من حيث جماليات تكوين الصـورة وتصـميم الإضـاءة سـواء فيمـا يتعلق بالتصـوير الداخلى داخل القصـر "قصـر الأمير" أو التصوير الخارجى المناظر الطبيعية، والحديقة.. إلخ.. منذ أول لقطة فى الفيلم تحركت الكاميرا لتصوير أسـبانيا.. الأندلس قـديما.. وتم مـلاحظة تلك الحـرفيـة العاليـة فى اخـتيـار زوايا التصـوير وعمل مكساج للصـورة: حـرق كنيسة الخالدين، الذى جاء فى مـقدمه العـمل وصـور الكاسـت المشـارك، وكـأنـهـا تلك المفـاجـآت التى تتـوالى علينا وتقـحـم وجـودها الغـادر على الآمنين، وتلك التضـفـيـرة الرائعة بظـهور صـور حـقيـقيـة من أحـداث "٢٥ يناير"، ليتم بذلك إحكام خـيط الدائرة ويصـبـح المشـهد الآنى هو المشـهد الذى سيظل يلازم المشـاهد وجدانيـاً أيضا ثم ما يسمى " the view focus "

ويبقى السؤال.. مـاذا الذى نستطيع أن نغيره؟.. ربما تأتينا الإجـابات تبـاعـاً على مـر المشـاهد الخـمسة التى من

الممكن تقسيم الفيلم خلالها ليتفتق ذهن المشاهد على فهم الفكرة المنشودة، التى نحن بصدد إلقاء الضوء عليها..

٢) التصنيف:

هل يمكن تصنيف الفيلم بأنه فيلم إسلامى بحت؟.. الجدير بالذكر أن بعض النقاد مثل "محمد وليد الجداع" والناقد السينمائى "هاشم النحاس" يجدان أن السينما الإسلامية هى السينما التى تكتفى بمفهومات الإسلام عن الله، والكون، والحياة والإنسان اكتفاءً كلياً يتحدد على ضوئه تصنيف الفيلم.. ولكن المذهل فى هذا العمل السينمائى الذى لا يعد الأول فى تجربة المبدع ومشواره؛ حيث أنه كانت له تجارب سينمائية أخرى فى مدة زمنية أقل وأقرب إلى الأفلام الوثائقية.. حرص الأستاذ الدكتور "محمد رفيق زاهر" أن ينحو بالعمل منحنى جديداً؛ فجاء أكثر شمولاً واتساعاً لأنه انتقل من جدلية الخلاف بين الإسلام والمسيحية إلى جدلية خلق الإنسان وعلاقة المرء بالله سبحانه وتعالى، وشرح عتبات الوصول إلى تحقيق تلك المعادلة الشفيفة فى الحياة: تحرير الذات من القيود، توسيع دائرة العقل بالشرح والإيجاز، نبذ الفرقة والتفرقة العنصرية بين جنس وآخر ودين وآخر، إيجاد سبل للتلاقى الإنسانى، بعيداً عن اختلافات العقيدة، إيجاد مناخ للتلاقى والتسامح عبر عنه السيناريو البديع من خلال

حـوارات الأبطال وجـدالهم الذى لا ينتـهي، إلا وتترك داخل المشاهد بالغ الأثر، وأوثق المعانى..

٣) التوظيف المكانى والزمانى:

لاستحضار التاريخ والرؤية، على غرار الرسم الزيتي، جاء تمثيل المكان.. نحن فى أواخر العصر الإسلامى إنها الأندلس وقرطبة، أطراف ليون، آلمرية فى أوج عصور الإسلام، يتضح ذلك من فخامة البناء والتكوين المعمارى للقصر الذى يعيش فيه البطل، وكذلك من كل تلك المنمنمات الصغيرة التى تزين الكادر.. الأرابيسك والأوانى النحاسية والرخام والفسيفساء والنوافير وحديقة القصر والخط الكوفى والملابس العربية، الصحاف، الذوق العام يرنو بنا إلى الماضي..

ثم ندخل إلى آفاق الوقت المعاصر بكل ما فيه تلك التضفيرة الرائعة بين الزمان والمكان.. يأتى من هنا تفرد العمل حيث أننا نتحدث عن الواقع ونصقل المعرفة بحضارة الماضى الثقافية وقصص تاريخنا الأصيل وأصولنا التى أبعدنا عنها وليس فى الأمر غرابة، كأن خروج الأبطال من المشى بملابسهم التاريخية وتحولهم من كادر آخر بملابسهم التقليدية العادية يصبح أمراً مقبولاً.. ولم نشعر بذلك الخروج عن قوانين الزمان والمكان. يبسط العمل السينمائى أو يضغط

الزمـان والمكـان بالارتحـال إلى الأمـام وإلى الوراء بحـرية فى نطاق حدودهما الرحيبة.

عـمل المكان كـمـا سـبق على اسـتـحـضـار شكل الواقع وتفاصيله وجزئياته واقع الأمة الإسلامية، واقع الشرق بكل تداعياته، استطاع أن يعيد إلينا آفاقاً كنا نحلق فيها بوعي، وثقافة آسرة وفـهماً أكيداً لحقائق الإيمان والمروءة والإحسان، فهماً للآخر..

صـارت تلك المعانى المجردة أفعالاً حـقيقية تتـحول إلى إحساس بالانتماء ملموس فى وجدان الأبطال نافذاً منه إلى وجدان المشاهدين.. امتلك المخرج وامتلكت كاميراته القدرة على تغيير قوانين الزمان والمكان من خلال عملية القطع والتشكيل من جديد ثم ربط صـورة وأخرى، بوصل جديد يعرف بما يسمى "تحول الحوار السمعى والبصري"..

هل نحن أمام فيلم روائي، يعتمد على شخصيات كثيرة وحبكة؟.. نحن أمام فيلم ينادى الحس الإنسانى فى المقام الأول، ويحرك الأفكار والأشخاص فى سياق منبسط وسلس.. يملأ الفارغ من الأسئلة المحيرة فى داخل كل منا.. ينشئ جسوراً رمزية للالتقاء، يخلق من عالم التراكيب والصور والمشاهد عالماً جميلاً يملك دلالة عميقة ذاتية، ومتفردة مثلما

يحدث فى الفن التشكيلى أو مثلما يحدث فى لعبة بسيطة، نعاود فيها تركيب قطع (البازل)، الواحدة بجوار الأخرى؛ فتظهر صورة مكتملة المعاني..

لعب كل من الفنان القدير "محسن محى الدين"، والفنان القدير أيضاً "عماد الراوي" دورهما بمحبة بالغة لإلمامهما بالشخصية، وتقديمها بإحساس وإتقان، تقمص كل منهما دوره إلى أخر ذرة، حتى أن المشاهد لا يظن أن ما يحدث أمامه هو حكاية تاريخية حقيقية يحمل كل منهما ملامحها إلى الأبد، ما بين صعود وهبوط تتلاحق أنفاس المتابعين لهما..

٤) القوة فى البناء:

يتميز الفيلم فى البناء والتوظيف البليغ لحركة الكاميرا وعناصر الديكور والإضاءة، وأيضاً بتلك الخلفية الموسيقية الممتعة التى تبرز المعنى الدرامي، ودلالاتِ اختيار اسم الفيلم وشريط الصوت الذى إنفرد أيضا بمزيج مدهش للأصوات حيث تتضافر المشاهد الأخيرة التى جاءت مكملة للفكرة أو لنتيجة حتمية لا مفر منها لسنوات من القمع الفكرى ونمو روح التعصب الدينى إلى ثورة مكبوتة سرعان ما تحولت إلى ثورة حقيقية أظهرت المعدن الحقيقى للإنسان المصرى..

توليفة المؤثرات الصوتية مع الموسيقى التصويرية ترانيم، وآذان صلاة، ودعاء.. منح العمل سحراً خاصاً عمل على ترسيخ وتوضيح الكثير من المفاهيم والتأثير الإيجابى على المشاهد..

ورغم أن الإيقاع كان فى بداية مشاهد الحوار بين الأمير وضيفه بدا متمهلاً أو ساذجاً، بقدر ما كان اقتراب الكاميرا الخاطف من تعابير قسمات الوجه متمكناً من غرس بذور الفكرة وتنمية خطوطها وتوظيف أفكار العمل ككل، حتى أن الصراع وصل إلى مرحلة الغليان التى تسبق القطيعة بالفعل إلا أنه على الرغم من جدية الموضوع لا جنوح للميلودراما، كل من السيناريو والمونتاج وبناء المشهد السينمائى كان يتجنب كل اللحظات التى من شأنها إدخال المشاهد فى مناطق موغلة فى الألم، ولكن المشاهد الأخيرة لثورة يناير كانت كفيلة بحد ذاتها لخلق روح التعاطف الشديد بشكل أقوى من كل الحوارات لأنها منحت الفرصة لإكمال خيوط العمل ووضعه فى بوتقة إنسانية شديدة الرقى، ساعدت الموسيقى على توصيل تلك الحالة فجاءت مفردة شديدة الوعي، شديدة الجمال أعطت النهاية بعداً ميلودرامياً إنسانياً مؤثراً..

السرد السينمائى والبناء الفنى للفيلم أخيراً جاء العمل

هنا خير دليل على فكرة تطوير وسائل السرد الروائى، لخلق شكل جديد عبر القفز بالزمن ودمج الحاضر بالماضى فى قالب فنى مبتكر يسهل معه التعبير عن وجهة نظر بعينها ورؤية المؤلف للعمل أيضا..

٥) درة العمل الفنى السيناريو المكتوب.والحوار

اتسمت الفكرة الأساسية للفيلم بالوضوح التام، ابتداءً من اختيار عنوان العمل "خيط ضعيف" انتهاءً إلى النهاية المفتوحة والمحتمة للقضية المطروحة فى الأصل، ولكن قيمة العمل تمركزت بشكل كبير فى هذا النص المكتوب بدقة وبراعة متناهية حيث أنه لا توجد جملة فى العمل تستطيع إن حذفتها الانتقال إلى الجملة الأخرى.. الأفكار تتتابع والعبارات كما سبق أن ذكرت تأخذنا من منحنى إلى منحنى أخر حتى لحظة الإشعار..

بعيدا عن الحكاية التوثيقية والمعرفية والتاريخية، جاء الحوار السلس، واللغة العربية نجمين حقيقيين يتصدران ربما أكثر المشاهد حضورا: "إنها تلك العبارات الذهبية" وإذا تم تقسيم العمل كما هو موضح فى السيناريو إلى خمسة مشاهد، جاء المشهد الرابع للعمل هو قمة العمل الإبداعى والذى أحالنى كناقدة أدبية أمارس النقد منذ سنوات عديدة للأعمال الأدبية إلى الكتاب المدهش الذى تُرجم إلى اللغة

العربية منذ أقل من عام: "تأملات ماركوس أورليوس رأس الإمبراطورية الرومانية"، وأحببت ذكره مع هذا السياق لأنه يوجه مستمعيه وقراءه إلى التفكير وضرورة الاستيعاب لفهم ما عظم من الأمور بسهولة وسلاسة ومنطق، وشعرت بالتماس بين عقلية ذلك المفكر الذى يعتبر من أهم الفلاسفة الرواقيين، ملقب "بفيلسوف العرش"، مع عقلية الكاتب والمبدع ومخرج العرض، لأنه كان بكل بساطة يخاطب ذاته فى هذه التأملات ويحقق تلك المعادلة الصعبة من القناعات عن الحياة والبشر والفضيلة والعدالة التى لا يشوبها شيء، اللهم إلا السماحة الزائدة.. المثابرة والإصغاء ومتى يعطى كل ذى حقا حقه، وكيف يعرف الإنسان متى يشتد ومتى يلين.. ومن عباراته "لا شيء يدعو إلى سمو العقل.. مثل قدرتك على أن تعرض كل عنصر من عناصر خبرتك فى الحياة على الفحص المنهجى الصادق، وتشارك به الآخرين".. تتمثل تلك القدرة فى قلم المبدع الذى أحال نظرته إلى الأشياء والكون لشرحها وتبسيطها للآخرين لفهم الأمور الإلهية والإنسانية..

وينتمى هذا العمل الفنى الراقى إلى ما يسمى روايات تصوير التغير فى حياة المجتمعات وهو موضوع الأدب الجاد منذ أرسطو.. جاءت من هنا بنية السرد، وهى أهم التقنيات المستخدمة فى الفيلم كحجر أساس للحوار مع تعدد الأصوات تصبح نقطة الالتقاء فيه حتمية الصراع الذهنى هى الحكمة

البالغة من العمل الفنى الذى لا أنكر درجة الاستمتاع القصوى به، وأنه ترك بالغ الأثر فى كل من شاهده حتى الآن، راجية أن تتكرر مثل تلك الأعمال الفنية القوية لتكون بمثابة حائط صد لكل المهاترات التى تموج بها الساحة، سياسياً واجتماعياً ودينياً وثقافياً..

النهاية :

يحمل الفيلم الكثير من الرموز والأفكار، وتأملات فى منتهى العمق لا تتوقف حدود تأملها عند الواقع السياسى أو التاريخي، ولكنه يتغلغل بنفس الدقة والمهارة إلى الحياة الإنسانية والغرض منها والنفس البشرية بكل تساؤلاتها وحيرتها..

وأعود مرة أخرى للإشادة بالحوار الذى دار بين الأمير وضيفه "بحر العلوم"، امتلك خلاله زمام مشهد بسيط بمقدرة فنية عالية على توظيف لغة سينمائية راقية تنتهج أسلوباً تعبيرياً بسيطاً اعتماداً على حركة الممثل الانسيابية وأدائه التعبيرى عن حيرته.. يأتى الصوت الرخيم، صوت العقل والحكمة مع توظيف معبر لمحتويات الصورة، بإيقاع هادئ، تتضافر فيه حركة الكاميرا مع حركة الأشجار والهواء والسحاب والكون، فى مشهد رائع مع طبيعة التكوين

البصرى، والانتقالات التدريجية للطبيعة. أنهى أطروحتى بها، راجية أن أكون قد وفقت..

"نحن لا نملك من أقدارنا شيئا!!.. هل نحن حقا لا شىء؟"

تأتى الإجابات هادرة: "بل نحن كل شيء.. نحن لسنا ضيوفاً على هذا الكون، بل كل هذا الكون مسخر لنا.. نفوسنا أجل ما خلقه.. الكون كله يدور حولنا"

"للموت والحياة أسرار عجيبة!!؟

قدرة الله تفوق آمالنا وأحلامنا.. قدرة الله مطلقة؛ هو وحدة سبحانه وتعالى الذى يرسم ملامحها وله أن يخلقها بإعجاز كيفما يشاء وقتما يشاء.. لماذا نصر على أن نعطى الأمر أبعاداً أكثر مما هو فى الواقع؟

لا تضل عن مقصد الله.. إن تعرف الله حقاً، لن تضل عنه أبداً.. يريد الله أن يبين لكم ويهديكم سننه..

إن الله واحد أحد لا شريك له فى القضاء.. يحيى ويميت.. يرفع من يشاء.. ويضيع من يشاء..

المهم ان نفهم بدقة رسالة الله إلينا ما الذى يراد بنا..

"قف حيث أرادك الله أن تقف، لا تذهب أبعد مما تريد ولا تضعف إلى أقل مما هو يريد فتضيع"..

"يا مالك قبل أن يوجد مخلوق" "يا أول قبل كل أخر.."

"يا عفو يا كريم.. أنت تحب العفو؛ فاعف عنا..

مسرحية "ظلال قرطبة"
للأستاذ الأديب/ محمد أنيس

أدهشني كثيرا أن أجد أديباً من جيل الشباب يكتب بهذه الطلاقة واللغة الجادة، مسرحية كلها باللغة الفصحى قائمة على فكرة: كيف العودة إلى زمن الأندلس المجيد، ورغم أني غير متخصصة في قراءة المسرح وكتابة الحوار الخاص به، ولكني أعتقد يقيناً صادقاً أن هذه من أهم المسرحيات التي كتبت لتاريخ مجد الإسلام والمسلمين، وكيف استطاع ملوك الفرنجة في ذلك الوقت بمكرهم ودهائهم أن يتسللوا إلى بلاط الحكام العرب، ويتوغلوا ويفسدوا ما أصلحه الأتقياء في الأرض..

الفكرة قائمة على: كيف تم الانتصار على الحضارة العربية ووهج تألقها.. الحوارات كانت مشبعة أحيانا بالأسى، ومليئة بالفخر أيضاً

"لا يبنى ملك على أنقاض جثث المسلمين"

"لا حياة لمن لا عقل له، ولا دين لمن لا ضمير له"

ابن أبى عامر انتصر على غريمه غالب، وفتت جيش

المسلمين فى معارك داخلية حباً فى الكرسى وعرش الخلافة.. يتربص به المتربصون، وعلى رأسهم رذمير وفرناندز.. يبحثون عن نقطة ضعفه، وكيف يشلون تفكيره ويشغلونه بقضية أخرى تعطله عن غزو الفرنسيين وبقية المدن الأسبانية.

وإذا قلنا أن تلك المسرحية هي وصف دقيق للوضع المزرى للأمة الإسلامية، وما آلت إليه حضارتهم وبلادهم تحت ستار الجمل المستخدمة بدقة متناهية لوضع اليد على الجرح العربي، فى شكل حوار متحرك وصور متأججة بكل مشاعر الانتماء والرغبة الأكيدة فى نبذ الفرقة، نستدل من ذلك فى حوار ما بين رذمير وفرنانديز

"المسلمون اليوم لم يعودوا مثل أمس، دب فيهم الضعف وظهر عليهم الهوان" ص ١٩

يدبرون مكيدة فى غاية الدهاء، يخطفون جاريته ورفيقته "ظلال" ومساعده ووزيره الأمني.. لقطة مبدعة

"ظلال.. ضاعت مني ظلال..

سقط قلبى من أمام عيني.."

ولكن يتدارك نفسه فى مشهد آخر رائع.. يعلم أن النصرة من عند الله سبحانه وتعالى، ويتولى دعاء النجاة.. وتهدى نفسه ويبدأ فى التفكير ويترك التدبير للذى بمشيئته الأمور

"إلى نصرة الحبيب الذى فى حقه نحب ونعشق وفى سبيله نغزو وننفق، وإليه نتقرب و نسجد.. بالله.. أعدوا مجلس الجهاد"

فى الناحية الأخرى من الواقع المسرحي، نجد مشهداً رائعاً يشرح فيه كل من الأمير جعفر - حكمة الإسلام - والشيخ ابن النفير، أين تكمن العظمة والقوة، وتختال ظلاً لكى تبدأ هى الأخرى بتعليم الفرنجة والأسبان، تعاليم الإسلام السمحة من مدخل الفن والشعر..

يستعرض كل من فرنانديز ورزمير خطتهم الذكية فى استعادة أمجادهم والاستفادة من حضارة الإسلام، وفى هذا النص إشارة أيضاً للدور التنويرى الذى شاركت به تلك الحضارة فى إعلاء صفوف الغرب

"لابد أن نقيم حضارتنا على قواعدها وأن نتعلم كل شيء.. نختزن فى داخلنا علومهم وفنونهم وآدابهم وصبرهم وجهدهم وحبهم للعمل وأن نتعلم منهم كيف نقاتل.. وكيف نحب؟.. لكى تسمو حضارتنا لابد أن نستفيد ونسرق حضارتهم"

يبدأ كل من الشيخ ابن النفير والأمير جعفر، وحتى الجارية ظلال، فى تعليم بعض من رجال البلاط المتميزين

علوم الإسلام وقواعد حضارته العريقة، بصبر وجلد والتزام، لربما هي وسيلتهم الأكيدة للخلاص من الأسر، وكأنه واجب مقدس أيضاً نحو دينهم الحنيف.. يستعين المنصور بالقرآن لكي يستجمع نفسه ويشحذ همته ويقرر أن يذهب ليغزو أعداء ليدل..

"اللهم إني رضيت بقضائك وسلمت بنفاذ حكمك وهممت منذ الساعة على نصرتك إلى نصرة الحبيب الذى في سبيله نحب ونعشق وإليه نتقرب ونسجد"..

تستخدم الجارية "ظلال" الشعر والغناء في الاستحواذ على قلوب النساء بالقصر، وتبين لهم كيف أن الإسلام الحقيقي لا يتم إلا بعد الإيمان بكل الرسل والأديان السماوية، تحدثهم عن الفن في الإسلام وعن زرياب ملك الألحان والأشعار (ص ٥٣ إلى ص ٥٦).. يشرح ابن النفير كيف ارتبطت الفلسفة بالإسلام لأنه حيث على أتباع منهج العقل في استنباط الكثير من مظاهر الحضارة (ص ٥٧)

وصار الأمير جعفر هو أيضاً يحث مريديه على القتال تحت لواء الإسلام، وبدأ في تعليم الجنود والقادة تعاليمه أولاً، وغرس روح التضحية والفداء فيهم.. حتى استطاعوا ثلاثتهم النجاة بمعاونة حلفائهم داخل القصر والعودة إلى المنصور، ليكمل سعادة الانتصار..

هذه المسرحية اتخذت من المعيار الموضوعى للمعالجة وسيلة للإجابة عن كثير من الأسئلة والاستفسارات التى طرحها السرد، وأستطيع بكل ثقة أن أقول أننا بصدد تجربة مسرحية خاصة جداً، لأنها انطلاقاً من خصائص الحدث الدرامى فتحت الآفاق على قيمة الإسلام وأهمية الهوية العربية، ونبذت فكرة الانعزال والانقطاع عن التجربة الإنسانية.

وهى نوع من أنواع المسرح الجماهيرى التاريخى الذى يحث المشاهدين على المشاركة فى الحدث، وحتى إن كان فى زمن غير الزمن المعاش حقيقة، ويشعل داخل جمهوره نوعاً من أنواع الحماس والزهو بأمجاد العرب، يشحذ دون أن يكون هذا هو الهدف الهمة نحو الكفاح وتحسين الواقع.

الكاتب يمتلك وعيا مسرحياً وفنياً، كما يجيد استخدام أدواته التى اشتملت على اللغة العربية الفصحى، الحوار الفصيح، الحكمة من تناول قضية تاريخية لها أبعادها أيضاً..

مسرحية "ظلال قرطبة" نوعية من التجارب الإبداعية التى أتمنى لها التطور والنضج، حتى تنفذ على خشبة المسرح بالفعل، حتى يحدث ذلك التواصل الجدى بين العمل المكتوب والعمل المشاهد على خشبة المسرح..

بدأ الكاتب أول تجاربه بالكتابة فى ذلك المجال، واختار لبدايته المسرح "أبو الفنون"، وجاء الحدث الدرامى معبراً عن الاتجاه العام للكتابة، يشير إلى نقلة نوعية جديدة تتكسر فى ضوئها الذاتية، وتتغنى بالموضوعية الملحمية.. قدم بذلك نموذجه الخاص من خلال نص تاريخى مسرحي، هو فن الوجود الجماعى. كذلك الكاتب موضوعاته المتميزة، وحتى عندما يعالج موضوعات من وجهة نظر ومن زوايا تخصه، ترتبط بخلفيته الثقافية وأسلوبه المتميز، ودراسته الواعية لمبادئ وتعاليم الإسلام، وكيف يتم بسهولة ويسر شرح أهم قواعده..

وكان ثانى عناصر البنية الدرامية هو الحوار.. فرضت اللغة العربية الفصحى، مفرداتها وأسلوبها وطابعها التركيبى الخاص، وهذا بدوره استدعى تداخلاً مع ظاهرة جديدة أخرى هى ظاهرة محاكاة الأشكال التراثية، كأنه بمحاولة قراءة الماضى، يعصرنه، يعتبر استلهاماً إبداعياً لا تكرار فيه ولا تقليد..

المسرحية أصبحت وسيلة تعبير وإيحاء فى يد المبدع يعبر من خلالها أو بواسطتها عن رؤيته المعاصرة الخاصة، وأصبح استلهام التراث كما سبق وسيلة من أجل الحاضر والمستقبل لا غاية بذاتها تتوقف عندها عجلة الإبداع ومسيرته.

نحن بصدد مسرحية تناولت اللغة العربية وجعلت الارتباط بها شيئاً وثيقاً، وهى نموذج بحق للمسرح العربى الإسلامي، والذى يأخذ قوته وصلابته من خلال تأصيل اللغة العربية الفصحى، وذلك للحفاظ على الموروث ولإثبات الهوية والمستقبل؛ أهدانا المبدع مفردات جميلة، تمثل عمق شخوصه الحضارية كما راعى بيئة الحوار، المكان، والزمان.. واستطاع الكاتب توظيفها توظيفا صحيحاً، جعلها جزءاً من روح الشخصيات وأسلوبهم..

يعتبر نص "ظلال قرطبة" نصاً جديراً بالاهتمام والقراءة، وأتمنى أن يحظى بالقبول فى المناهج التعليمية فى مراحل الدراسة الابتدائية والإعدادية؛ لأنه يحفظ ذاكرة التاريخ، وسوف يترك أثراً على الصعيد الثقافى..

"منى عارف" فى سطور

ـ من مواليد الإسكندرية

ـ حاصلة على ليسانس آداب ـ قسم اللغة الفرنسية ـ كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

ـ امرأة تكتب بأصابع قلبها ومداد روحها، ترقص على إيقاعات هامسة، وتنصت إلى رعشة لهاث صدرها بعذاب الآخرين الذين فقدوا بالأمس واليوم ويعيشون الذهول أمام غد مصادر..

ـ امرأة تلون بالحلم مساحة مشروعة للاختيار واستفتاء الرغبات غير المعلنة تعبر عن الحالة بأناقة فراشة للصمت لا تحجب الأمل..

ـ هى العاشقة تعبر الحلم تتلفعه غلالة من سحر يحميها من موبقات عالم متوحش

ـ أديبة الزمن الجميل، وكاتبة "روائح الزمن الجميل"، وهى مجموعة قصص نالت انتشاراً واسعاً وإقبالاً شديداً عليها

ـ حصلت على جائزة الدكتور محمد زكى العشماوى (المركز الثالث) عن روايتها "وشوشات الودع"، والمركز الثالث عن قصتها "أنشودة العصافير" من نادى القصة بالقاهرة، على مستوى الجمهورية.

- حصلت عام ٢٠٠٨ على جائزة صلاح هلال فى القصة القصيرة بقصتها "سفينة الشراع البيضاء"

- نشرت لها جريدة أخبار الأدب عدداً من القصص المتميزة تحت عنوان "هدوء الذكريات". كما نشرت بمجلة الكلمة المعاصرة التى تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة - يونيو ٢٠٠٨

الأعمال الأدبية:

- ليالى القمر ٢٠٠١م - أطواق الياسمين ٢٠٠٣م - روائح الزمن الجميل ٢٠٠٦م

وشوشات الودع ٢٠٠٩م - أشجان الرحيل ٢٠١٢م

- لها عدة مقالات سياسية واجتماعية نشرت فى كل من جريدة الوفد، نهضة مصر/ صوت الأمة، والجماهير

- نوقشت أعمالها فى البرنامج العام، وفى الكثير من المنتديات الثقافية، كما تم تحويل مجموعة روائح الزمن الجميل، وقصة الياقوتة الحمراء إلى أعمال درامية ومسلسلات بالإذاعة

- أفرد لأعمالها عدد كبير من الدراسات النقدية نشرت فى كل من:

مجلة القصة (ع١١٢ يونيو ٢٠٠٧م) - مجلة الثقافة الجديدة (ع١٩٨ يناير ٢٠٠٧م) - مجلة مبدعون (٢٠٠٨م) - مجلة نصف الدنيا (ع٨٨٣ فبراير ٢٠٠٧م) - مجلة حريتى (ع٨٤١ يوليو٢٠٠٦م)

المحتويات

على سبيل التقديم ٧
توطئة.. ٨
فوزية مهران " الصفح الجميل"...................... ١٣
علاء عبد الهادى "مهمل تستدلون عليه بظل"............ ٣١
أحمد حميدة "قضبان الروح"........................ ٤٥
محمد الفخرانى "ساحر الكتابة"...................... ٦٣
قصص تلعب مع العالم ٧٣
عدنان فرزات" رأس الرجل الكبير، وكان الرئيس صديقي" ٨١
سعيد سالم " المقلب وأعمال أخرى"................... ٩٩
فرج ياسين "واجهات براقة"......................... ١٠٧
عصمت داوستاشى "النيل والبحر"..................... ١٢١
بشرى أبو شرار "روايات"............................ ١٣١
علاء خالد "ألم خفيف كريشة طائر تنتقل من مكان
لآخر".. ١٥٥
سراج النيل الصاوى "ليلة النطق بالحكم"............ ١٧٥
أحمد أبو خنيجر "العمة أخت الرجال"................ ١٩٣

عبد البارى خطاب "شاطئ الفردوس، وشجرة الصبار".. ٢٠٧
مصطفى نصر .. أديب شاهد على العصر............ ٢١٩
لنا عبد الرحمن "أغنية لمارجريت، وثلج القاهرة"...... ٢٢٦
محمد عطية محمود "دوامات الغياب".................. ٢٣٧
سناء أبو شرار "رائحة الميرامية"........................ ٢٤٣
صلاح معاطي، و"شيفرة آدم"............................ ٢٥١
محمد رفيق زاهر "الفيلم الروائي: خيط ضعيف"..... ٢٥٩
محمد أنيس " مسرحية ظلال قرطبة".................. ٢٧١
منى عارف في سطور.................................. ٢٧٨

هذا الكتاب

هذا الكتاب ليس مجرد كتاب نقدى يتناول عدة أعمال أدبية وفنية متميزة تناولتها الكاتبة بأدوات النقد والتحليل كما هو متبع فى الأعمال النقدية ، بل هو عبارة عن «رحلة سرد» من نوع آخر، إنها لحظات تأمل توقفت فيها الكاتبة المبدعة عند محطات أعمال أدبية بعينها ، وصور وحكايات أدهشتها، فكانت الحصيلة إيقاعات متفردة فى رحلة السرد.

هذه النوعية من الكتب تحس معها بالحميمية فى التناول والنقد ليس فيها مشرط الجراح بل فيها أحاسيس ومشاعر الكاتبة ، فهى نوع من الإبداع النقدى الذى يتجاوز أدوات النقد ومصطلحاته وفنونه ، أو كما قالت المؤلفة عن الإبداع إنه ملحمة فنية متكاملة فيها القصة ، والشعر، والرواية ، والنحت ، والنثر، والمقال ، والصورة ، والصوت يغير بفعل الكلمات ترتيب الأشياء ، وتعمل على إضاءة الصور وإضافة المزيد من الألوان إلى صور الواقع وانعكاسه على مرآة الروح.

رقم الإيداع
١٩٢٤ / ٢٠١٤
I.S.B.N
978 - 977 - 07 - 1619 - 9

روايات الهلال

أحمد أنيس .. ظلى الضائع

محمد جبريل

روايات مصرية للجيب

إنها بالفعل شيء ملائكي رائع

إثارة ، متعة ، ثقافة ، تسلية ، ذكاء ، ألعاب ، مغامرات



تذوق متعة ...
أحلى القصص ...

أكثر الروايات باللغة العربية
إثارة ، وأحفلها بالمتعة والثقافة

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقي الفجالة ،
4 ش الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة - القاهرة - ت : 22586197 - 24677371 - 24677138
فاكس - 202/24677188 ج.م.ع ، 4 ش بدوي محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850